



الكسناز

AL-KASNAZAN

مَجَلَّةُ فَضْلِيَّةٍ صُوفِيَّةٍ ثَقَافِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تُصَدِّرُ عَنْ رِئَاسَةِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ الْقَادِرِيَّةِ الْكُسْنَازِيَّةِ

ما يقدمه التصوف للإنسان المعاصر

تمكين المرأة غير مرفوض إسلامياً
بل واجب وممكن

عظمت الرسول الأعظم
سيدنا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم

إصلاح البنين
بدعاء رب
العالمين

الخطاب
الصوفي في عصر
العولمة والمعلوماتية

الأوقار الفائقة
وأثرها في الدين

الحب في الله
عبادة

العدد ٦ حَيْفُ ٢٠٠٨



يمكنكم الآن تحميل كافة مجلدات

موسوعة الكسزان

فيها احدث اصدارات عالمة اهل التصوف

والعرفان عبر الرابط

www.kasnazan.com/library.php



محتويات العدد



مَجَلَّةُ فَصَلِيَّةِ صُوفِيَّةٍ تَقَافِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ
تَصَدَّرُ عَنْ

رَأْسَةِ الطَّرِيقَةِ
الْعَلِيَّةِ الْقَادِرَةِ الْكَتَنَازِيَّةِ

الْعَدَدُ ٦ حَيْفَ ٢٠٠٨

رَقِيسُ لِحْيَةِ الْجَوَائِدِ

الدكتور
نَهْدُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْكَسْنَازَانِ
الْحَسَنِيِّ

الْأَخْبَارُ الْفَقِي

بَحْثَةُ الْأَعْلَامِ وَالْإِشْرَادِ
فِي الطَّرِيقَةِ الْكَتَنَازِيَّةِ

التَّصَمُّمُ

الْمَكْتُبُ الْأَعْلَامِيُّ الطَّرِيقَةُ
الْعَلِيَّةِ الْقَادِرَةِ الْكَتَنَازِيَّةِ

E-mail:
magazine@kasnazan.com
admin@kasnazan.com

00964+7703535447

ص ٤٠

الرخارف الإسلامية
(منتديات فن الابداع)

ص ١٠

عالميت الإسلام
(يونس اريك جوفروا)

ص ١٠

كلمات في الفن
الإسلامي
(أ. د. عماد الدين خليل)

ص ١٤

أخطاب الصوفي في عصر
العولمة والمعلوماتية
(أسرة المجلة)

ص ٦٤

موسيقى القوالث
الصوفية في القارة
الهندية
(أسرة المجلة)

ص ٢٠

صمت الأصيل
وعلاء القداسة
(د. هالة أحمد فؤاد)

ص ٩٤

نظريّة الأوتار الفائقة
وأثرها في الدين
(عزيز أبو خلف)

ص ٣٠

مفهوم النور
المحمدي
(محمد المغربي)

ص ١١٧

طاقت الخشوع
الأستاذ عبد الدائم كحيل

ص ٣٣

ما يقدمه التصوف
للإنسان المعاصر
(مدونة ischraq)

الكسناز

AL-KASNAZAN

مَجَلَّةُ فَصْلِيَّةٍ صُوفِيَّةٍ ثَقَافِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تَصَدَّرُ عَنْ رِئَاسَةِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ الْقَادِرِيَّةِ الْكَسْنَازِيَّةِ



فِي رَحَابِ سَادَاتِ بِرْزَنْجَةِ الْكَرَامِ (المرحلة الثالثة)

ص ١١٢

الميزان

ص ١٢٦

ملف العدد

الشيخ الحبيب العجمي
(تقريب سره)

الشيخ السري السقيني
تارك التمثلة

ص ٦٨

حوار العدد

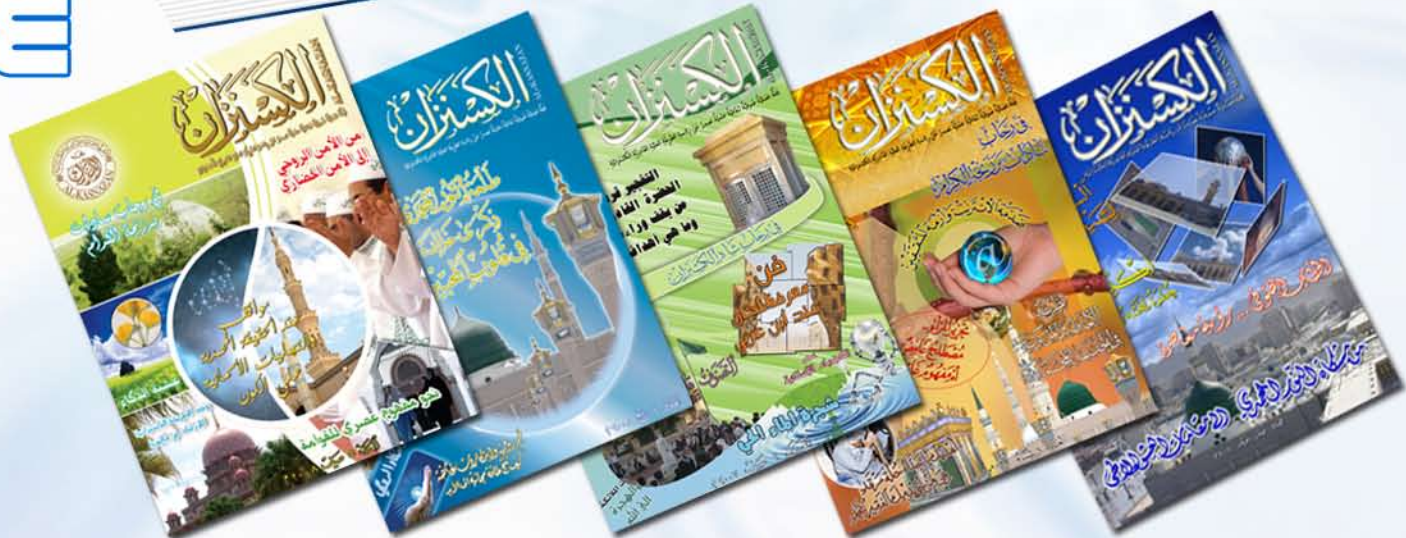
مع الدكتور أبي أسامة المصطفى أكسني
أستاذ أكديث وعلومه بجامعة محمد
الأول في المغرب
حول تاريخ ومشروعات الاحتفال بالمولد
النبي الشريف

ص ٧٤

مجلة الكسنان

Magazine@Kasnan.com

إسلامية صوفية ثقافية علمية رائدة في كافة النواحي
تصدر عن رئاسة الطريقة العالية القادرية الكسنانية
في العالم





والحوار أهله ..

بقلم الدكتور نهر الشيوخ محمد عبد الكريم الكسنزان

آخر، أي صدى له على أرض الواقع إلا إن أخذ من أهله ووضع في محله، أي أخذ من القلوب التي ملئت بالحب لله تعالى والخير للناس ووضع في نفوس تهوى الصلاح وتبحث عن الإصلاح، لا تفرق بين اثنين إلا بالتقوى.

وللعالم في ابني آدم عليه السلام عبرة، إذ قال الصالح لأخيه: (لَئِنْ بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فهذا هو الفرق بين دعاة الحب والحياة في العالم وبين دعاة الكراهية والموت.. وما التمييز بين أحدهما عن الآخر على الناس بعزير.

علي أنا نقول بما قال به ربنا جل وعلا: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلْهَا بَيْنَ النَّاسِ)، وإن هي إلا أيام معدودات تطوى فيها صفحات الذين كذبوا، وتذهب ريحها أدراج الرياح وكأنها لم تكن، فالحق يعلو ولا يعلو عليه، وإننا لنرى أن الزمن الذي يجمع فيه الجميع على أن لا قرار ولا استقرار إلا بتقديم مشروع أهل الطريقة في الدعوة والحياة على سواه من المشاريع المعروضة على طاولة المجتمع العالمي ليكون الدواء الشافي لما بثته مشاريع التشدد والعنف من أمراض لم يسلم من شرها أحد في الشرق أو الغرب على حد سواء، بات وشيكا، وإن غدا لناظره لقريب.

لو كان الصلاح والإصلاح في حياة الشعوب والأمة وقفاً على بلاغة اللسان، أو حكراً على الشعارات والمؤتمرات، لكانت أسواق عكاظ أعظم بقاع الأرض صلاحاً قبل نزول الرسالة الخاتمة، فلم يشتهر العرب في جاهليتهم بشيء قدر شهرتهم بصناعة اللغة وصناعة البيان..

إن الإصلاح العالمي لن يتحقق بالحملات الإعلامية المزوقة بعبارات: حوار الأديان أو الحضارات أو ما دار في فلكها، والتي بات ثمنها بخساً في عصر تفتحت فيه العقول وانفتحت فيه القلوب، لتمييز الخبيث من الطيب، فلا يمكن التغيرير في هذه الأيام بالناس فضلا عن أهل الاختصاص.. نعم، الحوار سبيل للتعارف، وهو أحد أركان الحكمة من خلق الخلق وإيجاد العقل والقلب لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، ولا ينكر هذا الأمر أو يتنكر له إلا متجانف لسنة الله تعالى في خلقه..

ولكن.. البون شاسع بين من يدعو لأمر هو مؤمن به، وبين من يتخذ من الدعوة غطاء لما رآه أخرى والحد الفاصل بين هذا وذاك هو تصديق القول بالعمل، والأمر بعد هذا أوضح من الشمس في رابعة النهار لذي عينين.

لن يجد الحوار العالمي سواء أكان على مستوى الأديان أو الثقافات أو الحضارات أو أي مستوى



قُرْآنِيَّات

قال تعالى ﴿ .. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٥) سورة المائدة .

الإشارة : (لا يبعد عندي أن يراد بالنور والكتاب المبين النبي صلى الله عليه وسلم .. ولا شك في صحة إطلاق كل عليه عليه الصلاة والسلام ، ولعلك تتوقف في قبوله من باب العبارة فليكن ذلك من باب الإشارة) تفسير الألوسي - ج ٤ ص ٤٢٩ .

وفي تأويل الآية الكريمة يقول الشيخ محمد الكسنزان (محمد هو القرآن والقرآن هو محمد ولا فرق بينهما) .

التأويل
الإشاري



الحكمة
من

الحكمة من تكرار (الرحمن الرحيم) مرتين في سورة الفاتحة «إن الرحمن الرحيم في البسملة وصفان الألوهية والرحمن الرحيم في الفاتحة وصفان للربوبية، فإن قلت: فأى فرق من الألوهية والربوبية ؟

قلت : الفرق من حيث المتعلق ، فإن الإلهية تتعلق بالإيجاد والتكليف ونحو ذلك ، والربوبية تتعلق بالتربية القلبية والقلابية الدينية والدينية .
ففي البسملة إثبات الرحمانية

والرحيمية لمقام الإلهية

التي أثرها الإيجاد والاستعباد وما تدور عليهما وهو أعم من أثر الربوبية . وفي الفاتحة لما ذكرت الربوبية التي هي أخص من الإلهية ناسب أن يثبت معها الرحمانية والرحيمية إشارة إلى وجود أثري الرحمانية والرحيمية في مقامي الأعم والأخص « الشيخ ناصر الدين بن الملق الشافعي - مخطوطة التجارة الرابحة في الدلالة على مقاصد الفاتحة ورقة ١٠٠ ب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



فهل نستطيع محاركة الكسوف؟: القول هو الشفاء ونمحو من الرمة والبركة

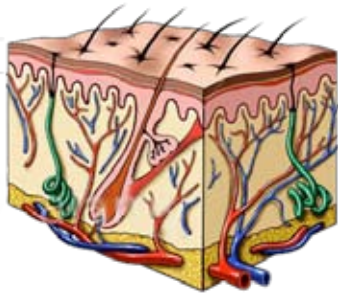
المراقبة بين الإحساس وجلد البشر

من الحقائق العلمية التي أشار إليها

القرآن والحقائق العلمية

القرآن الكريم ثم توصل إليها العلم الحديث : حقيقة أن الإحساس يتم بأعصاب موجودة تحت الجلد مباشرة . أي أن رؤوس الخلايا العصبية الواقعة تحت الجلد هي التي تحس وتنقل هذا الإحساس إلى الجهاز العصبي فالدماع .

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحقيقة في معرض حديثه عن الكفار الذين يُعذَّبون في النار ، الذين قال الله تبارك وتعالى في شأنهم (كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) أي أن الله عز وجل حدّد حكمة تبديل الجلود بأنّها من أجل أن يذوقوا العذاب، فإذا ذاقوا العذاب إذا محلّها الجلد .



المشي والعماء

روائع البيان

في القرآن

يقول الله تعالى (ويسعون في الأرض فساداً) .

فهل السعي هو (العدو) ؟ أم أنه يستعمل للجد في الأمر ؟ أم هو المشي السريع ؟

الجواب : السعي هو المشي السريع والاهتمام والعزم وهو دون العدو ، ويستعمل للجد في الأمر كذلك ، خيراً

كان أو شراً . قال تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) ، هذا في الشر ، أما في الخير فيقول سبحانه : (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً) .

ويقول الله تعالى في وصف المؤمنين يوم القيامة : (نورهم يسعى بين أيديهم

وبأيمانهم) ، ويقول الله تعالى في هذا وذاك : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى) .

وخص السعي بين الصفا والمروة بالمشي . وكذلك السير الحثيث إلى الصلاة يوم الجمعة هو سعي ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) .

القمر خورا

صورة وآية

وجد العلماء حديثاً أن القمر جسم بارد بعكس الشمس التي تعتبر جسماً ملتهباً ، ولذلك فقد عبّر القرآن بكلمة دقيقة عن القمر ووصفه بأنه (نور) أما الشمس فقد وصفها

الله بأنها (ضياء) ، والنور هو ضوء بلا حرارة ينعكس عن سطح القمر ، أما الضياء فهو ضوء

بحرارة تبثه الشمس ، يقول تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥] ، من كان يعلم زمن نزول القرآن أن

القمر جسم بارد؟ إن هذه الآية لتشهد على صدق كلام الله تبارك وتعالى .



عالمية الإسلام....

«الوجود بحر تهزه الأمواج بلا توقف ومنه لا يدرك الناس العاديون سوى الأمواج أنظر كيف تطفو أعماق الأمواج التي لا تحصى إلى السطح، وكيف يتوارى البحر خلف الأمواج»

جامي / متصوف وشاعر

يونس إريك جوفروا



كانت الثقافة الإسلامية - بشكل عام - خلال القرون الأخيرة في وضع تقهقر. وكلما شددت الهيمنة المادية للغرب من بسط نفوذها كلما أصبحت هذه الثقافة أكثر انطواءً وانكماشاً. فالمسلمون الذين يشعرون بالظلم، انغلقتوا دون الثقافات والديانات الأخرى. وساد مفهوم جامد وأحادي للمعيارية الإسلامية مضيئاً البعد الكوني للإسلام. وبالتوازي مع ذلك تشرذمت البلاد الإسلامية وجزأت. ما جعل المسلمين عاجزين تماماً عن التنقل داخل هذا الفضاء الواسع. متمثلين دينهم في الغالب على أنه عادات وخصوصيات محلية. لقد اختفى اتساع الرؤية والروح الاستكشافية التي اتسمت بها الحضارة الإسلامية الكلاسيكية. وهذا الوضع من التقهقر لم يعد مقبولا اليوم. في وقت ظهرت الحاجة فيه. وبصفة عاجلة. إلى بعث البعد الروحاني في أفق العولة. وإعادة امتلاك المسلمين للإسلام الشامل - وقد يكون دخل حيز الفعل - لا يمكن أن يحدث فجأة دون وعي حاسم: وعي بالعمل المتجدد لوحدة الإسلام وتنوعه. بل وفي الخلق كله. هل لنا من خيار آخر اليوم غير التمثل المزدوج للوحدة في التعدد والتعدد في الوحدة. تماماً كما أدركها الصوفية المسلمون؟ وبدون هذه الرؤية الثرية تكون نظرتنا للعالم وللإسلام بل ولله أيضاً نظرة مبتورة. أما إذا توحدنا فرادى وجماعات حول محور التوحيد والانخراط العميق في التوحيد الإلهي فإننا سنشعر بمزيد من القوة والتماسك لمحاورة العالم والاحتكاك بالآخرين دون خوف. لقد عاش المسلمون الأوائل هذه المحورية الداخلية. وقد أتاحت لهم هذه حمل الإسلام إلى كل تخوم الأرض.

على جميع مستويات الكينونة. وفي كل أبعاد الحياة تفرض علينا الوحدة نفسها عبر تعدد الأشكال والمظاهر. فالإسلام يعبر أولاً عن هذه الحقيقة في مستوى الماورائيات (المتافيزيقا). ألم تنتشر التعددية انطلاقاً من وحدة الله تدريجياً، وتتابع لا ينقطع من التجليات أخذاً أشكالاً لا حصى؟ ألا يعود بقاء العالم لهذا "الخلق المتجدد دوماً". الخلق الجديد المذكور في القرآن؟ ألا يتجلى الله لنا عبر أسمائه المختلفة. التي تبرز الجوانب غير المحدودة في خلقه؟ «نعرف وحدة الأوحدة بوحدة التعدد» كما يقول "ابن عربي"

«ما من زهرتان تتشابهان. ولا كرتان من الثلج. ولا بشران. كل منا فريد. على صورة الفرد الصمد»: كذا يقول الشيخ بن تونس. ففي الميتافيزيقيا الإسلامية يعود الخلق كله لله. ولا تتمتع الخلقوات إلا بوجود طارئ. تابع للذات الإلهية. وخلف الطبيعة المتغيرة للعالم تكمن إذا حقيقة دائمة تتجاوزها: لذلك أطلق الصوفية على الله اسم الحق. أي الحقيقي الأوحدة. والفن الإسلامي في إعادة رسمه بشكل لا متناهٍ لأشكال تند عن الضبط هو في الحقيقة يحيل إلى أصلها (يسمىها تيتوس بوركهاردت «الوفرة في الوحدانية»).

كذلك فإن علماء الإسلام التقليديين أدركوا هم أيضاً منذ البدء هذه الوحدة المركبة للكون. فقد لاحظوا في مجالات تطبيقية متعددة العلاقة المترابطة لكل الموجودات. وخلقيلهم للآيات الإلهية المتعددة الموجودة في الخلق يحيلهم باستمرار إلى التأمل في الواحد الأحد. وبعيداً عن المعرفة المعاصرة التي تفتت الإدراك بقدر ما تفتت مجال الدراسة. فإن هؤلاء العلماء أدركوا الوحدة الأساسية للعلوم. فكانوا في الوقت نفسه شعراء وعلماء رياضيات وفلكيين وأطباء.. الخ. وقد أدركوا أيضاً أن العلم يجب أن يكون تابعاً

للحكمة. الأمر الذي كان كارثياً جاهل الغرب له. إن علم البيئة في الإسلام يحتوي على أصول قرآنية جوهرية: صحيح أن الإنسان مُكْرَّم على بقية الخلقوات. ولكن فحسب بإعتباره «خليفة الله في الأرض». وهو بذلك مسؤول عن ممالك الحيوان والنبات والمعادن التابعة له. إنه بصفته تلك مُعَرَّض للمحاسبة عن إدارته لكونه كوكب الأرض. ألم يؤكد النبي ﷺ أن «الخلق عيال الله»؟

وإذا تناولنا مجالات الاعتقاد والفقه الإسلامي نجد أن الإسلام خلّو من أي سلطة عليا تضع العقائد وتحدد تفسيراتها بشكل نهائي. لذلك تتعايش في حضن الإسلام فِرَق جعلت الحدود بين الأرثوذكسية والبدعة متحركة جداً. صحيح أن عدم التسامح والتناذب كان هو الطاغى في الغالب على العلاقات بين هذه المجموعات. ولكننا نلاحظ أن أولئك الذين يرفعون بسهولة شعار التكفير لم يكونوا من كبار العلماء. فهؤلاء كانوا دائماً يحرصون على التمسك بالتيارات الكلامية المختلفة في الحيز الإسلامي لا بإخراجها منه. إنهم كانوا يتصدّون لمنهج «محاكم التفتيش» التي شاعت أحياناً في الإسلام الوسيط. وقد كانت المدرسة الشافعية في هذا المجال خير مثال على ذلك. فالغزالي وهو أحد أبرز مثليهم يؤكد: «أمسك لسانك عن أولئك الذين يتوجهون نحو القبلة». أي الذين يؤدون شعيرة الصلاة.

وتظهر التعددية الداخلية وروح التسامح بشكل خاص في مجال الشريعة الإسلامية. ولتدبر أولاً في الشريعة باعتبارها شبكة واسعة من الأوامر والقواعد التي يمكن خديدها في إطار ما. ولكن الكل يتجه نحو مركز واحد. لذلك ندرك بشكل أفضل السبب الذي جعل الشريعة الإسلامية تؤسس فعلياً لمبدأ الاختلاف في الرأي. ونحن نعلم أن المصدرين المقدسين: القرآن والحديث النبوي. ليسا واضحين دائماً. ويتطلبان التفسير. والأرثوذكسية الوحيدة التي تؤسس تاريخياً للإسلام السنّي. هي في النهاية. إجماع العلماء حول ما لم يرَ صراحة في القرآن والسنة. وهذا المفهوم. وهو في جوهره متعدد لاستناده إلى اتفاق أطراف مختلفة. يحمل في صلبه الخلاف أو الاختلاف.

وخلال القرون الأولى. في مرحلة تشكّل العلوم الإسلامية المتنوعة. كانت اختلافات الرأي تعتبر في الواقع ظاهرة طبيعية. تعود إلى مشكلات تفسير معطيات النصوص المقدسة.

كذلك فإن الله. بالنسبة لعلماء الإسلام. هو وحده الذي يعلم الحقيقة. والذين يفسرون أقواله تعالى لا يدركون بالضرورة سوى ومضات جزئية وذاتية لتلك الحقيقة. وسواء كان الحديث النبوي «اختلاف أمتي رحمة» موضوعاً أم صحيحاً فهو يصوّر ذلك الانفتاح على الآخر ويحدّد نوعاً من «أخلاق الاختلاف» المعتمدة بين العلماء الأوائل. ألم نر الإمام مالك يرفض طلب الخليفة المنصور فرض كتابه المشهور «الموطأ» كمرجع وحيد للفقه في العالم الإسلامي آنذاك؟ كان من الضروري. بالنسبة إليه. الحفاظ على تنوع في المصادر والتفسيرات. وظهرت المقاربة نفسها في مجالات أخرى من العلوم الإسلامية. كالتصوف مثلاً. ففي رحابه أكد الشيخ أحمد زروق في القرن الخامس عشر على أنه يشعر بالراحة كلما كان لأتباعه مواقف متباينة.

إنه يشير بلا ريب إلى الثراء البالغ للمواقف الروحية داخل الصوفية.

راجعون» (الأنبياء: ٩٣/٩٢). ولفظ «أمة» عند بعض المفسرين تعني هنا المجتمع الانساني وليس هذه المجموعة بعينها أو تلك. ومن هذا المنظور بالتحديد نفهم بشكل أفضل النداء الملحّ للرومي. هذا المتصوف الكبير من القرن الثالث عشر عندما يقول: «هلم! هلم! أيّا كنت، كافراً كنت أم مؤمناً أم وثنياً، لا يهم - ليست قافلتنا بقافلة اليأس. هلم! حتى لو أخلفت وعدك ألف مرة».

إن الإشارة إلى آدم في الإسلام ليست مجرد كلمة. إنها في البداية وعلى مستوى الوضع الإنساني تمثّل المرور من الوحدة إلى التعدد. ولنحتسّر من الاعتقاد، تحت تأثير أيّ من العلوم الإنسانية، إنه نوع من أسطورة مؤسّسة، لأننا بذلك ننكر الخصوصية التي تسكن كل فرد على هذا الكوكب. وكما قال تيارنو بوكار، حكيم باندياغارا: كل واحد من وُلد آدم مسؤول عن جزء من روح الله. وأدم (عليه السلام) أيضاً هو أول نبي تاريخي، باعتبار محمد ﷺ هو الأول على المستوى الكوني والميتافيزيقي. لا بد للمسلم إذاً، الذي يعتبر كل الأنبياء مسلمين بمعنى «تسليمهم العملي للإرادة الإلهية»، إحياء رسالة آدم، مثل باقي الرسالات النبوية. إن المسلم يؤمن بإبراهيم وعيسى كما يؤمن بمحمد ﷺ لأنهم حبات مسبحة واحدة.

ويعلمنا «ابن عربي» أن لكل نبي حكمة خاصة، يتوجّب على المسلم في الحدود الخاصة بكل واحد أن يحييها. وبما أن النبي محمد ﷺ قال بوجود مئة وأربعة وعشرين ألف (١٢٤ ألف) نبي، فإن للمسلم ثروة روحية هائلة. ويعتبر بعض العلماء أن بوذا واخناوتون وزردشت مثلاً هم ضمن لائحة طويلة من الأنبياء الذين يربطوننا بآدم. وبالنسبة للصوفيين فإنهم يحققون هذا الإرث النبوي في داخلهم. ومثال هؤلاء «ابن هود»، المعلم الأندلسي الذي عاش في دمشق في القرن الثالث عشر. كان يعقد هناك اجتماعات مسكونية (œcuménique) قبل الرسالة. وكان يسمى «شيخ اليهود» ويمارس تأثيراً روحياً كبيراً على المتصوفة. وعندما ألحّ عليه أحد المسلمين في أن يصبح من أتباعه سأله إن كان يفضل اتباع الطريقة الموسوية أو طريقة عيسى أو طريقة غيرها من الأنبياء الآخرين. وعندما يتكلم بهذه الطريقة المستفزّة فهو يتصرّف كمسلم سوّي: ولا بد من التأكيد هنا أن الأولياء في

وهو ما ينأى بها عن كل نمطية. أن تكون متصوّفاً في الإسلام يعني أن تتبع الطريقة الحمديدية، التي تجمع كل الطرق الخصوصية. أي كل الجماعات الصوفية. أليس مرجع المتصوفة، أو مرجع السنة هو النبي محمد ﷺ، وبقية الشيوخ متبعين له؟ في الإسلام الكلاسيكي كان مريدو الطرق في الإسلام الكلاسيكي يشعرون بالانتماء لعائلة تتلمذ واحدة كبيرة. وهذا بالرغم من بعض التنافس الراجع إلى طبيعة الذات البشرية: وفي وقتنا الحاضر ضاعت هذه الفسحة في الرأي أحياناً، حيث يسيطر الرأي الأوحّد لدى الطرق. وذلك بشكل مقصود.

حملت الديناميكية وحدة / تعدد في الإسلام مع مطلع هذا القرن الحادي والعشرين ثماراً استطاع الغرب المعاصر قطفها. كما يمكن لها أن حُدث هنا فتحاً معجزاً في المجالين الروحي والحضاري. فبالنسبة للإسلام لا توجد غير ثقافة إنسانية واحدة ننسب إليها جميعاً. تلك الصادرة عن «آدم». لا شك أن الله وَزَعَنَا على الأرض إلى شعوب متعددة بهدف التدرّب على معرفة بعضنا البعض ومن ثمّ على الاحترام المتبادل. (أحيل هنا على قوله تعالى «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» (الحجرات: ١٣)) وقوله تعالى «ومن آياته خَلَقَ السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين». هنا يكمن الدليل الذي أشارت إليه آيات قرآنية أخرى. دليل التنوع والافتراق. ولن يرفع هذا الدليل حتى يرث الله الأرض ومن عليها. حيث يقول سبحانه: «ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة. ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون» (المائدة: ٤٨). والقرآن كما ترى يلقي تحدياً دائماً للمجتمع الإنساني: الاعتراف بالآخر. وما يفتأ كتاب الله المقدس إلى شدّ انتباهنا إلى أن وعينا البشري فريد رغم أننا محاطون بأشكال عدة من الحياة. وهذه الدرجة من الوعي يجب أن تدفع المسلمين إلى عدم الاقتصار على حدود الأخوة الإسلامية. إن عقيدة وحدة الجسد التي تعطي للأمة المسلمة تناغمها لا ينبغي أن تغفل البعد العالمي فيها. يقول الله تعالى «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون. وتَقَطَّعُوا أمرهم بينهم كل إلينا



المادية: وإذا كان لا يزال واثقاً من نفسه على المستوى المادي، فإنه يبحث أكثر من أي وقت مضى عن ذاته. وفي هذا الفضاء المفتوح، حيث تحرر الإنسان - أحياناً بطريقة جامحة - من دلائله النفسية والاجتماعية بل وحتى الدينية القديمة، فإن الأفضل كما الأسوأ يمكن أن يظهر في أي وقت. على الإسلام أن يساهم بتقديم البصيرة الضرورية، الفرقان الذي هو اسم من أسماء القرآن الكريم. ولكن إذا ما ذهبنا أبعد من ذلك، وفي مواجهة هذا الغول المسمى «العولة»، وفي مواجهة الأخطار المختلفة التي تهدد الأشخاص كما تهدد هذا الكوكب، ألم يحن الوقت لقيام اتحاد مقدس بين المؤمنين وأصحاب النزعات الإنسانية الحقيقيين؟ وعلى كل، لم يعد لنا من خيار: إذا ما أردنا أن نبقى على بشرتنا، لابد أن نكون روحانيين؛ وإذا ما أردنا أن نكون متدينين لابد أن نكون كونيين .

الإسلام يمكنهم أن يرثوا الرسل السابقين عبر الوظيفة الجمّعية للنبي محمد ﷺ. سيرتوي الكلّ من «الحيط المحمدي» حسب تعبير الأمير عبد القادر .

هناك إذاً وحدة وتعدد في الرسالات. لأن كل واحدة منها نابعة من «الدين القيم». يقول تعالى: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا» (المائدة: ٤٨). ويرى المفسرون الأخذون بالظاهر في هذه الآية تبريراً لتنوع التقاليد الدينية، التي تجد نفسها موحدة بطريقة غير ظاهرة بمحور التوحيد. وهنا يكمن أحد الاختلافات بين المسيحية والإسلام. تأخذ الأولى بمفهوم خطي للزمن، تميّز فيه بين ما قبل المسيح وما بعده. أما الإسلام فإن الزمن يمثل عنده دورات متعددة، تأتي كل منها على إثر الوحي الإلهي. كما أن كل كائن في العالم هو جل لاسم من أسماء الله، وكل دين يكشف جانباً من الجوانب الالهية. وكما أشار إلى ذلك الجنيّد، الصوفي البغدادي الكبير، فإن «لون الماء ليس إلا اللون الذي يتخذه في هذا الإناء أو ذاك» .

ولا شك أن الصوفيين تمثّلوا هذه «الوحدة المفارقة للأديان» بشكل متصاعد، بالرغم من كونها تفرض نفسها على كل مسلم، دون أي نزعة توفيقية. ألم يقل النبي ﷺ: «نحن معشر الأنبياء إخوة أصلنا واحد وديننا واحد»؟ . ولا شك أن الإسلام، بالنسبة للمسلم، هو خاتم الرسالات، وهو لأجل ذلك يحمل على عاتقه في العصور الراهنة وبطريقة قصوى تحين منطوق الإرادة الالهية. ولكن الأديان ليست أقل أهمية في ذاتها، فهي تشارك في المشروع الالهي. وعطفاً على بعض هذه التأملات - التي يمكن أن نسحبها على مجالات أخرى في الاسلام - فإننا نقدر إلى أي درجة يمكن لإسلام معلوم ومطبّق في فسحاته أن يهزم دوغماتيات ضيقة، ويضع حدّاً لمعارك الأجراس، أو المآذن، حتى يصير الإنسان في النهاية ناضجاً. ونعتقد أن الاسلام بما يملك من قدرة على التأليف والتكامل يستطيع أن يساعد الإنسان المعاصر الذي تاه أكثر من أي وقت مضى في عالم المظاهر والتعدد على إعادة اكتشاف وعيه الموحّد، يساعده على إعادة ترتيب أوراقه .

إن كياني المادي والنفسي والروحي متناسق؛ إنه غير مقيد بموجات متعددة من التجلي، لأنني أحقّق في داخلي التوحيد الإلهي: نقطة إرسائي. كذلك فإن الإسلام التاريخي المتوحّد حول محور محدد، كان دائماً ما يتكيّف مع السياقات الزمكانية المختلفة دون أن يفقد ما فيه من جوهر. إن قَصْر الإسلام في ثقافة معيّنة أو أرض أو نموذج محدّد تضيق للإمكانات الإلهية الهائلة. ولابد من الاعتراف بأن كثيراً من المسلمين ينتجون تصوّرات أكثر فقراً عن دينهم من تلك التي تنتجها بعض وسائل الإعلام الغربية! هذا بالرغم من أنه حَرِيٌّ بالمسلمين ألا يخشوا من لقاء الإسلام بالغرب، لأنهم أكثر استعداداً من غيرهم لتحقيق الوحدة وسط هذا العالم المدهش. وفي الوقت الحاضر فإن علماء الصوفية ومشايخها الشرقيين يعوّلون كثيراً على هذا اللقاء. فالغرب قد لأمس قاع الحضارة





أخطاب الصوفي في عصر العولمة والمعلوماتية

أسرة المجلة



بها، ويقبل على التعامل معها من خلال معايير الشريعة، مستهدياً بأنوار الطريقة، ولا يعدها من الأمور التي ينبغي الوقوف بوجهها، أو يناصبها العداء .

فينصاع إلى الأمر الإلهي عند تعامله مع المتغيرات العولمية والمعلوماتية ، ويقتضي ما جاء في ظاهر الشريعة دون أن يقحم نفسه في محاولة لتأويل النص، حيث تبرز آثار النفس الأمارة بالسوء، وتغيب آثار النفس المطمئنة. ودليله في هذا السلوك قوله تعالى : ﴿ فَخَذُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ ﴾ (سورة النساء : آية ٩٠) .

ويشاهد حقيقة الأمر بأن كل الأفعال التي تصدر عنه، ليست سوى أمر إلهي متوجه نحو عالم الشهادة، فليس سوى أمر الله يمسك بزمام الأمر كله بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (سورة الأنفال : آية ١٧) .

ثم لا يلبث أن يسود نفسه يقين مطلق بأن كل ما نعيشه الآن، مصدره إلهي صرف، وليس كما يتوهم البعض بأنها آثار جانبية لأفعال بشرية، عندما يلقي في روعه قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ . سورة آل عمران : آية ١٢٨ . ثم ترسخ في نفسه حقيقة أن كل ما يطرأ من أمور

يقف الصوفي في عصرنا الراهن في مقام برزخي وصفته بدقة الآية الكريمة : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ (سورة الرحمن : آية ٢٠) . فالبحران هما بحر الشريعة الذي تمتد أطرافه لتشمل جميع مفردات عالم الشهادة وتشعباتها، وبحر الحقيقة الذي لا قرار لتخومه حيث تنتشر آثاره على عالم الأمر، وحيث الغيب والأمر الإلهي .

وعلى هذا الأساس نجد الصوفي يقف دائماً بين ضدين، ومشاهدة نقيضين . ينفي ويثبت ، لا يستقر به قرار ، ولا تطمئن به دار ، متحرك ساكن، وراجل قاطن مع أحواله ومقاماته .

يشاهد أمور الدنيا من عولة ، وتدفق المعلومات ، وطغيان أنشطة الإنترنت ، والتجارة الرقمية ، من خلال قوله تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا فَمَا يَرْزُقُكُمُ اللَّهُ وَرُسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة التوبة : آية ١٠٦) . وينظر إلى دائرة الحقيقة من خلال قوله تعالى : ﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَّا كَسَبُوا ﴾ (سورة البقرة : آية ٢١٤) . فيعتقد يقيناً بأن جميع التيارات العولمية التي تعصف بمفردات عالمنا المعاصر هي نتيجة حتمية لتجليات إلهية على الكون، نشأ عنها ما نراه من متغيرات سريعة، في عالم الشهادة، لا حول للإنسان بها ولا قوة ، فيقبل





حوله هي بلاء وفتنة في خيرها وشرها لقوله تعالى :
﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة الأنبياء :
آية ٣٥) .

ثم ترنو أنظاره إلى أصحاب الطريقة العلية الذين تمسكوا
بحدود الشريعة، وآداب الطريقة ، فيجد معهم طمأنينة ،
وتحقق السلامة من الإنحدار مع آفات الدنيا وزينتها ، بعد أن
يلقى في روعه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكُمَا يَبَايِعُونَ
اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (سورة الفتح : آية ١٠) .

آنذاك تنجلي أمامه مقامات عبوديته المطلقة للبارئ عز
وجل ، ويعلم علم يقين بأن عليه مداومة المراقبة في كل
حركة وسكنة يقوم بها . لأن مآله إلى الله تعالى كما أخبرنا
البارئ عز وجل بقوله : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (سورة مريم : آية ٩٤) .

فَتنمحق ذاته، وتخفت نداءات الجزء الدنيوي منه ، ويطمئن
قلبه عندما يتحقق لبصيرته الصوفية بأن كل ما يسري في
الكون بقدر، وأن كل الحسابات الرياضية، والإحصائيات بالغة
التعقيد، التي تقوم بها الحاسبات الإلكترونية، والمؤسسات
العملية العلمية والتجارية، والصناعية لا يمكن أن تتجاوز
العقبة التي حددها الأمر الإلهي لها . ودليله على ذلك قوله

تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

وهكذا سيبقى الصوفي ، في عصرنا الراهن، بين نارين ، نار
الشريعة والأمور التي تدور في فلكها، ونار الحقيقة والأحوال التي
تتوالى نفحاتها على ذاته بالليل والنهار . فالحقيقة تطالبه
بالحقيقة لكي يستهدي بأنوارها . والحقيقة تطالبه بالشريعة
لكي يلتزم بحدودها وآدابها ، وهذا هو الابتلاء الذي أشار إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ
بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ ﴾ [أخرجه الإمام أحمد في مسنده : الحديث ٢٥٨٣٢] .

وعند مركز هذه الدائرة الإحاطية لا يتبقى أمامه لكي يلتزم
بحدود الشريعة ، ويتمسك بأهداب الطريقة ، إلا أن يلتزم بفحوى
خطاب آخر آية أنزلت على قلب رسول الله ﷺ ، فختمت باب
وحي جبريل عليه السلام ، وختمت رسالة خاتم الرسل صلى الله
عليه وسلم . واستكملت دائرة الحقيقة المحمدية الجامعة بقوله
تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ (البقرة : آية ٨١) .

فيلتزم بشعار التقوى ، ويتدثر بدثار الإحسان ، لأنهما أجمع عقار
شافي لصوفية عصر العولمة والمعلومات ، ويترك الالتفات إلى
دائرة الدنيا - إلا من جهة كونها وسط لسريان أوامر الشريعة
من جهة ، وقوابل لآثار الحقيقة بحسب ما حباها الله تعالى من
استعداد ، وأكرمها من أنوار الاستعداد ، من جهة أخرى .

السيد الشيخ الغوث عليه السلام الاستاذ الأجل للمدرسة الكنتزانية

وهو السيد عبيد الكريم بن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد عبيد الكريم بن السيد إسماعيل الوليداني بن السيد محمد النودهي بن بابا علي الوندريته بن السيد بابا رسول الكبير بن السيد عبيد السيد بن السيد عبيد الرسول بن السيد قلندر بن السيد عبيد السيد بن السيد عيسى الأحمد بن السيد حسين بن السيد بايزيد بن السيد عبيد الكريم الأول بن السيد عيسى البرزنجي بن السيد بابا علي المحدثاني بن السيد يوسف المحدثاني بن السيد محمد المنصور بن السيد عبيد العزيز بن السيد عبيد الله بن السيد إسماعيل المحدث بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام البتول بنت الحبيب المصطفى عليه السلام.

ولد في عام ١٢٢٥ هـ في قرية كسنزان التابعة لناحية قره داغ في محافظة السليمانية . وبهذه الولادة المباركة ظهر إلى الوجود رمزاً دينياً كبيراً ومحبباً له . وواجهت خلفيته محمديّة ملحة . وبرزت أيضاً محبباً يُوقد بفيض من أسرار المعاني القرآنية وفيهم الإسلام المؤصلة وركائز الدولة الإلهية للأيام وفوائد السنن الكونية الداعمة والشارقة .

لقد كانت بداية رحلته نحو السمو الروحي حينما كان يذهب كل يوم إلى الصيد في الجبل . فأناح له تواجد في الطبيعة بين الجبال فرصة التفكير بعظمة الخالق . حيث ينفرد مع خالقه على القمم الشامخة ويرى نفسه صغيراً فوق كبير والكبير الحق فوق كل عظيم . وكلما صعد إلى قمة جبل كان يرى نفسه مبتعداً عن الدنيا وأهلها ويعرج منها إلى الفضاء .

وحبب إليه الاعتكاف في الجبل وكان يُطيل من فترات مكوثه فيه . وفي أحد الأيام رأى غزالاً فتحرك نحوه ليصطاده وما زال يقترب منه حتى أصبح على مقربة كبيرة والغزال ثابت لا يتحرك . وليس بينهما حاجز . ثم يكن ذلك مأثوماً لديه



وإذا بالغزال يكلمه ويقول له : (ما خلقت للصيد أيها الصياد) . ثم انصرف الغزال عنه .

وعاد إلى بيته وغرابة هذا الأمر قد أخذ منه مأخذاً كبيراً فسافر في اليوم التالي إلى خاله الشيخ (عبد القادر قازان قاية) الذي كان آنذاك شيخاً للطريقة القادرية .

ولما استقر به المجلس ، اقترب منه أحد الدراويش من ذوي الأحوال وهمس في أذنه جاء دورك ... بدأ دورك ، فأشعره بأمر اطمأن له قلبه وكنتم الأمر في نفسه ، لكن خاله الشيخ عبد القادر كاشفه بحكاية الغزال فأخذته الدهشة والخشية ، فابتسم الشيخ وقال له : (خذ بالإشارة يا ولدي) ، وكان ذلك إيذاناً بأخذ العهد على يد خاله .

لقد كان السيد عبد الكريم الأول شاباً متوقداً بالذهن مقيلاً على الله بكل ما أوتي من عزم وهمة وكان نموذجاً رائعاً وقدوة مثلى وشعلة وهاجة تبدد الظلام ومصباحاً يضيء الدرب أمام السالكين سائراً على هدي جده سيدنا محمد ﷺ لترسيخ القواعد الإسلامية وبناء النفس البشرية على الأسس الروحية للقرآن الكريم ، فأقبل على ربه بكل ما أوتي من عزم وإيمان ، أخذ الكتاب بقوة نابذاً وراءه ما يشغله عن ذكر ربه من الأمور الدنيوية فبعد أن أخذ البيعة من خاله الشيخ عبد القادر قازان قاية ، اعتزل الناس وانفرد بمناجاة ربه ذاكراً لله متأملاً في خلقه محققاً الوصول إلى القرب من حضرته جل وعلا سالكاً طريقاً روحياً لم يسبقه إليه أحد من قبل .

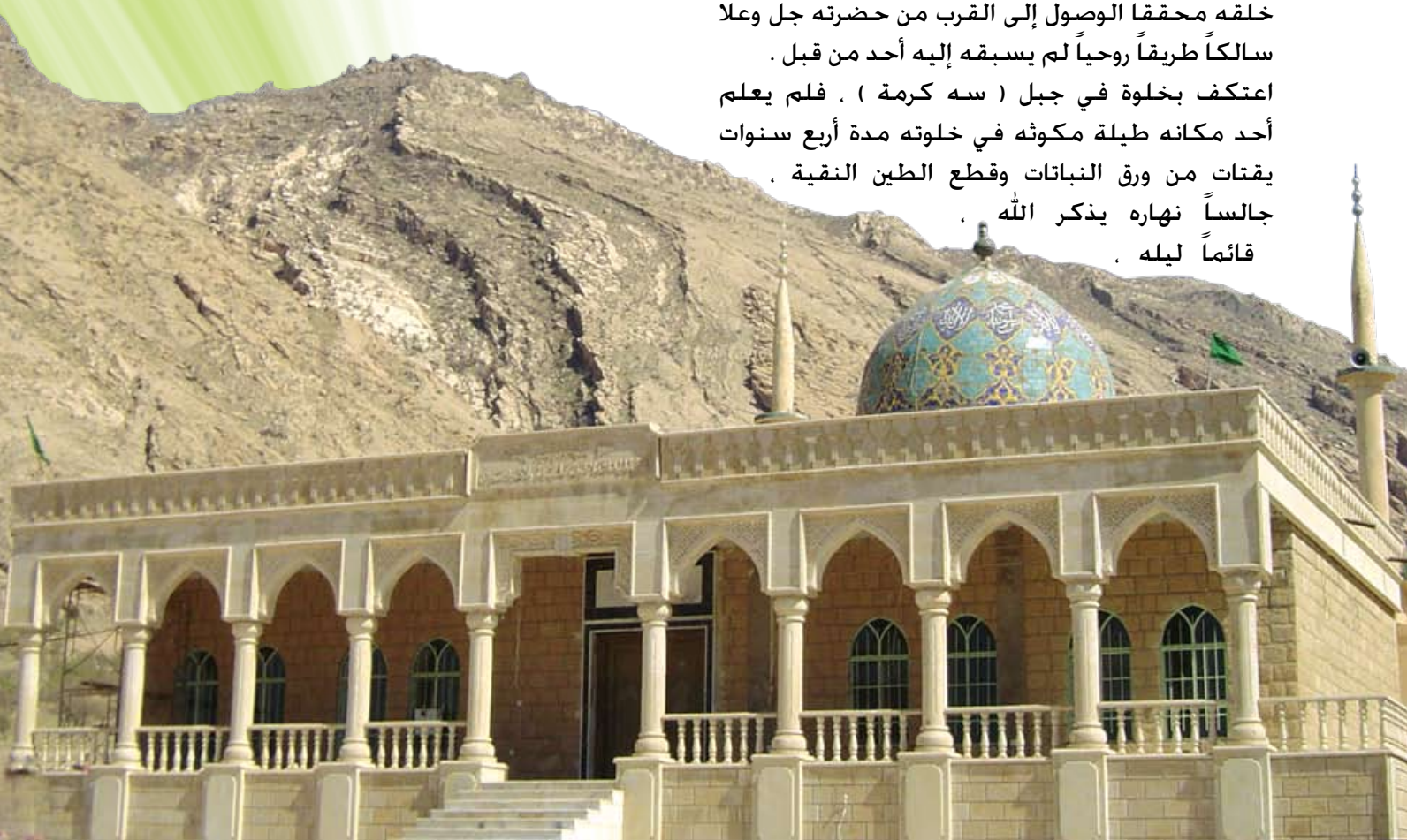
اعتكف بخلوة في جبل (سه كرمه) ، فلم يعلم أحد مكانه طيلة مكوثه في خلوته مدة أربع سنوات يقتات من ورق النباتات وقطع الطين النقية ، جالساً نهاره يذكر الله ، قائماً ليله .

وجل القلب ، راكعاً ساجداً متقرباً إلى ربه جل وعلا . يمارس مختلف المجاهدات ترقية لنفسه وسموا بها إلى عالم الحق والتجلي .

فانقطعت أخباره عن الناس ، أما أهله فقد بحثوا عنه في كل مكان ولم يجدوا له أثراً وهكذا بقي أمره غير معروف مدة أربع سنوات

حتى أميط اللثام عن سر اختفاء هذا الغوث عن أنظار الناس الذين ظنوا أنه قد مات ، وذلك حين أنعم الله تعالى على أخيه برؤية عرف منها مكان اختفائه وخلوته ، فأطلقوا عليه لقب (الكسنزان) وهي كلمة كردية تعني (لا أحد يعلم) ، ومنذ ذلك الحين عُرف السيد الشيخ الغوث عبد الكريم بلقب (شاه الكسنزان) .

وقد اقترن اسم الطريقة العلية القادرية به فسميت من زمانه وإلى يومنا هذا بـ (الطريقة الكسنزانية) . استقر السيد الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان في قرية (كرجنة) في شمال العراق وأصبحت مركزاً لإرشاده الديني ، فبنى بها التكايا وأنشأ المدارس الدينية وأصبحت بحق قبلة كل المريدين والأتباع ومنبراً للعلم والنور ومقصداً لطلاب الحق والحقيقة من كل بقاع العالم . وروي أن أحد أتباعه وكان مُريداً زاهداً إذ طلب ذات مرة من حضرة الشيخ أن يرى حضرة الرسول ﷺ في المنام لأنه كان في غاية التشوق لرؤيته ، فقال له الشيخ :



إن الوصول إلى حضرة الرسول ﷺ ليس بالأمر اليسير فذهب إلى كهف كذا في جبل كذا . فلما ذهب المرید إلى الكهف رآه مليئاً بالذهب وبالأشياء الثمينة فعاد إلى الشيخ وأخبره بما رأى دون أن تلمس يده الذهب . فقال له الشيخ : إني أعلم بأنك رجل فقير الحال . خذ من الذهب ما تصبح به غنياً وتنجو من الفقر الذي أنت فيه فهذا مال الله .

قال المرید : إني اشتغلت بمجاهدة نفسي مدة عشرين سنة ولن أبدل الآخرة بالدنيا وإني راضٍ بفقرى ولا أطلب الغنى .

فقال له الشيخ : نجحت في الامتحان . ثم هذه الليلة فتتشرف بحضور سيد الكائنات ﷺ . فنام المرید ليلته وإذا بحضرة الرسول الأعظم ﷺ يُشرف المرید بحضوره ويقول له : (أدن مني لقد انتخبك ابني عبد الكريم لتحفظ برؤيتي) .

وللشيخ ﷺ كرامات لا يمكن عدّها . نورد بعضاً منها :

• بينما كان الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان جالساً في أحد مجالس التصوف ذات يوم . رأى أحد الطيور الجارحة وهو يهاجم عصفوراً صغيراً ليأكله فرفع الشيخ يده وقال للعصفور تعالٍ أحملك منه وإذا بالعصفور يلقي بنفسه في يد الشيخ ؟ .

• توجه رجل يهودي إلى قرية كيرجنة في زمن الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان ظاناً أنه يجد عند الشيخ الشاه الكسنزان علم السيمياء لتحويل المعادن إلى ذهب دون أن يعلن سبب مجيئه .

وذات يوم بينما كان الشيخ ذاهباً إلى حوض الماء الذي كان يتردد عليه للوضوء والصلاة الواقع خارج القرية . رأى اليهودي في طريقه . فقال له : إن الذي أتيت من أجله ليس هدفنا ولكن انظر إلى الصخرة التي أمامك . فأشار إليها الشيخ بإصبعه . فتحولت إلى ذهب خالص فتعجب اليهودي من ذلك . وسأل الشيخ : لماذا لا يستعمل هذا العلم للعيش برءاء ؟

فأجاب الشيخ : إننا لو رغبتنا في ذلك لما مُنحنا هذه الرتب .

فاسلم اليهودي وتاب على يد حضرة الشيخ .

وهكذا انصرف الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان كلياً عن ملذات الدنيا وترفها وبذخها فعوضه الله تبارك وتعالى عن ذلك بعلم من لدنه يستطيع بواسطته أن يحول الأشياء إلى ذهب خالص متى شاء . ولكنه زاهد فيها ومستغنٍ عنها بالقرب من جناب الحضرة الإلهية .

• توجه الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان إلى برزنجة لزيارة أجداده . وحينما وصل إلى مشارف القرية استقبله عدد كبير من أهالي برزنجة بما فيهم العلماء ورجال الدين فلما رآه أحد العلماء قال في نفسه كيف يكون شيخاً مثل الشاه الكسنزان بلا حية ولما انتهى الشيخ من زيارة أضرحة أجداده وهو محاط بعدد كبير من المريدين والزوار توجه بنظره إلى ذلك العالم وقال له يا ملا .. إن للحية ليست هي أصل العبادات وعمدتها . بل العبادة في إخلاص النية لله والعمل والتقوى والجهد في سبيل الله .

• وقع القحط في سنة من السنين وكان الناس يموتون جوعاً . فذهب الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان إلى قرية مجاورة ليشتري حاجته من الشعير وكان معه ابن أخته .

فقال له : يا خالي .. لا شك أنك من أقطاب دهرك فلم لا تطلب من الله أن يغنيا ويغطينا مالاً في هذه السنة التي يموت فيها الناس من الجوع ؟

فلما سمع الشيخ كلامه أشار بعصاه إلى حجر كبير في الطريق . فانشق الحجر وخرجت منه مجموعة من الليرات الذهبية .

فقال ابن أخته : كفانا يا خالي لقد أصبحنا أغنياء . عندئذ ضحك الشيخ وأشار ثانية إلى الحجر فاخفت بداخله الليرات الذهبية . وقال يا بني : تكفينا حُقّة الشعير . أما الذهب فإنه لأهله وطلابه .

• كان عند الشيخ خادم يخدمه وذات ليلة ذهب الشيخ بعد منتصف الليل إلى الجبل للتعبد وذهب الخادم إليه فرأى الشيخ يصلي والقرب منه حجر كبير يصلي معه فجلس الخادم بالقرب منه وإذا بطائر مثل الحمامة يهبط ببطء أمامه يتكلم بلغة لم يفهمها . فمسح الشيخ عبد الكريم رأس الطير بيده وأجابه بلغته . ولما رأى الشيخ خادمه جالساً بجواره قال له لا تفش هذا السر إلا من بعد موتي .

• روى رجل فقال : كنت مصاباً بتشمع الكبد سنة (١٩٦٧ م) فراجعت الأطباء مدة طويلة ولكن دون جدوى وكان والدي أحد مُريدي الشيخ عبد الكريم الكسنزان وقد بلغ من العمر ما يزيد على الثمانين وهو رجل متصوف فقال لي يوماً يا ولدي أطلب الإستمداد من روح الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان واقرأ له سورة الفاتحة هدية لروحه الطاهرة . ففعلت ما أمرني به والدي ومُت في تلك الليلة . فرأيت رجلاً يقول لي :

لم ناديتني يا بني ؟
قلت له من أنت ؟

قال لي : أنا الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان . ثم
مسح بيده على بطني وقال لي قم معافى مشافى بإذن
الله . فاستيقظتُ من النوم ولم يبقَ بي من أثر المرض
الخطير شيء .

وغير ذلك من الكرامات ما يطول بذكرها المقام .
وله مواعظ جليلة وأقوال عالية في التصوف وإرشاد
المريدين . منها :

(يا ولدي إن الدنيا خيال وما فيها إلى زوال همّ أبناء الدنيا
إلى دنياهم وهمّ أبناء الآخرة آخرتهم إياك والدعوى
الكاذبة) .

(الدنيا أولها ضعف وفتور وآخرها موت وقبور . فاربط
قلبك بالله واعرض عما سواه . واجعل سلوكك في
طريق الفقراء واستقم على قدم الشريعة واحفظ نيتك
من دنس الوسواس وامسك القلب عن الميل إلى الناس
وكلّ خبزاً يابساً وماءً مالحاً من باب الله ولا تأكل لحماً
طرياً وعسلاً من باب غير الله وتمسك بسبب لعيشتك
بطريق الشرع من كسب حلال) .

(أيها المريد إياك من كسر قلوب الفقراء وصل
الرحم وأكرم الأقارب واعف عمن ظلمك
وتواضع لمن تكبر عليك أكثر من زيارة
الفقراء ومصاحبتهم وقم بقضاء
حوائج اليتامى وأكرمهم) .
(ما أكلت تفنيه . وما عملت
لبست تبليه . وما عملت
من خير أو شر تلاقيه) .

(اعلم يا ولدي أن التوجه إلى الله حتماً مقضياً وفراق
الأحبة وعداً مأتياً) .

(يا ولدي لا تتردد على أبواب الملوك والحكام . وأكثر من
زيارة الفقراء ومصاحبتهم . وأكثر من زيارة القبور . وبادر
لخدمة الأرامل وقم بقضاء حوائج الأيتام وأكرمهم .
فأكثر من زيارة المتروكين من الفقراء) .

(يا ولدي إذا خالطت الناس فتخير صحبة الصالحين
فالمرء على دين خليله) .

(من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة
ومن لم يتهم خواطره لم يثبت عندنا في ديوان
الرجال) .

وبعد أن أرسى قواعد الطريقة وإحياء سنة الرسول ﷺ
وجدد روح الإسلام . اختير سلطان الغيب السيد الشيخ
عبد الكريم الشاه الكسنزان إلى جوار ربه عام ١٣١٧ هـ
ومقامه في كربجنة بشمال العراق .
وترك بعده من الأولاد :

(الشيخ عبد القادر . والشيخ أحمد . والشيخ فتاح .
والشيخ معروف . والشيخ محمد . وشيخ رضا) .
وقد أجاز بعده الجلوس على سجادة المشيخة ولده
السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمه الله .



خواطر صوفية

د . هالة أحمد فؤاد

صمت الأصل وخيلاء القدايسة

أحدية مصمته لا يتخللها الفراغ . ولا تخضع للوصف والحد أو الانقسام والتجزئة والتركيب . أو التناقض والمباينة . إنها أحدى الأصل المحض الذي لا أصل له . ولا مثيل . ولا ضد . يكتسب الصمت هنا طبيعة وجودية متعالية . بما يمنحنا مشروعية الحديث عن ميتافيزيقا الصمت الصوفية . وهو في هذا السياق ليس قريناً للكلام أو نقيضاً له . أو أحد مستويات غيابه ومحوه . بل يمكننا القول أن الكلام بوصفه ممارسة للانقسام والبنوية . وتجسيدا للحوارية والجدل الثنائي الحيوي . ليس مفترضا أو مطروحا من الأصل في هذا المستوى الوجودي المفارق مفارقة مطلقة.

إن الحديث عن هذا الأصل الوجودي بوصفه الصمت أي الكيان المصمت وجودياً هو سلب للصمت الذي غائبه الكلام وقرينه الدائم . وهو الصمت الملى بصخب اللغة وحضورها الخايل الملتبس . بل أنه تلك الثغرات والفراغات التي تخترق الكلام . وتنطوي على ما نواريه ونخفيه ونسكت عنه ! أي أننا نسلب عن الصمت الوجودي المصمت ملامحه الإنسانية المعرفية واللغوية والقيمية . لكننا . وبها لها من مفارقة نؤنس الأصل حين نحاصره بإطلاق لفظ الصمت عليه . ونقيده بوصفه بالكيان المصمت . لكننا لا نملك شيئاً حيال ذلك القصور الإنساني . إنها اللغة الإنسانية تعلن عجزها الكلي عن اقتناص هذا المستوى الوجودي الإلهي المحض أو القبض عليه . ومحاصرة كليته .

وتُتخيل في فضاءات السلب المطلقة هو غيب الغيب ، أو تنزيه التنزيه ، فيما يقول ابن عربي ، لأن نعته بأي صفة أو تسميته إنما هو تقييد له ، حتى صفة الإطلاق ذاتها لا تسري عليه لأنها تفترض نقيضها (المقيد) ، وهو ما لا يجوز في حق هذه الذات المحضة الكامنة فيما وراء التشابهات والتناقضات في آن . ويطلق على هذه الذات ، تجاوزاً ، غيب الهوية ، والغيب المصون ، والغيب المكنون ، وهو ما يشرحه لنا القاشاني في معجمه الصوفي، قائلاً :

«الغيب المكنون :

يشيرون به إلى كنه الذات الأقدس تعالى ، ويعبر أيضاً عن كنه الذات بالسر المصون، الذي هو أبطن كل باطن وبطون ، لأنها كما علمت لا تشهد ، ولا تعلم ولا تفهم ولا تدرك ، وإنما يدرك منها أنها لا تدرك».

أما عبد الكريم الجيلي في كتابه

والإحاطة بإطلاقيته، وتدجين انفلاته الوحشي أو أسره في إطار مقولات الوعي ، وثنائيات الكلام والمعنى الإنساني . ليس أمامنا إلا أن نعلن عجزنا الإدراكي المطلق إزاء هذا الكنه الوجودي الأصيل ، أو محاولة فهمه ، وصياغته على مستوى الوعي واللغة . كما قال الصديق فيما ينسب إليه المتصوفة :

«العجز عن درك الإدراك إدراك»

الصمت المحال ، المعنى الإلهي البكر الطازج ، الذات المجردة الساذجة محض الوجود ، فيما قبل البدء ، واجترافات الكلام الإلهي ذاته سواء كان الكلام النفسي القديم (حديث الذات مع ذاتها دون حروف أو ألفاظ) ، أو الكلام المتوجه على أسماع المخلوقات ، خلقاً وأمرًا ، تكويناً وتشريعاً . يومئ هذا الصمت الوجودي إلى لاهوت السلب حيث لا نعلم عن كنه هذه الذات المحضة المستغنية بذاتها لذاتها عن كل ما عداها ، سوى الوجود ، ومطلق التجريد .

يقول الخلاج في طواسينه مرهصاً بهذا المعنى :

« أفهام الخلائق لا تتعلق بالحقيقة ، والحقيقة لا تليق بالخلق ... الحقيقة دقيقة ، طرقها مضيقة ، فيها نيران شهيقة ، ودونها مفازة عميقة » .

يكن الصمت المحض المصمت ، وجودياً ومعرفياً فيما وراء حدود الوعي واللغة الإنسانية ، لكنه لا يمثل غيباً لهما أو باطناً ، كما لا يشكل حداً لأي منهما أو تخوماً لا يمكن تجاوزها ، كما رأى شتاينر في كتابه «اللغة والصمت» ، ذلك أن شتاينر يتحدث عن الألوهية التي لا تفارق مفاهيم التجسيد الكامنة في التراث المسيحي الغربي ، أما صوفية الإسلام ، فيتحدثون عن فصل معرفي تأملي بين ذات محض مفارقة ، من ناحية ، وبين ألوهية (هي جمعية الأسماء والصفات الإلهية) ، من ناحية ثانية، وهذه الألوهية هي وحدها المتورطة في العالم ، والمتجاذلة معه عبر ثنائيات الأصل والصورة ، الباطن والظاهر ، والغيب والشهادة ، الإله والمألوه ، الرب والمربوب ، الخالق والمخلوق... الخ . ووفقاً لهذا لا يشكل هذا الصمت الوجودي المحض حداً للحياة ، فيغدو قريناً للموت ، ولا يخضع لجديليات المطلق / النسبي ،

اللامتناهي / المتناهي ، الروح / المادة ، الحضور / الغياب فهذه كلها تنويعات على تيمة الألوهية التي تتجلى في الموجودات ، كلياً وجزئياً ، وتمنحها حضوراً مخيلاً ينطوي على غيابها بوصفها المصدر الحقيقي للإمداد بالوجود والمحافظة على استمراريته .

وكونها الإمكانية الوحيدة المتاحة ، والواردة للمعرفة والكشف الإنساني .

ويعتبر هذا الصمت

المصمت لأحدية

الأصل المحض

الذي تُقترح

علاقاته

خواطر صوفية

صمت الأصل وخيلاء القداسة

«الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر والأوائل» . فيقول :

« إن ذات الله تعالى غيب الأحدية ... لا تدرك بمفهوم عبادة . ولا تفهم بمعلوم إشارة . لأن الشيء بما يناسبه . فيطابقه أو بما ينافيه فيضاده . وليس لذاته في الوجود مناسب ولا مطابق ولا مناف ولا مضاد . فارتفع من حيث الاصطلاح معناه في الكلام . وانتفى بذلك أن يدرك للأنام . المتكلم في ذات الله صامت » .

ويساق هذا الصمت الوجودي . محض الظلمة . محض العدم . محض الوجود . محض النور . وكلها فضاءات للسلب المطلق الذي لا يفترض المغايرة أو المماثلة أو الضدية والاختلاف . فلا ثنائيات متصارعة أو متجادلة في هذا السياق . وليس إلا العمى والعجز المطلق معرفياً ولغوياً وقيماً . ويعبر الجيلي عن هذا بقوله « ليس إلا البهت » . ونضيف الرعب والصعق . بل الاحتراق الكلي في النيران « الشهيقة » . كما عبر الحلاج . وأدعى أنه فعلها حين أعلن متخيلاً أنه تجاوز سدرة المنتهى . بينما وقف محمد عند أعتاب الحريق . ولم يجرؤ أن يصير نار موسى الكبرى . ويحترق احتراق الفراشة المقدسة . فيما يقول ماسينيون في دراسته الهامة عن آلام الحلاج وعذابه المليء بمذاق الرغبة ولذة الشبق العارمة للخلود في أحضان الغيب المصون .

ولعل السؤال الذي يلح علينا الآن . هو لماذا أسس المتصوفة المسلمون هذا الفصل المعرفي بين مستويات الذات الإلهية ؟ أترأه كان مواجهة معرفية لإشكالية عقيدية استنفدت تاريخ علم الكلام . وشغلت مساحة من الاهتمام الفلسفي . وانعكست آثارها على آليات وكيفيات تفسير النص القرآني . ألا وهي مشكلة الذات والصفات . وعلاقتها الهامة والمعقدة بإشكالية التنزيه والتشبيه في القرآن . والذي يوهم ظاهره بالتناقض في

قوله تعالى في سورة الشورى « ليس كمثله شيء . وهو السميع البصير » ؟ ولعل هذا الطرح الصوفي كان محاولة لتوسيع مدى الرؤية . وإفساح المجال للتنوع والتعددية الدينية خاصة وإمكانية قبول تفسيرات مختلفة متباينة للنص القرآني دون الخضوع للعبة القمع الديني القائمة على إقصاء التنوع لحساب المنظور الأحادي . منظور الفرقة الوحيدة الناجية . وسيف الحقيقة النهائية المطلقة المسلط على رقاب العباد ؟ وبالطبع . لا يغيب عن هذا المنظور الصوفي الميتافيزيقي هواجس الواقع المضطرب وصراعات القوى داخل فضاءات النخب السلطوية بمستوياتها وتراتباتها المتعددة . والجدل شديد الخطورة والتأثير والفاعلية داخل اللعبة السلطوية بين الدين والسياسة والمصالح الاقتصادية والفرز الطبقي اجتماعياً ... الخ . وحيث تصاغ التفسيرات الدينية للنص . وتوظف إيديولوجياً لحساب السلطة المهيمنة . صاحبة السطوة والنفوذ ورجالاتها وقادتها العسكريين . ناهيك عن جماعات المصالح القوية المحيطة بها من النخب الدينية والاجتماعية والاقتصادية ... الخ .

ولعل الحديث عن مستوى الذات المحض المصمتة . ليس مجرد تنزيه ميتافيزيقي صوفي مبالغ فيه . وحسب . بل قد يكون منطوياً على نوع من الانقلاب المضرر اللاواعي ضد سطوة السلطة الاستبدادية القائمة بتجلياتها المتنوعة . وإعادة إنتاج القمع عليها عبر خلق مساحة الوجود المجهول المطلق اللامتناهي السالب الصامت المهدد . الأكثر سطوة وهيمنة لانفلاته الكلي من أي محاولة لتحديده أو تقييده . أو فهمه عقلياً وصياغته في قوالب لغوية . أو إخضاعه للفصاحة البيانية . فصاحة الإبانة والوضوح والسلاسة العقلية المنطقية . وهو ما ينقض بدوره سطوة البيان



السلطوي البليغ الذي كان إحدى وسائل الهيمنة الأساسية في الحضارة العربية الإسلامية الوسيطة . كما هو معروف .

حينئذ تواجه السلطة الفصيحة عجزها البياني المطلق عن القبض على هذا المعنى اللانهائي السرابي . وتستشعر وطأته الوجودية الصامتة المصمتة التي تتحدى سطوتها . وتدمر هيمنتها تكشف لها مدى ضعفها وفاققتها . وتواجهها بكونها سلطة بكماء خرساء محدودة السقف . فاقدة لأهم وسائل السيطرة والنفوذ . إلا وهي المعرفة التي ينبغي أن خيط بكل شئ وتطول كل ما هو متوارٍ وسري ومخبوء . إن مواجهة السلطة لهذا السر الأعظم المجهول . ووعيتها بعجزها المعرفي واللغوي إزاءه . هو تهديد لأمانها وسطوتها المطلقة . وهي مواجهة تختلف تماماً عن مواجهة ووعي أهل الطريق بهذه المسألة . ذلك أنهم يحققون سطوتهم وسلطتهم على القلوب والأرواح عبر اعترافهم بعجزهم المعرفي واللغوي . وتناغيهم به على رؤوس الأشهاد معلنين حيرتهم وتولهمهم به . وكأنهم يلوحون بأحد ملامح القداسة الأثيرة الخائلة . فإذا كانت السلطة الدنيوية تخايل رعاياها بامتلاك المعرفة والبيان البليغ . وسطوة الحضور المتنفس مادياً ومعنوياً للبد الطولى لأصحاب السلطان . فإن رجل الطريق يخايل الرعية بجاذبية وسحر العجز المعرفي واللغوي . وحيرة الوله الجامح . وهوس الوجد . واصطلامه الجنون المباحة ناهيك عن سطوة الاستغناء العزيزة القامعة لكل الأوهام السلطوية الزائفة . والتي جعلت العارف الصوفي في كثير من الأحيان يتجراً على أصحاب السلطان . معنفاً ومؤنباً وواعظاً .. الخ ولا يملك أحد إزاءه إلا الهيبة والخشوع الذي وصل ببعضهم إلى حد البكاء والتحسر أمام رجل الله . الضمير الحي اليقظ الموجه . إن رجل الطريق العاجز الحائر المعنى بهاجس المعشوق الإلهي هو وحده المهيأ للسعى المحموم في فضاءات المجهول اللامتلك . وسع قلبه وخياله صورة المطلق . وظلاله الخالدة فيما وراء الأوهام الدنيوية الزائلة . وعبر مرآته بوصفه صورة الله . وفتنته الهادية في خلقه تنجلي وعود المعنى المطلق مرحة في براحات الخيال المفتوح لا نهائية المراوغة . هاجسة بإمكانات التأويل واحتمالاته الثرية المتنوعة . دون أن تمس الجوهر الوجودي السر المصون . أو تنتهك مداراته المصمتة .

لعله رجل الله . العارف الصوفي وحده من يمتلك سلطة الحقيقة . لا في إطلاقيتها اليقينية الثابتة . بل في حيويتها المواره . وتوترات الحضور والغياب . والتلاشي والسطوع . سطوة قد تقوض كل ما عداها . وتكشف زيفه وتهافته . وتخاطر حتى بحضورها ذاته عليها تقارب التخوم . وتعانق المحال . إنها سطوة الخيلاء المقدس للفتى المستور الصامت . يقول ابن عربي في افتتاحه . للفتوحات المكية . الجزء الأول :

« الحمد لله الذي أوجد الأشياء من عدم وعدمه ... وجل في ذاته وجلّ . أن حجاب العزة دون سبحانه مسدل . وباب الوقوف على معرفة ذاته مقفل ... ولما حيرتني هذه الحقيقة . أنشدت :

الرب حقيق والعبد حق	يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت	أو قلت ربي أنى يكلف

ليس إلا أشباح خالية على عروشها خاوية . وفي ترجيع الصدى سر ما أشرنا إليه لمن اهتدى ... والصلاة على سر العالم ونكتته وبغيته السيد الصادق ... صلى الله عليه وسلم ... جميع الرسل بين يديه مصطفىون ... والختم بين يديه ... يخبره حديث الأنثى . فالتفت السيد الأعلى والمورد العذب الأحلى . والنور الأكشف الأجلّ . فرأى وراء الختم ... فقال له السيد : هذا عديك . ابنك وخليك ثم أشار إلي . أن قم يا محمد ... هذا هو المقام الحمدي الأطهر . من رقى فيه فقدورته . وأرسله الحق حافظاً لحرمة الشريعة وبعثه . ووهبت في ذلك الوقت مواهب الحكم حتى كآني أوتيت جوامع الكلم . فشكرت الله عز وجل . وصعدت أعلاه . وحصلت في موضع وقوفه ﷺ ومستواه . وبسط لي على الدرجة التي أنا فيها كم قميص أبيض . تنزيهاً له وتشريفاً ... أن المقام الذي شاهده من ربه . لا يشاهده الورثة إلا من وراء ثوبه ... فلما وقفت بذلك الموقف الأسنى ... أيدت بروح القدس ... وبينما أنا أطوف (بالبيت العتيق) . لقيت وأنا عند الحجر الأسود باهت . الفتى المتكلم الصامت الذي ليس بحي ولا مائت . المركب البسيط . الحاط المحيط . يطوف بالبيت طواف الحي بالميت . أنشدت :

تعجبت من ميت يطوف به حي / عزيز وحيد الدهر ما مثله شي
جلى لنا من نور ذات مجله / وليس من الأملاك بل هو إنسي
تيقنت أن الأمر غيب وأنه / لدى الكشف والتحقيق حي ومرئي أشار
إليّ إيماءً ولغزاً . أنه فطر على أن لا يكلم أحداً إلا رمزاً . وأن رمزي إذا علمته ... علمت أنه لا تدركه فصاحة الفصحاء . ونطقه لا تبلغه بلاغة البلغاء .. فجلى لي حقيقة جماله . فهيمت . فسقط في يدي . وغلبني في الحين علي . فعندما أفقت من الغشية . وأرعدت فرائصي من الخشية ... تلاخا له : إنما يخشى الله من عباده العلماء ... وقال : أنظر .. إني لا أكون مكلماً ولا كليماً . فليس علمي سواي . وليست ذاتي مغايرة لأسمائي ... أنظر إليّ بنور قمري ... بيتي الذي وسعني قلبك المقصود المودع في جسدك المشهود ... أنكم الطائفون بقلب وجود العالم . ما وسعني سواكم . وما تجلبت في صورة كمال إلا في معنائكم ... فاعرفوا قدر ما وهبتكموه من الشرف العالي . وبعد هذا أنا الكبير المتعالي لا يحدني الحد . ولا يعرفني السيد ولا العبد تقدست فتزهت ... كن عبداً وقل العجز عن درك الإدراك إدراك واثب يا محمد في المقام الأوحى وإياك والعدد . فإن فيه هلاك الأبد ... فإذا بالعلم القلمي الأعلى قد نزل بذاتي ... فأبدى لعيني صورة الأزل . والعلم المكنون . « . ف / ج ص ٢ : ٥١ .

لقد تعمدت إيراد هذا النص الطويل . كيما تتضح لنا ملامح الرؤية وتفاصيلها المدهشة . يؤسس ابن عربي سطوته القداسية منذ أول كلمة في الفتوحات بلغة رمزية مغرقة في الغموض والمراوغة . لكنها ساطعة وجليّة في الوقت نفسه .

يبدو النص المنتقى من سياق الفتوحات . نصاً دائرياً يبدأ من مركزية الذات المحضة . وقد تصدرت مشهد الافتتاح بحضورها شديد الوضوح والجلال . عميق الاحتجاب في آن . ليرتد عجز النص على صدره . وقد اكنملت الدائرة الوجودية . إذ يطوف الكامل حول البيت العتيق . وما يطوف حقاً إلا بقلب وجود العالم . الذي هو قلب العبد العارف التقى النقي الذي وسع الحق سبحانه حقيقته



فرائضه من الرعب والوجد في آن .

يقول ريلكه

« إن الجمال ليس سوى الرعب »

الفتى الصامت الذي ليس بحي ولا مائت . المحاط المحيط ، إنسي الهوى ، ظلاً مخائلاً ولد من نكاح الظلمة والنور . فيما يقول ابن عربي ، وطيفاً مجلياً حقيقة الجمال في مساحة الحلم لا تراها عين العارف إلا عبر النور المستعار للقمر الذي يكمن جماله الحقيقي في سواده واستدارته الكلية المظلمة التي احتضنت نوره الوهمي ، وتوارت في عمقه متربصة بلحظة زواله الحتمي . لكن لننتبه ، فليس رجل الطريق الكامل إلا قمراً استعار نوره أو نظرتة في ذاته القمرية . وكأنها درع برسيوس يحميه من صعقة النظرة السافرة للجلال الخيف . إنه اللقاء في عالم الخيال والظلال ، ملكوت المراوغة ، حيث تتحقق المستحيلات ، وتتلاقى المتناقضات ، فتتروحن الأجساد ، وتتجسد الأرواح ، مصداقاً لقوله ﷺ « رأيت ربي في صورة شاب أُمرد » . يتأرجح الوعي المصطلم للذات العارفة على الحافة ما بين الممكن والمحال ، حيث تجمخ الخيلة وتوهم تحت سطوة الجمال المهيب ، إمكانية اختراق الحجب ما بين الصورة الإنسانية الكمالية ، والأصل الإلهي المنعكس في مرآتها ، من ناحية ، والذات المحض المقدسة المكنونة ، من ناحية ثانية ، ولعله حلم الأسماء الإلهية تواقه لعودتها للغيب المنزه المصمت منجلياً عبر مرآة الحنين الإنساني للارتداد ثانية إلى رحم الإله الفردوسي ، وحضرة الجمال المطلقة الأزلية .

ومن المثير للانتباه حقاً ، في هذا النص ، لحظة البيعة المعرفية ووراثته المقام المحمدي الأطهر . إذ أوتي ابن عربي مواهب الحكم وجوامع الكلم (الأنبياء) ، أي العلم اللدني الذي آناه الله الخضر في قوله تعالى :

وهو بيته المعمور . وموضع نظره ، ومعدن علومه ، وحضرة أسرارته ومهبط ملائكته ، وخزانة أنواره ، وكعبته المقصودة التي وسعته حين ضاق عن حمل تجليه الأرض والسماء . لما نفخ الله في آدم الروح الأنزه ، عرفت الملائكة ، فيما يقول ابن عربي ، قدر هذا البيت الأعلى والمحل الأشرف الأنزه ، مرآة الألوهية الجامعة الصقيلة العاكسة والكاشفة في آن . يطوف الكامل ، على الحقيقة ، بذاته الباطنة مركزاً للوجود تهجس أغواره العميقة المظلمة بالسر المكنون كلؤلؤة الحمار ، طلسمًا مغلقاً ، أزلاً وأبدًا في غيب البحر العظيم .

توهمنا بداية النص باكتمال دائرة الوجود ، وقد أوجدت الكائنات من عدم وعدمه ، أي وجود تقدير . وهو الوجود العلمي القديم في الخيلة الإلهية الخالدة . تجلي الكائنات صور الأسماء الإلهية الفاعلة في الكون ، وترفل دائرة في احتفاء كوني صاحب حول مركزها الأثير الذي خلقت مسخرة له ، وهو الإنسان الكامل صورة الله الجامعة إنسان العين الرحيمة الذي به نظر الحق إلى الكائنات ، فرحمها بالإيجاد ، ومنحها هبة الظهور العيني وبهجته الساحرة . لكنها نظرة الكامل بها تلتئم أطراف الدائرة ، دائرة المعرفة الجامعة ، إذ يرأب صدع الوجود الناجم عن نظرة الخلق ، ويعي وحدة الإله الكامنة وراء تشظي الصور ، وتنوعها اللانهائي ، إنها نظرتة ترتد بالكثرة إلى عمق الباطن الغيبي الخالد ، نقطة الدائرة ، ومركزها الإلهي الأصيل . غير أن هذه النظرة الموحدة ، لا تلبث أن تقتنص وهجها المشع من عالم التجلي المتوتر بين الوحدة الغائبة ، والكثرة الحاضرة لترتد إلى عمق ذاتها ، وهي تدور بلا توقف مهيمه كدرويش المولوية المجذوب لا يكف عن الدوران ، قد أسرته فضاءات الوله والحيرة الأسرة .

طواف يحفره التوق ، وعرامة الشوق المتوهج بالبيت العتيق الأزلي ونظرة المبهوت تحق في الحجر الأسود ، ويا لها من نظرة تولدها المباغثة ، وتنطوي على سطوع الحقيقة الفادح الذي يكاد يقارب باستحالته البهتان ، لكنه وحده الحضور الإعجازي الخارق الذي يقيم الحجة بينة على من ادعى ، فيسكت ، متحيراً مبهوتاً لا يعرف حقيقته من بهتانه ، أو إيمانه من كفره ، ولعله ستره الذي يحجبه ، بل يحميه من سطوع الحقيقة الصاعق . ترحل النظرة البهوتة في فضاء ظلمتها الذاتية المحضة ، مساحة الإمكان الوحيدة لمقاربة ما لا يدرك ، ومعايشة لذة الحيرة المعرفية حيث تأنّس النظرة أتناساً حميماً بمراحها الخيالي إذ تبتدع ما تشاء من صور وخيالات لا نهائية التنوع متحررة كلية من سطوة الوضوح وقيود النور ، وحدود الجسد الواقعي . إنها فضاءات الظلمة الحرة البرحة الواعدة بشهوة الخيال الجموح ، وطزاجته العارمة . ذات ترح في خلاء هجرته وحشة الصور المقيدة بهواجس النور وأوهام الوضوح ، لتبزغ حقيقة الجمال المطلقة ، وحشية مربعة ، قد غدا العارف الصوفي كالملائكة المحيطين بالعرش ، هاموا متولهين في جمال الذات الأسرة . في فضاء الظلمة المحضة ، وحيث لا تغني فصاحة الفصحاء ، ولا بلاغة البلغاء ، ليس إلا قداسة الصمت المحض المنزه ، لكنها مخيلة الجمال الساحر الجلي ، تستلب النظرة كلية ، فيسقط المبهوت مصطلماً غائباً عن كل ما عداها ، ترتعد



« آتيناه رحمة من عندنا . وعلمناه من لدنا علماً » . ويقول ابن عربي في هذا الصدد . أن الحمدي يقول « زدني فيك خيراً » . فالخائر له الحركة الدورية . أي له الوجود الأتم . يدعم النص المفهوم الصوفي البرح لوراثته النبوة بوصفها وراثته العلم . ليس علم الشريعة الظاهري (علم الفقهاء ورجال الدين . علماء الدنيا) . بل علم الباطن الذي كان حكرًا على أئمة الشيعة من آل البيت . ثم غدا عند الصوفية إمكانية مفتوحة لكل من سعى مجتهداً مثابراً دؤوباً معانياً في طريق الله . وهو التصور الذي يحرر مفهوم الوراثة النبوية من معيار النسب والعرق ووراثة الدم . وهو معيار قبلي هجس به الصراع السياسي العنيف حول الخلافة منذ سقيفة بني ساعدة . ولم يهدأ أواره على مدى التاريخ الإسلامي الوسيط . ويجعل النص الولي الصوفي مجسداً في ابن عربي . حافظاً لحزمة الشريعة . مجدداً لها عبر التأويل المتجدد الدائم الذي هو بدوره إلهاما إلهياً . وليس نتاجاً معرفياً إنسانياً . وهو الأساس الذي سيقم عليه ابن عربي مفهوم الخليفة الباطني . إنسان العصر الكامل في مقابل الخليفة الظاهري .

يقول ابن عربي بجلاء :

« إذا أعطي الإنسان التحكم في العالم . فهي الخلافة . فإن شاء حكم وظهر . وإن شاء سلم وترك التصرف لربه ... إلا أن يقترب به أمر إلهي كداود عليه السلام ... قال ﷺ : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً » . فإنه لما ضعف الخليفة الحق الذي هو القطب القائم بوراثته النبوة عن الظهور بها . احتجب بالملك الذي هو الخليفة ظاهراً . وأطلق عليه اسمه لبقاء صلاح العالم به . والخليفة الذي هو القطب ناظر إليه . وقام به . ومد له بحسب قبوله واستعداده .»

ولسنا في حاجة إلى التعليق على هذا النص الذي يجلي مدى عمق وقوة الهواجس السياسية المتوارية في ظل الطرح الميتافيزيقي الصوفي . ناهيك عن مراوغة تأسيس الهيمنة . وقلب التراتب . وإعادة إنتاج القمع على خلفاء الظاهر . ملوك الدنيا عبر مخيلات القداسة . إذ يغدو القطب الصوفي هو الخليفة الحق . وارث الأمر الإلهي . والحكمة النبوية والعلم اللدني . ولابد لخليفة الظاهر أن يتبعه ناصحاً ومعلماً ومرشداً . وشيخاً يغدو بين يديه كالبيت بين يدي غاسله!

وما يلفتنا في هذا السياق . ذلك التلاعب المراوغ حول مكانة ابن عربي من النبي . ووقوفه وراء ثوبه . بل على كم قميصه الأبيض الطهور . وبها لها من مخيلة البياض / السواد حيث تتشكل مساحة الرؤى المستحيلة التي هي بصيرة العمى . إن صح التعبير فالتحديق في البياض كالتحديق في السواد . كلاهما يورث العمى الذي يؤجج وهج الخيال . ويشعل جموحه . ويطلق عنانه شاطحاً متجاوزاً كل التصورات والتوقعات والممكنات .

لكننا ينبغي أن نحتز . فمنحة الوجود والمعرفة مستعارة في هذا العالم الشهادي الخيال . فنحن المأسورين داخل حدود عوالم الأشباح الخالية . وترجيع الصدى ليس أمامنا إلا حيوية اللعب الخيالي . والتأويل البرح في فضاءات الاستعارة والجاز . والرمز . وحده العارف الصوفي من يفك شفرات المعرفة الهرمسية . فيقتنص

الحقيقة الساحرة المغوية من عوالم الوهم الكثيفة التي هي آخر تدرجات التجلي الإلهي الوجودي . وأكثرها بعداً من مصدر النور الأصلي . لكنها أشدها وطأة وثقلاً لأنها أصل التباسة الوعي وضلالته . فارق ضخم بين غواية الحيرة المعرفية الثرية . منحة الحق وأصل انتباهة الوعي اليقظ . من ناحية . وبين مخيلات الضلال وأسر الصور الكونية الظاهرة الزائفة التي تستلب الوعي في مدارات الغفلة الحسية الدنيوية .

بقيت لنا ملحوظة أخيرة أظنها تحتاج إلى دراسة هادئة متأنية . وهي تدور حول تلك الإشارة السريعة إلى الختم . وحديث الأنثى . ويلح السؤال : إلى أي مدى يمكن أن تكشف لنا هذه الإرهاصات الرمزية السريعة عن إحدى أوجه التلاقح الثقافي الفريد مع الحضارات الأخرى . والديانات السابقة . وهو المتعلق بانسراب أساطير الإلهة الأنثى القابعة وراء الحجب . أصل كل شيء . العذراء الخالدة . والينبوع الأزلي الختم .. الخ . إلى عمق النص الصوفي الإسلامي . وأحدث نوعاً من الانقلاب المستتر ضد ذكورية الخطاب الديني الإسلامي . وجلياته المتنوعة عبر مرايا المجتمع البطريركي العتيد . وتكريسه القوى له؟

يقول ابن الفارض . سلطان العاشقين :

« شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

لها البدر كأس وهي شمس يديرها

هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

ولو نظر الندمان ختم إنائها

لأسكرهم من دونها ذلك الختم

وياله من فضاء قمري تنطوي شمسها في بدره المكتمل . وهلاله المؤذن بالغياب . وقد غرق الحبيب والندمان في سكر خميرها العتيق الذي مزج قبل أن يخلق الكرم . أي رؤيا شعرية ورمزية تقودنا لمدارات عشطار القمرية . سيدة الغيبوبة والخمر والسحر الحلال . وحكمة الجنون مستورة فيما وراء شمس العقل والوضوح الأبولونية الذكورية .

الحب في الله

عبادته

د. محمد السقا عيد
عضو الجمعية الرمديّة المصرية

الحب عبادة عظيمة وأجر وافر يغفل عنه كثير من الناس مع أن الحاجة ماسة إلى تلك العبادة في كل حين. وفي الآونة الأخيرة أشد .
الحب أصله في لغة العرب الصفاء لأن العرب تقول لصفاء الأسنان حَبَب .
وقيل مأخوذ من الحُبَاب الذي يعلو المطر الشديد.
وعليه عرفوا المحبة بأنها: غليان القلب عند الاحتياج للقاء المحبوب .
وقيل مأخوذ من الثبات ومنه أحب البعير إذا برك.
فكان المحب قد لزم قلبه محبة من يحب فلم يرم عنه انتقالاته.....وقيل غير ذلك .
والحب من طبيعة الإنسان. فالحب عمل قلبي. ولذا كان الحب موجود منذ وجد الإنسان على ظهر هذه الأرض. فأدم يحب ولده الصالح. وابني آدم كان ما بينهما بسبب المحبة. وتظل المحبة على وجه الأرض ما بقي إنسان .
ولما كانت المحبة بتلك المنزلة جاء الإسلام ليهذبها. ويجعل هذا الرباط من أجل الله .

ربي محبة تربط أجيال بأجيال أخرى لم يحصل بينهم أي تلاقي للأجساد ولكن جمعتهم المحبة في الله .
يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فيقول وددت لو أنني رأيت أحبائي قالوا يا رسول الله ألسنا أحبائك قال أنتم أصحابي أحبائي يأتون بعدي آمنوا بي ولم يروني .
تخيل.. بل تأمل.. النبي صلى الله عليه وسلم يحبك أنت ويشفق لك .
ولذا وجد في الأمة من يتمنى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بما له من أهل ومال .
فانظر إلى جيل التابعين ثبت في مسند الإمام أحمد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال فتى منا لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟
قال نعم يا ابن أخي.
قال فما كنتم تصنعون ؟

فالؤمن يحب من أجل الله ويبغض لله يوالي له ويعادي له. وهكذا الحياة كلها لله. «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له» وقد امتن الله عز وجل بهذا التأليف للقلوب قال سبحانه وتعالى : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون» .
وقال جل وعلا : وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم».
«محمد رسول الله والذين معه أشدء على الكفار رحماء بينهم» هذه المحبة امتدت لتشمل من رأيناهم ومن لم نرهم. تأملوا في تلك الآية «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا» فسبحانك

قال : والله لقد كنا نجهد .

قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولجعلناه على أعناقنا.

محبة المؤمنين من الإيمان .

وهذه المحبة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ممتدة لأهل الإيمان وإن كانت في حق النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن تقدم على النفس والأهل والمال. فإن محبة المؤمنين أيضاً هي من الإيمان .

نعم المحبة لها علاقة بالإيمان : في الصحيحين من حديث البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الأنصار : لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق .

بل إن بها حلاوة الإيمان : في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله. وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار .

وبها يستكمل الإيمان : فعن أبي أمامة رضي الله عنه من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان. رواه أبو داود .

بل هي أوثق عرى الإيمان : عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله. رواه الطبراني وحسنه الأرنؤوط .

وهي طريق إلى الجنة : روى مسلم من حديث أبي هريرة والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم.

وجلب محبة الله : في موطأ مالك بإسناد صحيح وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي عن أبي إدريس الخولاني قال دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا (أي أبيض الثغر كثير التبسم) وإذا الناس معه فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه فسألت عنه فقلت هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه. فلما كان من الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته

يصلي فانتظرت حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت والله إني لأحبك في الله فقال الله ؟ فقلت الله. فقال آله ؟ فقلت الله. فأخذني بحبوة ردائي فجبذني إليه. فقال أبشر فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتبازلين في .

روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً زار أبا له في قرية أخرى فأرسل الله له على مدرجته ملكاً فقال إن الله قد أحبك كما أحبته فيه .

بل جلب محبة الملائكة أجمعين مع القبول في الأرض : في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : إذا أحب الله عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إني أحبه فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض .

هذا غيض من فيض في الدنيا . فإذا حقت الحاقة ووقعت الواقعة وزلزلت الأرض زلزالها ودنت الشمس من الرؤوس فحدث ولا حرج عن الكرامات لهؤلاء المتحابين بجلال الله .

يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله. وتأمل في هذا الرابط الوثيق بين كون المحبة لله وكون الظل في ظل عرش الله .

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي .

الحب في الله سبب في دخول الجنة. فهو من الأعمال الصالحة التي تستوجب حسن الثواب. وله ثواب خاص .

روى الترمذي بسند حسن صحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء .

وأخرج ابن حبان بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل : من هم لعنا نحبهم ؟ قال : هم قوم خابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب. وجوههم نور. على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس. ولا يحزنون إذا حزن الناس. ثم قرأ : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس. وألوى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء ولا شهداء. يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالستهم وقربهم : أنعتهم لنا. فسر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم بسؤال الأعرابي فقال : هم ناس من أفناء الناس. ونوازع القبائل. لم تصل بينهم أرحام متقاربة. خابوا في الله وتصافوا. يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها. فيجعل وجوههم نورا. وثيابهم نورا. يفرغ الناس يوم القيامة ولا يفرعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » رواه أحمد ورجاله ثقات .

اللهم أظلمنا في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك .

في الصحيحين من حديث أنس أن النبي قال : المرء مع من أحب . اللهم إنا نحب نبيك والصالحين أجمعين فاحششنا معهم بمنك وكرمك.

من شروط المحبة في الله

١- أن تكون لله. فكل عمل لغير الله لا يقبله الله. ومعنى كونها لله أنها لا تتأثر ببياض أو سواد أو حزب أو جماعة أو بلد أو عرق بل هي لله وحده لا شريك له .

٢- أن تكون على الطاعة. فالحب في الله طاعة لله. فهل تستغل طاعة الله لشيء محرم؟! .

٣- أن تشتمل على التناصح. فالؤمن ناصح للمؤمنين أجمعين. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه : الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة .

من واجبات المحبة في الله

١ - إخبار من يحب .

فعن المقداد بن معديكرب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه . رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن .

٢ - أن تحب له ما تحب لنفسك .

لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .
٣- الهدية .

في سنن البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تهادوا تحابوا .

٤- إفشاء السلام .

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم .

٥ - البذل والتزاور .

والمقصود البذل بمعناه الواسع بذل من الوقت والجهد والعلم والمال .

إن أخاك الحق من كان معك *** ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك *** شئت فيك شمله ليجمعك

٦- حرارة العاطفة :

روى الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من ولدي وإنني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإنني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك . فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأنزله الله ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم....»

في البخاري وغيره عن عبد الرحمن بن عوف قال : آخى النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع . فقال سعد : إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك شطرمالي . وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا هي حلت تزوجتها . فقال له عبد الرحمن : لا حاجة لي في ذلك ولكن هل من سوقٍ فيه جارة ؟

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لابنه الحسن : يا بني الغريب من ليس له حبيب .

وقال الحسن البصري : إخواننا أحب إلينا من أهلينا . إخواننا يذكروننا بالآخرة وأهلونا يذكروننا بالدنيا .

وقال بعض السلف إن الذباب ليقع على صديقي فيشق علي . وهؤلاء سافروا فلما أظلم عليهم الليل دخلوا غار وكان البرد شديد وليس للغار باب فانظروا لروعة فعل أحد المحبين يقول فقامت مقام الباب أي أنه اشتغل في تلك بعمل جسده باباً للغار حتى لا يدخل البرد فيؤذي أحبائه .

وأختم بهذه الأبيات الرائعة للإمام الشافعي رحمه الله :
إذا المرء لا يلقاك إلا تكلفاً

فدعه ولا تكثر عليه التأسفاً

ففي الناس أبدال وفي الترك راحة

وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا

فما كل من تهواه يهواك قلبه

ولا كل من صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة

فلا خير في ود يجيء تكلفاً

ولا خير في خلٍ يخون خليله

ويلقاه من بعد المودة بالجفا

وينكر عيشاً قد تقادم عهده

ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها

صديقاً صدوقاً صادق الوعد منصفاً

نسأل الله أن يرزقنا حبه وحب نبيه صلى الله عليه وسلم وحب من

يحبه وحب كل عمل يقرب إليه .



إعلان

مير الطهفة

مير الطهفة

ما عليكم إلا أن ترسلوا أرقام

هواتفكم على إحدى عناوين بريدنا

الإلكتروني في أدناه أو أرسلوه برسالة sms إلى

رقم هاتف لجنة الإرشاد والإعلام لنقوم نحن بدورنا

بالإتصال بكم وتلقيكم عهد الطريقة

المباركة بادر الآن إلى إرسال رقم

هاتفك إلى إحدى العناوين

الآتية :

رقم هاتف لجنة

المتابعة والإرشاد

009647703535447

admin@kasnazan.com

webmaster@kasnazan.com

webmaster@islamic-sufism.com

مفهوم النور المحمدي

صلى الله تعالى
عليه وسلم



استرعى انتباهي مفهوم النور المحمدي منذ بدأت أهتم بالخطاب

العرفاني كخطاب يقف في الضفة الأخرى من نهر الفكر. في مواجهة الخطاب البرهاني. يتهادى بين الخطابين الخطاب البياني. قلت: أن الألوان لأضع حدًا لهذا الجهل المكين بهذا اللون من الفكر. جهل مآثاه اعتناقي مذ وعيت للفكر العقلاني دون غيره. عندما دلفت إلى كتابات القوم. فوجئت بمركزية النور المحمدي (على صاحبه أفضل الصلاة والسلام). مأخوذًا بفهم مخالف تمامًا للفهم العادي السائد له. لست في معرض النقد ولا الحكم على ما يقرره هذا الخطاب. وإنما أنا اللحظة في معرض التصنيف والتفكيك والتركيب وصولًا. بالطبع. إلى مرحلة النقد والتقويم. فمن بين النصوص التي أوقفتني. صلاة منسوبة إلى ابن عربي تقول بالحرف: « اللهم صل على الذات المطلسم والغيب المضمضم والكمال المكتتم لاهوت الجمال وناسوت الوصال طلعة الحق كثوب عين إنسان الأزل في نشر من لم يزل من أقامت به نواسيت الفرق في قاب قوسين ناسوت الوصال الأقرب إلى طرق

الحق فصل اللهم به فيه منه عليه وسلم . هذه الصلاة . على وجازتها . استدعت كثيراً من الشروح لتفسير معانيها وتبيين مقاصدها وتوضيح مراميها . تناولت أحد تلك الشروح : « شرح الصلاة » لابن العربي الحاتمي » لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني . فوقفت معه وجها لوجه مع هذا المفهوم الخاص للنور المحمدي (على صاحبه أفضل الصلاة والسلام) . فعلا . ينطلق ابن عجيبة من تقسيم الناس إلى فئتين منفصلتين في طريقة التعامل مع النور المحمدي : فالناس في مدح الرسول ﷺ - كما يقول - على قسمين : قسم مدحوا شخصه الظاهر . فذكروا ما يتعلق بجماله الحسي وما يتبع ذلك من الكمالات الظاهرة والباطنة . وما يلتحق به من المعجزات والخوارق . وهم أهل الظاهر وقسم مدحوا سره الباطني ونوره الأصلي . فذكروا نوره المتقدم . وما تفرع عنه من التجليات الحسية . ثم يضرب مثلاً لهؤلاء فيورد اسمين لصوفيين شهيرين هما ابن مشيش وابن عربي . ويدعنا نفهم أن هؤلاء هم أهل الباطن الذين أصابوا من الحقيقة كبدها . مهما يكن . فقد حل لي نسبياً ما كنت فيه من تخطيط . أنت يا هذا إنما كنت تفهم النور المحمدي (على صاحبه أفضل الصلاة والسلام) كما يفهمه أهل الظاهر فحسب . والحقيقة هي غير ذلك . فهذا المفهوم له مدلول مخالف تماماً لما هو سائد له من شروح . فالمقصود بالنور المحمدي (على صاحبه أفضل الصلاة والسلام) . لا هذا النور المميز لشخصه . بل ذاك النور « الأصلي » . النور « المتقدم » وهو الكامن في أساس سائر « ما تفرع عنه من التجليات الحسية » . وقفت مشدوهاً كمن يقول لنفسه : إذن فقد كنت أفهم الألفاظ البديهية أو الشبه بديهية فهماً مغلوطاً أو كالمغلوط . دفعني هذا إلى الاستزادة من هذا الفهم الخاص لمفهوم النور المحمدي (على صاحبه أفضل الصلاة والسلام) . فوجدت عجباً عجائبا . وهو عجب يتعلق بهذا العالم الغريب الذي كان غائبا عني غيابا كاملا بفعل النصوص الموجهة التي وضعت بين يدي منذ التدرج على طاولات المدرسة وحتى التخرج فالاشتغال بالتدريس . تستطيع المناهج الدراسية بالفعل أن تغيب عنك عالماً بالكامل وأن تبرز لك العالم الذي تريده هي فإذا أنت صيد سائغ في شرنقة لا فكاك لك من الرؤية المدجنة المحدودة التي تكرسها أقطارها . نحن إذن في حاجة إلى مناهج دراسية أكثر تفتحاً

تقدم لنا الحقيقة في أثوابها المتعددة . ولا تخنق أنفاسنا بعطر واحد مهما كانت نفاسة هذا العطر . وخذ مثلاً تقلبي بين فهمي الخاص والجزئي لمفهوم النور المحمدي . والذي لم أكن أدري أن في العالم من يخالفه من المسلمين إلا إن تعلق الأمر بمكابر أو متزبد . وبين هذا الفهم الآخر لنفس المفهوم والذي يعتنقه جناح بكامله من المسلمين . وحقا . ليست العبرة بالكم . فلا توجد الحقيقة دائماً في صف « الأغلبية » . وليس الشطط دوماً من نصيب « الأقلية » . ولنعتبر ببدء الإسلام نفسه . وكيف شكلت قريش في جماعتها المناوئة للإسلام أغلبية طاغية . فلم يسحب موقفها المتعنت بطاقة الحقيقة من يد الرسول ﷺ ومن آمن به من أوائل المؤمنين . ما هذا الفهم الجديد إذن الذي يطلع علينا به أهل الباطن هؤلاء من أمثال ابن مشيش وابن عربي وابن عجيبة نفسه ومن سار على دربهم لمفهوم « النور المحمدي » (على صاحبه أفضل الصلاة والسلام) ؟ الحق جل جلاله كان كنزاً لم يعرف أي سرّاً خفياً غيبياً . فلما أراد أن يعرف أظهر قبضة من نور ذاته سماها محمداً : تلك هي نقطة الانطلاق في وجود النور المحمدي (على صاحبه أفضل الصلاة والسلام) . من هذه القبضة المحمدية تفرعت الكائنات كلها . من عرشها إلى فرشها . بذواتها وأرواحها . فنوره ﷺ هو بذرة الوجود والسبب في كل موجود . فكل جُل من تجليات الحق إنما يبرز من نوره ﷺ أنواره . فحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة منذ ظهرت القبضة إلى ما لا نهاية له . حتى إن أنفاس الجنان ونعيمها بارزة من هذا النور المحمدي (على صاحبه أفضل الصلاة والسلام) . وهي بارزة لأنها حسية . والحس من حيث هو حس . كله مضاف لبنينا عليه السلام ومنسوب إليه . وإن كان من عين الذات الإلهية . لأن الإضافة إلى النبي ﷺ لا تخرجه عن أصله أي إضافته إلى الله سبحانه . ذلك أنه في التحقيق ما ثم إلا الله . ولا شيء سواه . كلام يستدعي برهاناً حسب فهمي وتوجهي ومنهجي السابق . فهل لهؤلاء القوم براهين على هذا الكلام؟ سأبحث مجدداً . وفي انتظار العثور على نتائج سأظل دارساً محتاطاً . أتلمس النور الهادي وسط أشجار الغابة الكثيفة المتكاثفة . في انتظار ذلك . سلام على رسولنا الكريم وعلى النور المحمدي بمناسبة حول عيد المولد النبوي الشريف .



من الصلاة الكبرى للشيخ عبد القادر الجيلاني (قدس سره)

اللهم صل على سيدنا ونبينا محمد بحر أنوارك ومعدن أسرارك وروح أرواح
عبادك الدرة الفاخرة والعبة النافعة بؤبؤ الموجودات وحاء الرحمات وجيم
الدرجات وسين السعادات ونون العنايات وكمال الكليات ومنشأ الأزليات وختم
الأبديات المشغول بك عن الأشياء الدنيويات الطاعم من ثمرات المشاهدات
والمسقي من أسرار القدسيات العالم بالماضي والمستقبلات سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله الأبرار وأصحابه الأخيار وسلم تسليماً .



وقفات مع الدكتور
سعاد الحكيم

ما يقدمه التصوف للإنسان المعاصر

مدونة ischraq

الانفتاح على الآخر

تستطيع أن تجد من الوسائل التي يتحف بها التصوف إنسانا المعاصر عدداً ليس بالهين البسيط . لكن الدكتور سعاد الحكيم تركزها في أربعة أمور أساسية هي : تحقيق التقارب بين المذاهب داخل الدين الواحد ، الإسهام في تشييد مساحة إنسانية لتعارف الديانات وحوارها. الارتقاء بممارسة الطقوس الدينية. اقتران القول بالعمل . تقول : « أهم ما يقدم التصوف لإنسان اليوم أربعة أمور . الأمر الأول : إن التصوف يحقق التقارب بين المذاهب داخل الدين الواحد ، يعيد اللحمة الإنسانية إلى فرقاء الذات الواحدة ، يحقق الحوار الإسلامي - الإسلامي ، والمسيحي - المسيحي مثلاً. التصوف يلفت إلى بناء ذات متكثرة تقبل التنوع والتعدد وتدين الأحادية والتطرف ورفض الآخر وإنتاج المثل والشبيه . فهذا عن الأمر الأول . أما الأمر الثاني فهو أن التصوف يسهم في تشييد مساحة إنسانية لتعارف الديانات وحوارها . فالمشترك الديني هو الالتزام بالقيم العليا ، قيم الحق والخير والمساواة والمحبة والأخوة .. وتتجلى في

الأول ويكمله . وتفسر ذلك بكون التجربة الصوفية تبدأ عادة بالرياضات والمجاهدات : تقول : « إذا نظرنا في مضمونها (التجربة الصوفية) نجد أنها ترويض للنفس ومجاهدتها على التحقق بالقيم الإنسانية العليا وترك سفاسفها وكل ما يشد الكائن نحو الأسفل . إن ما يشتكي منه الإنسان اليوم هو تفشي الأنانية المفرطة والطمع المتوحش . لقد تكون لدى البعض استعداد للتدمير وقتل الآخر دون مراعاة حرمة رحم أو جوار أو نسب إنساني .. وقليل من التصوف ينعش روح البشرية . ويعيد تدفق نسغ القيم في عروقها . فعندما أمارس شيئاً من الصبر مع شيء من الرضا مع طرف من التسامح مع حفنة من المحبة مع عدم أذية حيوان أو نبات مع غير ذلك من القيم الوجدانية. كل هذه الممارسات تولد لدي احتراماً للذات ينعكس نظرة إيجابية إلى الآخر . لأن الإنسان يعرف الآخر على قاعدة نفسه . فكلما حسن من ذاته تحسنت نظرته للآخر . فذلك ما يقدمه التصوف للإنسان المعاصر . في شقه الأول . يبقى الشق الثاني الذي ستكون لنا معه وقفة أخرى قادمة .

النص الصوفي ملامح إنسان اتسع وجدانه للبشرية جمعاء . وتورد أستاذة علم التصوف بالجامعة اللبنانية استشهادات مستمدة من ثلاثة أسماء لامعة في سماء التصوف هي : أبو يزيد البسطامي ورابعة العدوية . والجنيد . فأما أبو يزيد فتورد قوله حين ذكرت النار أمامه : « ما النار ؟ لأستندن إليها غداً وأقول اجعلني فداء لأهلها » . ولرابعة العدوية تأتي بقول لها تستدل به سعاد الحكيم على أن الصوفي إنما هو إنسان يؤدي الواجب لأنه الواجب ويحب الله لا لشيء بل لأنه الله فحسب : « إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك . ولكنك أهل للعبادة فعبدتك » . ومن الجنيد تستحضر استشهادين يدل أولهما على حب الإنسان للجنس البشري بأكمله . لا يفرق في عطائه بين أحد وأحد . ويدل ثانيهما على أن الصوفي إنسان يتمثل التاريخ الديني للبشرية ويعكس قيمه العليا . فأما قول الجنيد الأول فهو : « الصوفي كالأرض يطؤها البر والفاجر . وكالسحاب يظل كل شيء . وكالمطر يسقي كل شيء » . وأما قوله الثاني فهو : « مبنى التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء - عليهم السلام : السخاء وهو لإبراهيم . والرضا وهو لإسحق . والصبر وهو لأيوب . والإشارة وهي لזكريا . والغربة وهي ليحيى . ولبس الصوف وهو لموسى . والسياسة وهي لعيسى . والفقر وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين » . يمكن أن نوجز هذين الأمرين الأولين اللذين يقدمهما التصوف للإنسان المعاصر في ثلاث كلمات هي : الانفتاح على الآخر . إنهما معاً يشيران إلى الانفتاح على الآخر سواء أكان هذا الآخر طرفاً مغايراً داخل الدين الواحد كمذهب من المذاهب . أم كان طرفاً خارجياً كدين أو ملة أخرى . هذا ما تلاحظه سعاد الحكيم عندما تجد أن الأمر الثاني يتداخل مع الأمر



أَعَاهِدُكُمْ عَلَى ((قُلْ يَا عِبَادِي))

قصيدة الشهيد الدكتور علي فايز

شعاع من ضيائك في فؤادي
ومالي غير حبك من دواء
تنام العين أحيانا وتغفو
ووجهك أينما يمت شطري
أعانده فيك أهوائي ونفسي
وأني مثل ضدي في اتساق
وأهوى والهوى فيكم حلال
وأني منك مقتبس قصيدي
أرى في عينك الدنيا وأنا
ومالي غير عينكم عيون
ومالي غير حبك من معين
فداكم كل أموالي ونفسي
فيا سادات هذي الأرض إني
أرى فيكم على الثقلين فضلا
ولي أنى حللتكم دار عز
ولي في قربكم جنات عدن
وليلي في محبتكم قصير
أيا علما رشيدا في زمان
وأنى تدرك التقوى نفوس
بواد غير ذي زرع أقامت
الأم تحيطنا الدنيا بؤهم
وتختبئ الحقيقة من أناس
أجرني يابن فاطمة فإني
إليكم جاءت الألام قبلي
فجئت بي بضحبتكم أمور
وروح في هداكم قد تسامت
خذوني مغمض العينين إني
خذوني رغام إسرافي فإني
يزول بحبك قلقي وخوفي
وما قلقي إذا البلى أمت
فتأج الأرض أسيادي ملوك

وخيطة من بياضك في سوادي
ودائي أن حبك بازدياد
وطيف من خيالك في رقادي
لأن ضيالك في الأشياء بادي
فيغلب كل أهوائي عنادي
وما ضدان إلا بابتعاد
ويطربني الوصال على انفراد
وقصدي من مديحك ري صادي
لأضغط في أياديكم زنادي
ومالي مثل أيديكم أيادي
ومالي غير عطفك في التنادي
فأنتم كل ذخري والعناد
جعلت وصالكم شربي وزادي
معاذ الله أن أخفي اعتقادي
وإن غبتم بلادي لا بلادي
وأشقى حد قتلي بالبعد
وذنبني أني فيكم أنادي
تتيه به النفوس بلا رشاد
تدوف الخبث في ماء الوداد
وإن الخير مزروع بواد
وتلبسنا التردد والترادي
ويتهم التواضع بالتمادي
عديم الحول منكسر الفؤاد
دمعي ذارف والقلب صادي
ولم يحصل جديدي باجتهادي
وقد سلمتكم أمري، قيادي
سئمت البيع في سوق الكساد
أعاهدكم على (قل يا عبادي)
من الدنيا وأرباب الفساد
ولاخوفي إذا الدنيا تعادي
بقاء الأرض والسبع الشداد



في رَحَابِ فتاوى العصر



تفضل فضيلت الشيخ الدكتور رافع طه الطريف الرفاعي ، مفتي الديار العراقية ، مشكوراً بالإجابة على عدد من المسائل الشرعية المعاصرة التي وردت إلى المجلت والتي بسرّها أن تستقبل مسائلكم على إميل المجلت وعرضها على فضيلت .

فتاوى
العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

السؤال : ما حكم الانشغال بقراءة القرآن لعدم فهم لغة الخطيب ؟ (محمد علي - العراق) .

الجواب : الإنصات أثناء خطبة الجمعة عبادة مثاب عليها فقد قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا فَالإنصات في هذا الموطن أفضل من أي ذكر والله أعلم ..

السؤال : أنا قد رميت في الحج حجارة اسمت فماذا علي أن أفعل ؟ علماً أنني لم أكن أعلم ؟ (الحاج عبد الخالق - الجزائر) .

الجواب : لا بأس عليك فيما فعلت ورميك صحيح لأنه يجوز رمي الجمار بجميع أنواع الحجارة من الرخام وغير ذلك ما يسمى حجراً ولا يجوز بما لا يقع عليه اسم الحجر كالكحل والذهب والفضة وغير ذلك وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد وداود وقال أبو حنيفة يجوز بكل ما هو من جنس الأرض كالكحل والزرنخ والمدر ولا يجوز بما ليس من جنسها .

السؤال : من جمع الصلاة عند المطر في المسجد هل يؤذن للثانية في وقتها ؟ (مرسي محمود - جمهورية مصر) .

الجواب : يجوز الجمع بين الصلاتين في المطر في وقت الأولى منهما لما روى ابن عباس قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمعاً من غير خوف ولا سفر « قال مالك أرى ذلك في المطر ولا خلاف في جواز الجمع بين الصلاتين جمع تقديم لعل المطر وإذا جمعهما أقام للثانية من غير أذان ولا يؤذن لها في وقتها .

السؤال : ذبحت بقرة بنية أن يكون جزء منها عقيقة والجزء الآخر أضحية لولدي الاثنين فهل هذا صحيح ؟ (صباح نوري - الاردن) .

الجواب : نعم يجوز ذلك وهي مجزئة عن الأضحية والعقيقة فإن العقيقة يصح أن تتأدى بسبع بدنة أو بقرة .

السؤال : هل يجب الحج على من ملك نقوداً لشراء دار يحتاج إليها ؟ (عبدالله المنصور - البحرين) .

الجواب : الاستطاعة المالية التي هي جزء الاستطاعة المطلقة التي جعلها الله سبحانه وتعالى شرط وجوب لأداء الحج في قوله عز من قائل (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) تعني أن يكون عند المكلف مال يكفيه لأداء حجه ويكفي من يعولهم في غيابه فائضاً عن حاجاته الأصلية ومن الحاجات الأصلية السكن فلا يعد وجود مال لشراء دار ملزماً للمكلف بأداء الحج ولكنه إن أراد ذلك صح حجه .

فتاوى
المعاملات

السؤال : ما حكم تعويض المؤجر للمستأجر عن بقية المدة ؟ (ر . ع - فلسطين) .

الجواب : إذا كان عقد الإجارة صحيحاً ومحددًا بمدة معينة كسنة أو سنتين أو أكثر وأراد صاحب العقار أن يخليه المستأجر له قبل انقضاء المدة مقابل عوض مالي يدفعه له جاز ذلك ولا حرج فيه أما ما يفعله كثير من الناس اليوم من فرض عوض مالي على صاحب العقار لمجرد الإخلاء دون ما ذكر فهو حرام لا شك فيه .

السؤال : ما هو حكم الجمع بين المضاربة والجعالة في عقد واحد ؟ (عبد العزيز مناوي - المانيا) .

الجواب : الجمع بين المضاربة والجعالة في عقد واحد صورته أن يأخذ المضارب أجراً مقطوعاً من غير حصته من الأرباح إن اشترطاه ووافق عليه صاحب المال فهو جائز لأن المؤمنین عند شروطهم وهذا الشرط لم يحل حراماً أو يحرم حلالاً .

السؤال : إمساك الفوائد بقصد تنميتها ثم التصديق بها فهل هذا جائز ؟ (رعد حسان - المغرب) .

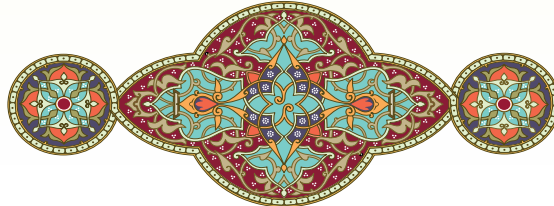
الجواب : لا يجوز التعامل الربوي بكل أشكاله ولا يجوز إمساك الفوائد المتأنية من قرض ربوي بقصد تنميتها والتصديق بها لأن ما بني على الحرام فهو حرام . وقد أحسن من شبه هذه الحالة بقوله :
كمطعمة الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقني

السؤال : أنا أقوم بتحويل رهيد من جوال إلى جوال آخر مقابل مبلغ معين فهل ما أكسبه حلال ؟ (صادق عبد الهادي - العراق) .

الجواب : إذا كان هذا التحويل من جوالك فلا يجوز لأنك أبدلت مالاً بأكثر منه أما إذا كنت تأخذ أجوراً على عملية التحويل من جوال شخص إلى آخر «ولا أظنك تقصد ذلك» فإن أخذ الأجر عليه يكون مقابل هذا العمل ولا حرج فيه .

السؤال : ما هو رأي الشرع فيمن اقترض من البنك مبلغاً من المال من عملة أجنبية (الدولار) واتفق على أن يتم التسديد بعملة محلية ولكن بزيادة ١٥ بالمائة ويكون التسديد بالتقسيط شهرياً ؟ .

الجواب : القاعدة في التعامل والتداول في العملات المختلفة مبني على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا اختلف الجنس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد) ومعنى هذا أنه إذا اختلفت الأجناس الربوية وفي هذه الحالة النقود فإنه يشترط فيها التقابض فلا يجوز بيع الدولار مثلاً بالعملة العراقية لأجل مسمى سواء كان بسعره الحالي أو بغيره لفقدان التقابض .



السؤال : أنا أكتب أسماء الأشخاص على عينات التحليل فهل هذا جائز ؟ (د . زهران عبد) .

الجواب : كتابة أسماء الأشخاص على عينات التحليل جائز لا شيء فيه لضرورة التمييز بين أصحاب هذه العينات .

السؤال : ما هو حكم الشرع في امتحان طالب الطب قبل انتهاء سنة الامتياز ؟ (سعد رائد - الكويت) .

الجواب : لا يحق للطالب في الكلية الطبية امتحان مهنة الطب قبل الحصول على شهادته لأن ذلك فيه تعريض لنفسه ولغيره للأذى ويكون مسئولاً مسئوليةً جنائيةً إذا تسبب بموت أحد أو الإضرار به .

السؤال : ما حكم زيارة القبور في العيد والمناسبات الدينية ؟ (شريف عاصم - مصر) .

الجواب : زيارة القبور فعل مشروع بل مندوب إليه لعموم قوله صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) ولا بأس في الزيارة في أي وقت إلا إذا كانت تلك الزيارة مقترنة بما يدل على الجزع وعدم التسليم بقضاء الله وقدره ومصحوبة ببعض المخالفات الشرعية كلطم الحدود وشق الجيوب .
أما في أوقات الأعياد فإذا كانت لغرض تجديد الأحرار فإنها منهي عنها لمخالفة ذلك مقصد الشارع الكريم الذي جعل هذه الأيام أيام فرح ومسرة أما إذا كانت لمجرد السلام عليهم والدعاء لهم فذلك مشمول بعموم النذب .

السؤال : هل أكل الذبائح بمناسبة ولادة أحد الأولياء جائزة ؟ (خ . م - تونس) .

الجواب : لقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ما حرم علينا من الذبائح ولم نر فيها ما يدل على اقتران التحريم بمناسبة معينة فإن مثل هذه الذبائح تذبح لوجه الله تعالى ويهدى ثوابها لهذا الولي أو ذاك ولا بأس في ذلك.

السؤال : هل بر الأم واجب وإن لم تؤد حقوق أولادها وزوجها ؟ (ك . ز) .

الجواب : قرن الله سبحانه وتعالى بر الوالدين بإفراده في العبودية حيث قال عز من قائل (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) وقوله تعالى وبالوالدين إحساناً أي أن يتعامل معهما بما هو فوق العدل فالإحسان يعني العدل وزيادة قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) والذي فرضه الله سبحانه وتعالى هو الإحسان في حق الوالدين لا العدل في حقهما وإلا لو كان العدل هو المفروض لما استحق من لا يعطي الأولاد حقهم من الآباء والأمهات أن يبر ولكن الله تعالى أمرنا بالإحسان وعلى هذا فإن الشارع الكريم لم يدع مجالاً للأولاد لأن يعصوا آباءهم أو أمهاتهم إلا في حالة الأمر بالشرك بالله قال تعالى (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) وعلى السائل أن يجعل نصب عينيه الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ قَالَ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ .

السؤال : ما حكم إلزام الوالدين ولدهما بنكاح من لا يريد ؟ (فضل ود طيار - السودان) .

الجواب : لا يجوز للوالدين إجبار الولد على نكاح من لا يريد فقد روى ابن بريدة عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي حَسَبِيستَه قَالَ فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنَّ لَيْسَ إِلَيَّ الْأَبَاءُ مِنَ الْأُمَرِ شَيْءٍ)

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل الأمر للفتاة وللأب عليها ولاية فما بالك بالابن البالغ .

السؤال : أنا أم موظفة ولي طفلين يتيمين وقد تبرع لهما أحد أهل الخير فإذا خلطت مالي مع مالهما لكي أنفقه على نفسي وعليهما فهل هذا جائز ؟ (أم منصور) .

الجواب : نعم يجوز ذلك فللقائم على اليتيم أن يأكل من ماله المعروف وأنتِ جَمعين مالكِ إلى مالهما لتنفقيه على نفسك وعليهما فذلك يكون من باب أولى .

فتاوى

الأخلاق

والرقائق

السؤال : هل إهداء المسلم ماء زمزم للكافر جائز ؟ (سعيد عبد الله - السعودية) .

الجواب : إهداء المسلم ماء زمزم للكافر حكمه كحكم أي هدية يهديها مسلم لكافر فإن كانت من باب إظهار سماحة الإسلام أو حسن الخلق أو التلطف به عسى أن يدخل في الإسلام فالهدي مأجور على ذلك أما إذا كان ذلك من باب التزلف للكافرين والتملق لهم للوصول إلى المآرب الدنيوية فذلك حرام .

السؤال : عمل الموظف لمصلحة نفسه أثناء الدوام ما حكمه ؟ (مرزوق معاطي - مصري مقيم في الامارات) .

الجواب : عمل الموظف لنفسه أثناء ساعات العمل التي يأخذ عنها أجراً لا يجوز لأن هذا الوقت قد أخذ عليه أجراً فلا يجوز استغلاله إلا فيما كلف به .

فتاوى

الانترنت

السؤال : جاءني المشاركة باللعب في أحد المواقع الالكترونية للمسابقات فشاركت باللعب فيها ويتم اللعب مجاناً باختيار أرقام في خانات فارغة فإن صادفت الأرقام الصحيحة يكسب اللاعب جوائز مالية ضخمة فهل يحل اللعب بهكذا طريقة أم لا ؟ (ح . ح) .

الجواب : إذا كانت المشاركة بهذه اللعبة تجني من خلالها ربحاً فقط دون أي خسارة فإن ذلك جائز أما إذا كان فيها ربح وخسارة مالية فذلك ميسر لأن الميسر هو كل سبق مقترن برهن .

السؤال : بعض المواقع تقدم خدمات لقاء أجور معينة لبرامجها ويقوم البعض بنشر الأرقام السرية لتلك البرامج بعد شراءها يتم تداولها مجاناً فهل يجوز الاستفادة من ذلك ؟ (نهال - الجزائر) .

الجواب : لا يجوز الإفشاء بالأرقام السرية لهذه البرامج لأنها تمثل مفتاح الضمان للمكاسب المالية التي تجنيها تلك المواقع مقابل تلك الخدمات التي تقدمها .



الزخارف الإسلامية

أصناف من فنون العمارة والحكمة والنباهية والشمسية

منتديات فن الابداع

إن للشرق فلسفته الخاصة التي تنظر إلى الإنسان على أنه جزء من هذا الكون الواسع، وهي تختلف تماماً عن النظرة الغربية التي تنظر إليه على أنه محور هذا الوجود فكان الفنان الشرقي ينظر غالباً إلى الإنسان والحيوان والنبات كعناصر فنية يحورها ويتسقها بحيث تعبر عن أفكاره وأحاسيسه وتحقق الغرض الفني الذي يقصده دون النظر إلى أشكالها الطبيعية، والأمثلة التي تؤكد هذا كثيرة في فنون العراق وسوريا ومصر مما يستطيع أن يميزه بسهولة ويسر.

الفن الإسلامي

كانت أول مظاهر الشخصية الإسلامية كما يقول موقع «الفن التشكيلي» تأكيد الفلسفة الشرقية من أن الإنسان جزء من هذا الكون الواسع وأن القدرة الإلهية المسيطرة على هذا الوجود وتبلورت شخصية الفن الإسلامي وإرادته الجديدة في ظواهر هامة تمت بطريقة تلقائية داخل إطار الفلسفة الشرقية العامة.

١ - كراهية تمثيل الكائنات الحية

ويرجع ذلك إلى الرغبة في البعد عن المظاهر الوثنية فقد جاء الإسلام ليقضي على الوثنية ممثلة في عبادة الأشخاص والأصنام على أن هذه الكراهية أخذت تتلاشى بالتدرج مع زيادة الوعي.

بحقائق العقيدة الإسلامية وظهرت الرسوم الجدارية على كثير من الأعمال الفنية كالتحف المختلفة وفي الرسوم الجدارية على أنه ما يلفت النظر زخارف المصاحف والمساجد أنها ظلت خالية من العناصر الآدمية والحيوانية.

٢- التقشف

دعت العقيدة الإسلامية إلى البعد عن مظاهر الترف فاجتهدت جهود المسلمين إلى البناء والعمل والبعد عن الفخامة باعتبار كل ذلك عرضاً زائلاً فاستعمل الفنانون العرب خامات رخيصة كالجص والخشب والصلصال في أعمالهم الفنية ولكنهم استطاعوا إغناؤها بما أضفوه عليها من زخارف دقيقة رائعة ومن ابتكارات صناعية أعطت الخامات الرخيصة مظهراً فخماً جديداً مما يمكن أن يعبر عنه بالفخامة المبدلة، أي تحويل الخامات الرخيصة إلى عمل فني عظيم القيمة .

وكان في استطاعة بعض الخلفاء أن يعملوا الذهب والفضة والأحجار الكريمة في تزيين أهم مكان بالمسجد والقبلة ولكنهم استعاضوا عن ذلك بالتصميمات الزخرفية والنقوش التي جعلت من المحراب قبلة رائعة تنسجم مع ما للإسلام من روعة وبساطة .

٣- الاهتمام بزخرفة السطوح وشغل الفراغ

اهتم الفنان العربي اهتماماً كبيراً بزخرفة سطوح الأشياء سواء كان ذلك في العمائر أم الأواني أم التماثيل بحيث كان لا يترك فراغاً من غير زخرفة .

فكان عندما يتكرر إناء أو خفة حتى ولو كانت على شكل حيوان أو طائر يغطي سطحها بالزخارف التي كانت تسلبها مظهرها الطبيعي سلباً معنوياً . بينما كانت تكسبها سحراً ورشاقة لا نظير لها .



المصادر الزخرفية الإسلامية

اعتمد الفنان العربي في تجميل منتجاته الفنية وزخرفتها على العناصر الخطية والنباتية والهندسية والأشكال الأدمية والحيوانية عن طريق حساسيته الفطرية .. وحقق في هذه الأعمال الرشاقة والالتزان .

١ - الزخرفة الخطية

أدخل الفنان العربي الحروف العربية كعنصر رئيسي من عناصر الزخرفة ولا شك أن استعمال الكتابة في أول الأمر على المنتجات الفنية كان وسيلة من وسائل الحمد والشكر لله، على أن الفنان استغل هذا العنصر استغلالاً جمالياً رائعاً وبلحظ أن استعمال الآيات القرآنية لتزيين المساجد يقابله استعمال الصور المستمدة من آيات الإنجيل وحياة السيد المسيح في تزيين الكنائس. وأصبح من مسئولية الفنان العربي العناية بالخط وتطويره للاستعمال الجمالي فظهرت ألوان مختلفة من الخطوط منها الخط الكوفي وهو خط يمتاز بزواياه القائمة وخطوطه المستقيمة ثم أضيف إلى نهايته زخارف نباتية وأصبح يسمى الخط النسخي .



٢ - الزخارف النباتية



يعتبر ميدان الزخارف النباتية من الميادين المهمة التي جال فيها الفنان العربي حيث ابتكر أشكالاً نباتية مختلفة خرج بها على الأشكال الطبيعية كعادته المألوفة في التجريد والبعد عن الطبيعة. وهاك نوع من الزخارف النباتية يطلق عليها «الأرابيسك» تكون من خطوط منحنية مستديرة أو مختلفة يتصل بعضها ببعض فتكون أشكالاً حدودها منحنية .

وقد يتكون بينها فروع وزهور. وبالرغم من بعد هذه الزخارف عن الطبيعة فإننا لا نستطيع أن نعتبرها زخارف هندسية وقد شاع استعمال هذه الضرب من الزخارف ابتداءً من القرن التاسع الميلادي في العمائر والتحف وقد وصلت إلى غايتها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي .

٣ - الزخارف الهندسية

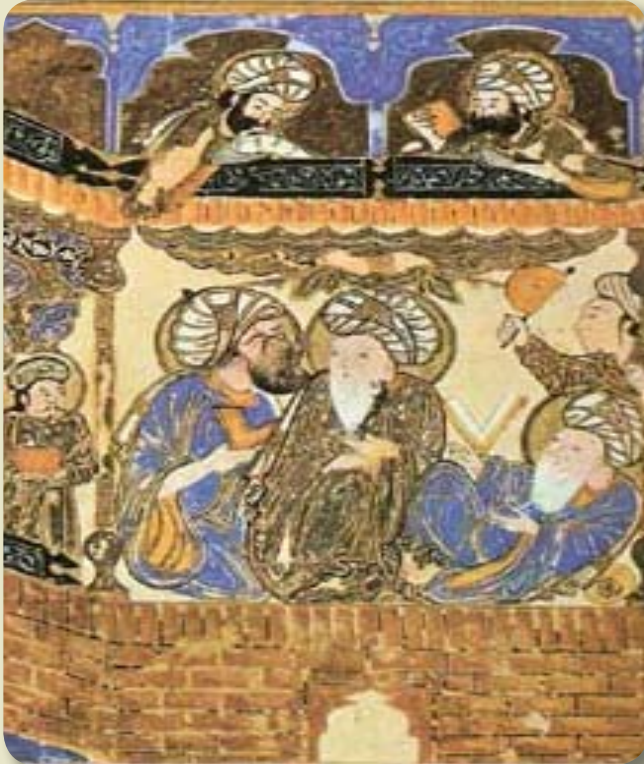
تعتبر الزخارف الهندسية عنصراً أساسياً من عناصر الزخرفة الإسلامية ومنذ العصر الأموي اتجه الفنان العربي إلى الزخارف الهندسية واستعملها استعمالاً ابتكارياً لم يظهر في حضارة من الحضارات وثم شاع استعمال الزخارف الهندسية في العمائر والمخطوطات والتحف المختلفة سواء من الجص أو الخزف أم النسيج أم المعادن أم الرخام إلى آخره وكان الأساس الذي أتى عليه الفنان العربي وزخارفه الهندسية هو الأشكال البسيطة كالمستقيمات والمربعات والمثلثات والدوائر المتماسة والمقاطعة والأشكال السداسية والثمانية والأشكال المتفرعة من كل ذلك .



٤ - الأشكال الأدمية والحيوانية

قلنا إن الفنان العربي لم يهتم بالتعبير عن الأشكال الأدمية والحيوانية تعبيراً مقصوداً به ذات الإنسان والحيوان ولكنه استخدم هذه العناصر كوحدة زخرفية بحتة لها قيمتها الفنية وهو لم يكلف بذلك بل يحول له أن يركب منها أشكالاً خرافية كالأفراس والطيور ذات الوجه الأدمي .

وما هو جدير بالذكر أن الفنان العربي استخدم في زخارفه مزيجاً رائعاً من الزخارف الخطية والزخارف المختلفة والزخارف الهندسية والزخارف النباتية ونجح نجاحاً فائقاً في جميع هذه العناصر المختلفة في أعماله الفنية بحيث حقق قيمة فائقة الحد من الجمال كما حقق تنوعاً في القيم الخطية وما تحدثه هذه الزخارف من ظلال مما ينبغي للطلال التعرف عليه بالممارسة والرؤية الموازنة بفنون الحضارات الأخرى .





يختلف التصوير الإسلامي عن التصوير المعاصر الذي يتميز بخصائص واضحة من حيث الخامات واستعمالها وطريقة الأداء والموضوعات ... ويتحقق في فن التصوير الإسلامي مثالية الفن الإسلامي كاملة .

ولفن التصوير الإسلامي مجالات كثيرة منها :

١ - التصوير الجداري

وفي جميع الصور الجدارية الإسلامية نجد أن الفنان لم يراع دقة تمثيل المظهر الطبيعية وهي لهذه الأسباب تعتبر صوراً زخرفية أكثر منها توضيحية بموازنة هذه الصور بالصور الحائطية « الفرسك » التي نفذت في أوروبا في عصر النهضة .



٢ - صور الفسيفساء

عثر في المسجد الأموي بدمشق على مجموعة من صور الفسيفساء تمثل المناظر الطبيعية لمدينة دمشق فالأشجار والمباني ونهر بردى منفذة بأسلوب زخرفي بسيط وألوانه ساطعة وقد لوحظ أن هذه خالية من الأشكال الأدمية والحيوانية بينما نجح الفنان في توزيع كتل المباني بأحجامها المختلفة بحيث وصل إلى تحقيق التوازن الفني في الصور .





متحف الهرميتاج نموذج من الخيال لتوعية من
المتاحف تحمل التاريخ والفنون العالمية والإسلامية
وعمارته وخير شاهد على عراقة تاريخه جماليات
معمارية وتحف فنية من بقاع مختلفة من العالم .
الهرميتاج الذي يقع في سانت بطرسبرغ (مدينة
ليننجراد سابقاً) هو حكاية بدأت من زمن بعيد إلا
أنها تشكل جزءاً من تاريخ العالم بفنونه وإبداعاته
وإسهامات هذا التاريخ تتجلى في متحف من أكبر
متاحف العالم .

في متحف الهرميتاج تُبدي كنوزه الإبداع الفني الإسلامي وإسهاماته في تطور الحضارة العاطية

جمال بخيت



الإسلامية لتصبح نحو ٦٠٠ ختم و ١٥٦ تيممة ويمكن القول أن متحف الهرميتاج يضم أكبر مجموعة من الأختام في العالم .

الحفائر الأثرية بدأت في مناطق كثيرة لفك رموز الكتابة الهيروغليفية ما كان له أثر خصوصاً على الفنون القديمة والفنون الإسلامية لم تجذب الباحثين إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في أوروبا وكذلك اهتمام روسيا بتاريخ الدول الإسلامية وآدابها ولغاتها .

ازدادت مقتنيات متحف الهرميتاج من خلال ضم أربع مجموعات إسلامية إليه خلال عام ١٨٨٥ ضمت مجموعة من الأسلحة من الترسانة الريفية للقيصر وتضم نماذج جيدة للسلاح من إيران وتركيا والهند .

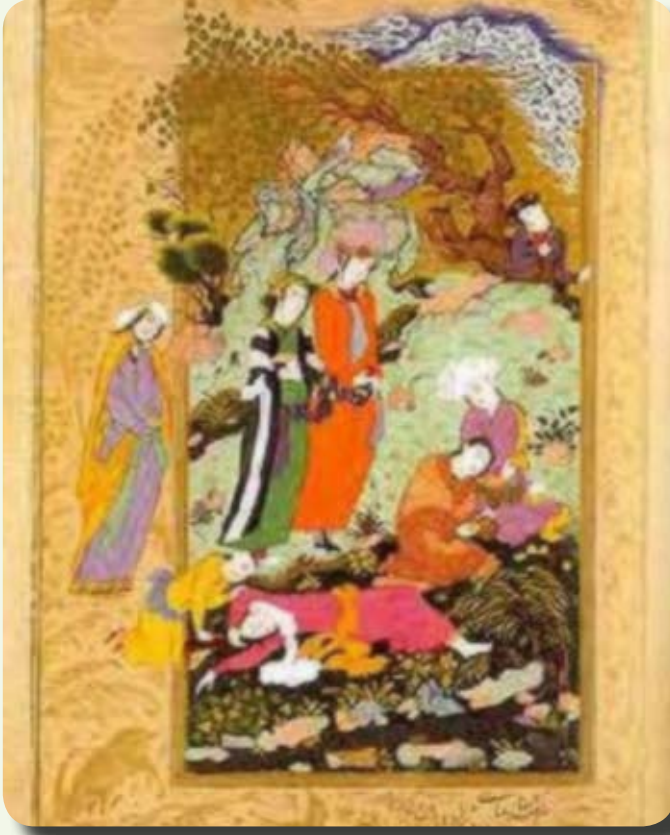
وانضمت أيضاً مجموعة من التحف الإسلامية من مصر وكذلك مجموعة من التحف القبطية خلال أعوام ١٨٨٨ - ١٨٩٧ وكذلك ضمت مجموعة من نتاج حفائر في منطقة شمال القفقاس تعود لأواخر عهد دولة القبائل المغولية الذهبية النصف الثاني من القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر .

تأسس الهرميتاج كمتحف عام ١٧٦٤ (منذ ٢٢٥ عاماً) عندما بدأ جمع بعض الآثار الإسلامية في مدينة (بطرسبرغ) التي هي الآن مقر متحف الهرميتاج وكانت هذه الآثار عبارة عن هدايا قدمت من بعض السفارات التي توافدت على العاصمة الجديدة لروسيا في النصف الأول من القرن الثامن عشر كما تم جمع بعض المقتنيات في هذا القرن في متحف (نادر بطرس) الذي يعتبر أول متحف عام في (بطرسبرغ) وقد سلمت هذه المقتنيات إلى الهرميتاج في منتصف القرن التاسع عشر .

ويضم متحف الهرميتاج نحو ١٥٠.٠٠٠ عملة إسلامية تبدأ بتسلسل القديم إلى الحديث وخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأت مجموعة المجوهرات تكتمل إذ ضمت ١٦ ختماً بالأحرف العربية وتيممة عربية واحدة ويوجد من هذه الأختام ١٥ ختماً في تركيا مصنوعة إبان القرن الثامن عشر وختم واحد يعود إلى فترة أقدم ومكتوب بالخط الكوفي .

خلال القرنين التاسع عشر والعشرون ازدادت المجموعة





تحف إسلامية حتى عام ١٩١٧ كان الهرميتاج يضم حوالي ١٠ آلاف تحفة شرقية إسلامية

في مختلف أقسام المتحف إذ أنشئ فرع القفقاس وإيران وآسيا الوسطى لتكون مهمته إلقاء الضوء على مساهمات الشعوب الإسلامية في الحضارة العالمية خلال العصور الوسطى مع بدء الدراسة الجادة للفنون الإسلامية في تلك الفترات .

وفي العام ١٩٥٢ افتتح قسم الشرق الإسلامي محتوياً كثيراً من المقتنيات الإسلامية الجديدة .

وانضمت مجموعتان من المجموعات الإسلامية مجموعة الكونت بوبرنيسكي والبروفيسور فيسيوفسكي وهي مقتنيات من الآثار الإيرانية وآثار العصور الوسطى .



صناعة مهرة بعض المقتنيات الإسلامية تم جمعها من سكان قرية (كوباش) في داغستان حيث

يقطن هذه القرية مجموعة من الصانع المهرة الذين توارثوا الصنعة من أجدادهم ويحتفظون ببعض المقتنيات من تحف إيرانية صنعت بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر كذلك تحف برونزية صنعت بين القرنين الرابع عشر والتاسع عشر ومنسوجات إيرانية صنعت بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر . وكذلك وصلت إلى متحف الهرميتاج مجموعات فنية من الدول الإسلامية وتتمتع معظمها بصفات فريدة من إيران وسمرقند .

الشرق في الهرميتاج

مصر وسورية يوجد نحو ١٣٠٠ تحفة وهي بالدرجة الأولى من الآثار المملوكية من القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر مع قطع من المنسوجات ومنتجات خزفية وأقساط زجاجية للمكايل وأربع مصنوعات من البلور تعود إلى القرن العاشر حتى الثاني عشر .

يضم متحف الهرميتاج مجموعة من التحف الفنية الإسلامية في قسم الشرق تفوق الـ ١٨٠ ألف قطعة في حين أن التحف الأندلسية والمغربية لا تزيد على عشرين تحفة مع وجود مجموعة جيدة من خزف البريق المعدني الأسباني الموريسكي في قسم الفن العربي الأوربي ومن

المقتنيات الداغستانية والأذربيجانية إلى نحو ٢٠٠٠ قطعة كذلك توجد مجموعة من الآثار الفنية الإسلامية يقدر عددها بـ ١٥ ألف قطعة من آسيا الوسطى تضم تحفاً من الخزف تشمل القرون من العاشر حتى العشرين وتحفاً فضية من القرنين الثاني عشر والثالث عشر وبلاطات من القرن الرابع عشر والخامس عشر وسجاد ومنسوجات ومطرزات من القرن التاسع عشر وحلياً من القرن التاسع عشر.

كذلك يضم متحف الهرميتاج مجموعة من الآثار الهندية الإسلامية تقدر بحوالي ١٠٠٠ قطعة منها قطع نادرة من الحلي يعود تاريخها إلى فترة حكم المغول في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

وفي النهاية يضم الهرميتاج مجموعة من الخزف والحلي والتحف المستوردة من بلدان الشرق الأدنى وإيطاليا ومجموعة آثار من دول القبائل المغولية.

من خلال هذا العرض نجد أن متحف الهرميتاج يضم مجموعة فنية إسلامية تنوعت بين العملات الإسلامية والخزفيات والحلي والتحف المتنوعة المقتناة من مختلف بلدان العالم حقاً أن هذا التنوع الشامل لكل هذه المجموعة يجعل الهرميتاج في مرتبة تستحق التأمل لإبداع الفنان المسلم عبر التاريخ ليستمر فنه وإبداعه مساهماً في رؤية فنية إبداعية للحضارة العالمية عامة والإسلامية خاصة.



ومن أهم المقتنيات المجموعة التركية من خزف ومنسوجات وسجاد وأختام إذ يبلغ عددها ١٠٠٠ قطعة عدا الأسلحة وتعود كل القطع التركية زمنياً إلى عهد العثمانيين ما بين القرن السادس عشر والتاسع عشر.

أما مجموعة آثار الفن الإيراني التي تعود إلى الفترة الممتدة بين القرن العاشر والقرن التاسع عشر فتحتل المرتبة الأولى من حيث القيمة الفنية والتاريخية بين المقتنيات المنتسبة إلى الدول الأخرى في الشرق الأدنى ويبلغ مجموع هذه القطع نحو ٤٥٠٠ قطعة عدا الأسلحة ومن أبرزها مجموعة التحف البرونزية التي تعود إلى الفترة من القرن العاشر إلى الثالث عشر وتعتبر من أفضل المجموعات في العالم.

من المناطق الإسلامية في القوقاز مقتنيات من أذربيجان وداغستان فالتحف الداغستانية تتمثل في أحجار منقوشة تعود إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وأوان داغستانية من البرونز تعود إلى الفترة الممتدة بين القرنين الرابع عشر والتاسع عشر وأوان إيرانية ترجع إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر أما المقتنيات التي أتت من أذربيجان فهي يسيرة للغاية.

ثمة مجموعة من الطنافس والمطرزات الداغستانية من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ويصل عدد



عناصر بناء المسجد في فن العمارة الإسلامية

تلك التي تعتمد في كثير من الأحيان على الخط العربي والزخارف النباتية والزخارف الهندسية، ولما كان المسجد هو بمثابة المركز الذي ينطلق منه المجتمع الإسلامي، فقد أتقن الفنان المسلم الآليات التي انطلقت منها هذه الإبداعات المعمارية وأبدع المعماري المسلم في تشكيل المنظومة الهندسية، لتجسد لنا روح المسجد وعمارته من خلال النهج الواحد لعمارة المسجد على اختلاف المستويات المشرقية والمغربية

كانت ولا تزال العمارة الإسلامية تمثل النبض الذي لا يكاد أن يتوقف منذ منتصف القرن السابع الميلادي في معظم المباني التي تتسم بالطابع الإسلامي، ابتداءً بالمساجد ودور العبادة وانتهاءً بالأنماط التقليدية التي امتزجت بما هو قديم منحدر من الحضارات الشرقية والمغربية وبين ما هو حديث مستمر مع قدوم الحضارة الإسلامية ذات الطابع الأكثر حداثة وواقعية.

وما لا شك فيه فإن العمارة الإسلامية قد تأثرت بالثقافات والحضارات الأخرى وخاصة تلك التي دخلها الإسلام عبر فتوحاته، فقد كان المسجد يمثل رأس كافة الإبداعات المعمارية التي بلورتها الحضارة الإسلامية على مدى ألف وأربعمئة سنة من تأريخ الإسلام.

ولما كانت الفكرة الأساسية لعمارة المسجد نابعة من أصالة وبلاد الإسلام، فقد بات من الضروري بمكان أن تتطور وتنصلق العمارة الإسلامية تبعاً لاختلاف البيئات والمورثات الحضارية.

هذا وقد تطورت الفكرة العامة لأسلوب البناء المعماري على مدى المراحل التي مرت بها الدولة الإسلامية وذلك حسب الإمكانيات المادية المتاحة وحسب نوع البيئة المعاشة.

إن الزخرفة في منظور العمارة الإسلامية خاصة في عمارة المسجد هي لغة حية يستطيع أن يقرأها المسلم، وخاصة





المدخل الرئيسي

يعتبر المدخل نقطة الانتقال من الفراغ الخارجي إلى الفراغ الداخلي. فقد تفتن المعماري المسلم في شكل المدخل. لما له من تأثير في جذب المصلي أو الدخول إلى المسجد بما يتوافق والشكل العام للمسجد بارتفاعاته التي تحدها العناصر والارتفاعات الأخرى كالقبة والمئذنة. فمدخل المسجد لم يخرج عن هذه القاعدة حيث الارتفاع الذي يعبر عن السمو بشكله الجوف حتى ارتفاع ٥ أمتار يعتليه قوس نقش عليه اسم المسجد .

اشتهرت العمارة الإسلامية بالدخول من الفراغ إلى الفراغ . وذلك عبر بوابة الدخول إلى صحن المسجد حيث الفراغ والنور والفضاء . فقد كان المعماري المسلم مشدوداً لمصدر النور في تشكيلته المعمارية. ولما كان المسجد يفتقر إلى الصحن كان من اللازم توفر هذا العنصر المهم في فناء المسجد بفتحاته المقوسة والمرتفعة بارتفاع المسجد إلى عنان سقفه لتضفي منظرًا جمالياً .

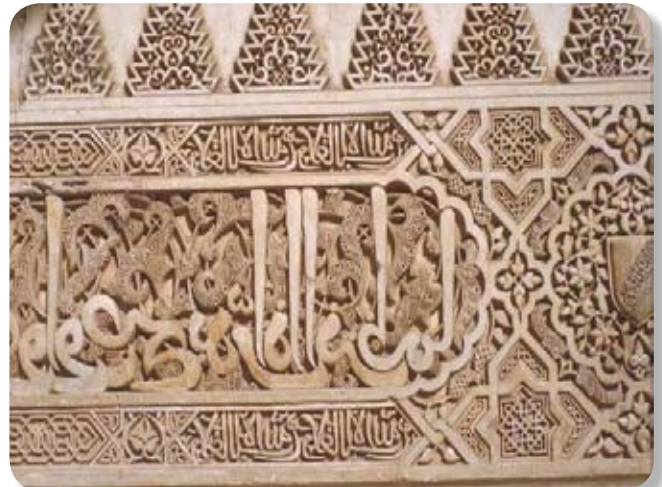


فناء المسجد

زخرفة الجوانب الداخلية



كان للخط العربي في الفن الإسلامي دلالة التصويرية والجمالية على جدران المساجد منذ زمن بعيد. وقد أبدع المعماري المسلم في استخدامه لأنواع الخطوط ومزجها بالزخارف النباتية تارةً وبالزخارف الهندسية تارةً أخرى .



المحراب



المحراب في لغة الأسد مأوى الأسد. وجاء في القاموس المحيط تفسيراً لمصطلح الكلمة ((والمحراب الغرفة. وصدر البيت وأكرم مواضعه. ومقام الإمام في المسجد. والموضع الذي ينفرد به الملك فيتباعد به عن الناس...)). والمحراب هو القبلة وتوجه المصلين والحل الذي يتصل الإنسان المسلم بربه. كما يمثل عنصراً في غاية الأهمية في عمارة المسجد بشكله الجوف. ولم يذهب المسجد بعيداً عن منظومة المحراب الاعتيادية. فمحراب المسجد يرتفع بارتفاع جدار القبلة داخلياً تعبيراً عن السمو ويتناسب مع ارتفاعه القبة التي تعلو فراغ المحراب. والتي ترتفع عن مستوى كل عناصر المسجد باستثناء مؤذنته .

القبة



عرفت القبة في عمارة المسجد تحديداً في عهد الدولة الأموية. إذ لم يكن ذات المعرفة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي أيام الخلافة الراشدة. وفي جميع الحقب التي تلتها كانت القبة رمزاً وعنصراً أساسياً في عمارة المسجد . وقد اعتمد المعماري المسلم في تحويلها وتجسيدها على جميع أنواع العمارة الإسلامية. وعادة ما كانت القبة والمؤذنة تشكلان منظومة هندسية متوازنة تدخلان في وضع مثالية الشكل العام للمسجد .

المئذنة

المئذنة أو الصومعة تمثل أحد أهم العناصر على الإطلاق في عمارة المسجد. فارتفاع المئذنة يخضع عادةً إلى التشكيل الخارجي للمسجد مع وجود التناغم في نسب التفاوت بينها وبين القبة وبين أبعاد وواجهات المسجد. مما يوحي للناظر التجانس المطلوب في وجوه فن العمارة بشكل عام .

الثرىات



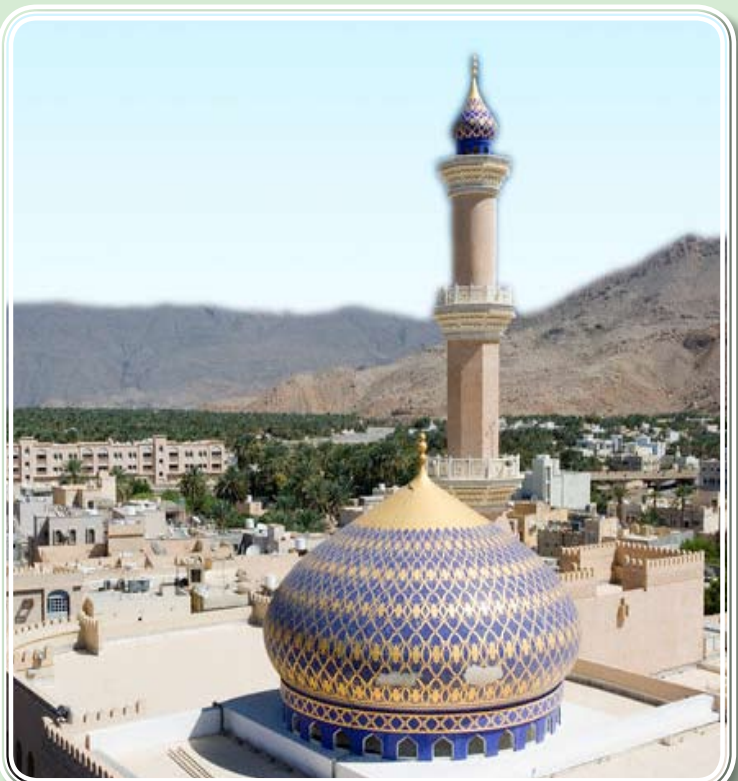
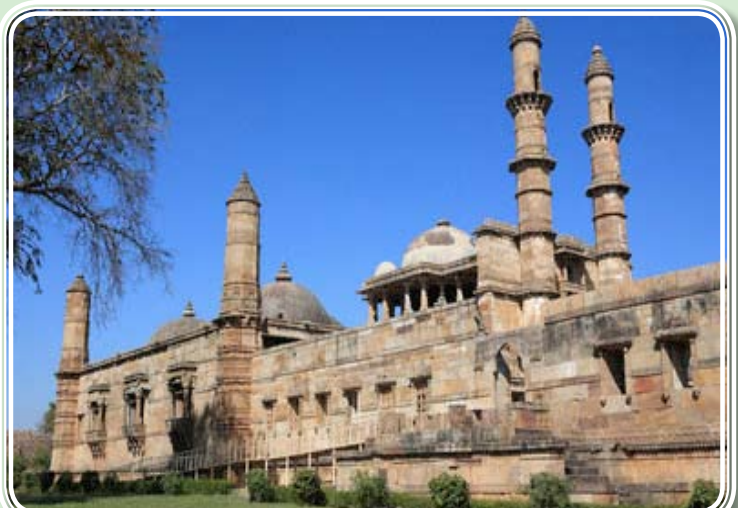
تعتبر الثرىات من ضمن عناصر وكماليات المسجد. فقد أدخلت في فترة متقدمة من عمارة المسجد والتي كانت تشغل كثيراً من فراغات المسجد على امتداده. ومن أهم تلك الفراغات القبة . وقد يستخدم للمسجد الثرىات ذات الطابع الإسلامي القديم بفكرة جديدة .

السبيل



للسبيل علامات في العمارة الإسلامية وخاصة في عمارة المسجد. إذ لا يكاد يخلو صحن جامع من الفوارة التي تروي بمنبع ومجرى الماء وهو يتدفق على جنبات الحوض. وقد اختلفت المسميات ونوعية الاستخدام تبعاً للمورثات والحضارات والبيئة. وبالغ المعمارون المسلمون في تشكيل الفوارة على اختلاف أشكالها فجاءت على شكل مبان تعلوها قباب مزينة بزخارف معمارية أو على شكل أحواض بأشكال هندسية مختلفة. ودائماً ما كان الماء في كل ذلك مثلاً ورمزاً للحياة والاستمرارية .

المساجد في العالم



المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة

قال رسول الله ﷺ

«صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»

مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام هي حقاً دار الإيمان كما قال (صلى الله عليه وسلم) «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأحب البقاع إلى الله عز وجل.. لا يدخلها الدجال والطاعون.. وهي آخر الدنيا خراباً.. يشاق كل مسلم إلى زيارتها.. وهي العاصمة الإسلامية الأولى.. منها شع النور وانتشر حتى بلغ أرجاء المصطفى صلى الله عليه وسلم.. ومن المدينة المنورة حكمت الأرض الخلفاء.. وبها مقام رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) حرماً (وسلم) كما حرم سيدنا إبراهيم مكة المكرمة فقال عليه الصلاة ومكة، ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة.. ومدّها بمثلي ما دعا إبراهيم لأهل مكة» فهي حرم. وللمدينة متميزة عن سائر مدن العالم، ومن الطبيعي أن تجذب الجغرافي بما يميزها من تفرد، بين نظيراتها في المملكة العربية السعودية بصفة خاصة..

المعمورة منذ أن هاجر إليها كلها.. فشهدت الدنيا عدل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والسلام «إن إبراهيم حرم وإني دعوت في صاعها المنورة شخصية جغرافية المدينة المنورة انتباه العالم العالم الإسلامي بصفة عامة



يتحول الرسول - صلى الله عليه وسلم - من داعية لدين الله فحسب، إلى داعية ومنظم سياسي. فقد كانت المدينة المنورة أحزاباً كثيرة منهم المهاجرون والأنصار واليهود. وكان على الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يجانس بين هذه الأحزاب ... وعندما خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة مهاجراً قال : (اللهم إنك أخرجتني من أحب أرضك إلي فأنزلني إلى أحب أرضك إليك ...) فكانت المدينة التي أصبحت خير وأظهر بقاع الأرض... وإليها تشد الرحال زيارة وتبركاً .

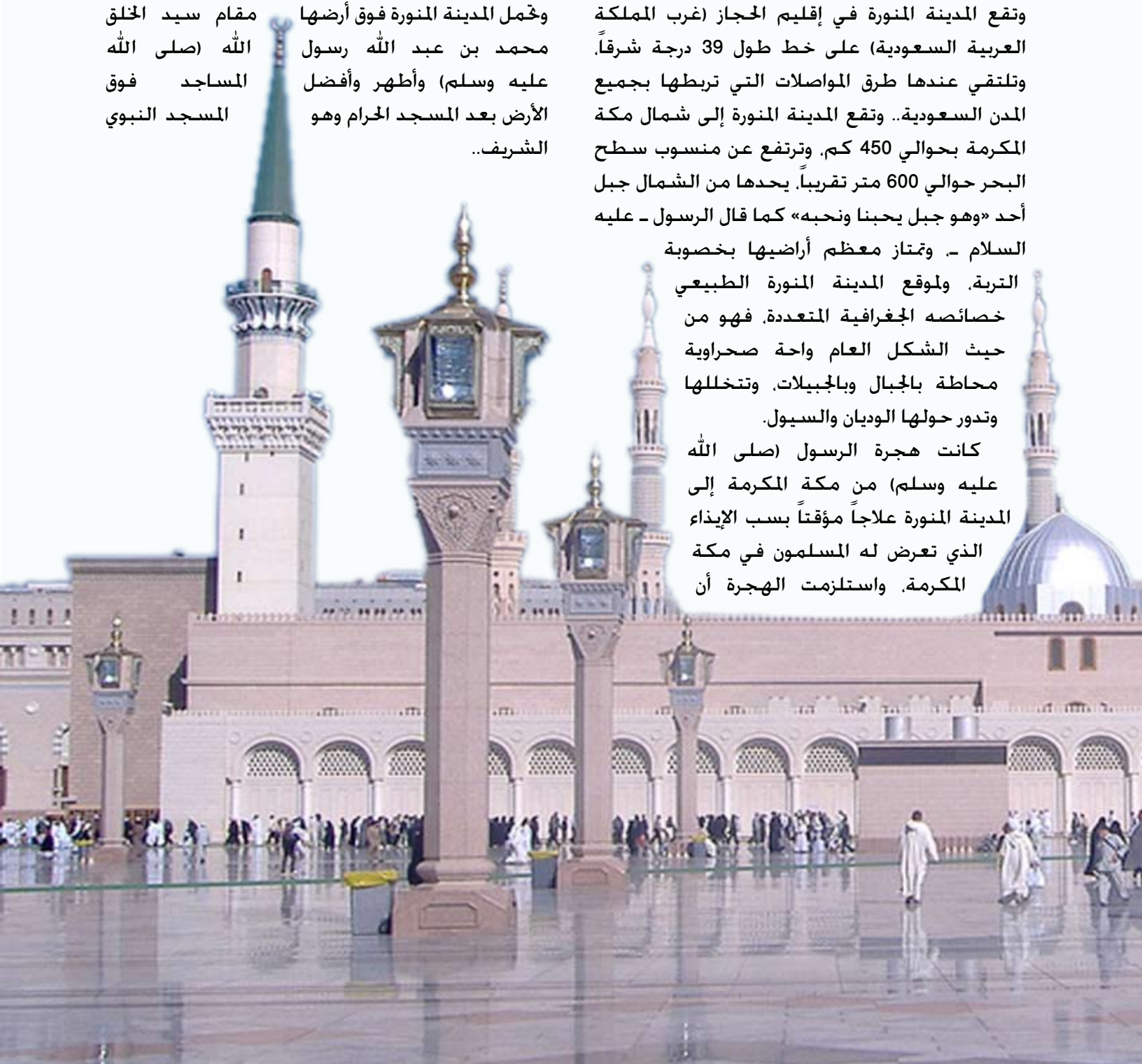
وتحمل المدينة المنورة فوق أرضها
محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأظهر وأفضل المساجد فوق الأرض بعد المسجد الحرام وهو الشريف..

فهي درة العالم الإسلامي. اختارها الله تعالى لتكون مُهاجراً الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث أمره الله بالهجرة إليها كما قال عليه السلام (أمرت بقرية تأكل القرى. يقولون يثرب وهي المدينة..) فكانت المدينة المنورة قبل هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام تعرف (بيثرب) وقد ورد اسمها بهذه التسمية في القرآن الكريم في قوله تعالى «وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا» وكانت يثرب من بين مدن الحجاز المتحضرة..

وتقع المدينة المنورة في إقليم الحجاز (غرب المملكة العربية السعودية) على خط طول 39 درجة شرقاً. وتلتقي عندها طرق المواصلات التي تربطها بجميع المدن السعودية.. وتقع المدينة المنورة إلى شمال مكة المكرمة بحوالي 450 كم. وترتفع عن منسوب سطح البحر حوالي 600 متر تقريباً. يحدها من الشمال جبل أحد «وهو جبل يحبنا ونحبه» كما قال الرسول - عليه

السلام - . وتمتاز معظم أراضيها بخصوبة التربة. ولموقع المدينة المنورة الطبيعي خصائصه الجغرافية المتعددة. فهو من حيث الشكل العام واحة صحراوية محاطة بالجبال وبالجيال. وتتخللها وتدور حولها الوديان والسيول.

كانت هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة علاجاً مؤقتاً بسبب الإيذاء الذي تعرض له المسلمون في مكة المكرمة. واستلزم الهجرة أن



ولم تكن هذه البيوت ملتصقة بالمسجد بل كان يفصل بينها وبين المسجد طريق عرضه 10 أذرع ويبدو أن المسجد لم يكن في أول الأمر. سوى ظلة واحدة وكانت ترتكز على سوار من جذوع النخل حفت على أبعاد متساوية وفي السنة الثانية من الهجرة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله - عليه السلام - أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام بمكة المكرمة بعد أن كانت القبلة أول الأمر تجاه بيت المقدس. فنقلت القبلة من الجدار الشمالي إلى الجدار الجنوبي من المسجد النبوي الشريف ...

ودخل المسجد في طور جديد حيث أضاف الرسول (صلى الله عليه وسلم) ظلة ثانية وجعل في وسطها علامة تعين موضع القبلة وهي تعتبر الأساس الأول لفكرة المحراب. وأصبح بوسط المسجد مكان مكشوف عرف باسم صحن المسجد وبقيت السقيفة القديمة علي حالها يستظل بها الناس من حرارة الشمس وعرفت بالصفة..

ولم يكن المسجد في ذلك الوقت يشتمل علي مئذنة إذ كان المؤذن ينادي للصلاة من فوق سطح أعلى منزل مجاور للمسجد ... وفي

الصلاة فيه تعدل ألف صلاة فيما سواه المسجد الحرام.. وإليه تشد الرحال.. ويعتبر مسجد الرسول (عليه الصلاة والسلام) أول مسجد ثابت المعالم والتاريخ.. وكان المسجد أرضاً بها نخل وقبور للمشركين. وكانت أرضاً خربة في البداية وملوكة لغلामين يتيمن من الأنصار هما (سهل وسهيل).. وكانت هذه الأرض على موعد مع القدر حيث اشترى الرسول (عليه الصلاة والسلام) الأرض من الغلامين بعشرة دنانير. وأمر النبي (عليه الصلاة والسلام) بالنخل فقطع. وبقبور المشركين فنبتت وسويت الأرض تمهيداً لبناء أظهر مساجد الإسلام. وقد استغرقت عمارة المسجد سبعة شهور قضاهما الرسول (صلى الله عليه وسلم) في ضيافة (أبي خالد الأنصاري) ثم أذن لفقراء المسلمين الذين ليس لهم منازل ولا عشائر أن يناموا في المسجد وقد عرف ذلك الفريق من المسلمين بأهل الصفة لإقامتهم بالمسجد على هيئة صفوف .

أما مساحة المسجد الأولى فكانت سبعين ذراعاً في ستين ذراعاً أو يزيد (الذراع = ستة وستين سم) وهذا المسجد الذي عمل بنائه النبي عليه الصلاة والسلام وعاونه في ذلك أهل المدينة من المسلمين. كان

المسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ



السنة السابعة من الهجرة النبوية الشريفة بعد غزوة خيبر قام الرسول (صلى الله عليه وسلم). بتوسيع المسجد وبيوت زوجاته الشريفة. وأصبحت هذه البيوت تفتح على المسجد مباشرة. وكان بعضها من جريد النخل والبعض الآخر من الحجارة ... وأدى ازدياد أعداد المسلمين. واتقاء لحرارة الشمس قام المسلمون ما بين السقيفتين الجنوبية والشمالية بسقيفتين أخريين إلى جهة الشرق والغرب من المسجد. وظل المسجد بهذه الحال حتى انتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) عام 11 هـ ومقامه (عليه السلام) في أرض حجرة السيدة عائشة (رضي الله عنها). وصار تخطيط المسجد النبوي بالمدينة المنورة نموذجاً للمساجد الجامعة التي أسسها المسلمون في المدن الجديدة التي أنشأوها عقب الفتوح الإسلامية مثل مسجد البصرة ومسجد الكوفة بالعراق ومسجد عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر. ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان .

بناءً بسيطاً يترجم في بساطته عن يسر الإسلام. حيث اعتمد على بعض الصحابة من لهم خبرة في مجال البناء. وكان المسجد علي هيئة فناء مربع متساوي الأضلاع. وخُف به أربعة جدران. ارتفاعها 7 أذرع. ويتجه أحد جوانبه نحو المسجد الأقصى بالقدس الشريف. والجدار المقابل نحو الكعبة المشرفة في الجنوب. وكانت الجدران مبنية في بدايتها من الطوب اللبن. وسقف جزء منه بسعف النخل والطين. وجعلت عمد المسجد من جذوع النخل وكان للمسجد ثلاثة أبواب هي باب جبريل. وباب النساء وباب الرحمة. وما زالت هذه الأبواب تعرف باسمها حتى الآن..

وأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يبني خارج الطرف الجنوبي من الجانب الشرقي مسكنان لزوجتيه السيدة عائشة بنت أبي بكر والسيدة سودة بنت زمعة - رضي الله عنهما - ثم أضيف إلى هذين المسكنين بيوت أخرى لباقي زوجات الرسول عليه السلام

المسجد النبوي الشريف .. في عهد الراشدين

الحرم النبوي الشريف .. في عهد الوليد بن عبد الملك

.. ظل المسجد النبوي الشريف على حاله من بعد سيدنا عثمان بن عفان إلى أن تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة عام 88هـ فأمر بإعادة بنائه وتجديده تجديداً شاملاً. وكانت الدولة الإسلامية قد بلغت في عهد الوليد درجة من القوة والثراء والتحضر بحيث صارت أعظم دول العالم على الإطلاق حيث امتدت رقعتها من حدود الهند شرقاً إلى إسبانيا غرباً وشملت فيما شملت إيران والعراق ومصر وبلاد الشام وشمال أفريقيا. واحتكت بالحضارات السابقة عليها والمعاصرة لها وتعرفت على مدى ما وصلت إليه هذه الحضارات في مجال العمارة.. وكان العهد الأموي عصر تشييد العمائر الإسلامية الفخمة .. ولقد ورث الوليد من أبيه عبد الملك بن مروان حب البناء والعمارة.. وعمل على تحقيق خطة معمارية ضخمة تليق بعظمة الدولة الإسلامية وكان من الطبيعي أن يكون على رأس هذه الخطة المعمارية إعادة تشييد الحرم النبوي الشريف بطراز يليق بمكانته في نفوس المسلمين.. وبأسلوب يناسب ثراء الدولة الإسلامية. وألقي بهذه المهمة إلى واليه على المدينة المنورة آنذاك (عمر بن عبد العزيز).. الذي أعاد سيرة الخلفاء الراشدين بعد ذلك رضوان الله عليهم.. وزود الوليد واليه عمر بن عبد العزيز بما يلزمه لبناء الحرم النبوي الشريف من مال ومواد بناء كالمرمر والأخشاب والرخام. كما استقدم العمال من البلاد المختلفة..

بقي مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) دون تغيير أو زيادة وذلك بسبب انشغاله بحروب الردة وترتيب الدولة بعد انتقاله الرسول (صلى الله عليه وسلم). وفي عام 17 هـ قام الخليفة عمر بن الخطاب بزيادة مساحة المسجد النبوي الشريف من ناحيته الشمال والغرب كما أنه عمق ظلة القبلة من ناحية الجنوب ونتج عن ذلك أنه لم يعد باقياً من الجدران الأصلية للمسجد النبوي الشريف سوى الجدار الشرقي وذلك بسبب وجود حجرات زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومقامه الشريف أسفل حجرة السيدة عائشة (رضي الله عنها) وفي عام 24 هـ جدد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) المسجد النبوي وذلك بتوسيعه من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية وزاد من عمق ظلة القبلة ولم يقترب من الناحية الشريفة لوجود قبة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

وقد أصبح هذا المسجد نموذجاً يحتذى به في كافة الأقطار التي فتحها المسلمون مع تغييرات بسيطة في النسب والاتساع بحسب الحاجة وكذلك في مادة البناء والتسقيف ولكن مع الاحتفاظ بالفكرة الأساسية في التخطيط. وهي صحن أوسط مكشوف يحيط به أربع ظلال أكبرها وأعمقها ظلة القبلة..

وقد يستغني أحياناً عن الظلة المعاكسة لظلة القبلة أو الظلّتين الجانبيتين ويكتفي بظلة واحدة مثلما حدث بمسجد الكوفة والبصرة. كما قام عثمان بن عفان ببناء جدران المسجد بالحجارة المنقوشة. وسقفه بخشب الساج. وجعل طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً. وجعل له ستة أبواب وبنى على مقام الرسول (صلى الله عليه وسلم) جداراً مرتفعة من حوله لئلا يظهر في المسجد فيصل

إليه الناس.. وكان ذلك هو نواة المسجد الإسلامي المبكر. وإن كانت سنة التغيير قد أدخلت على المسجد إضافات كثيرة لم تكن موجودة مثل المئذنة والحراب الجوف والمشكاوات الزجاجية وكرسي المبلغ وكرسي المصحف وغير ذلك مما يتماشى مع التطور العمراني والزمني .



الحرم النبوي الشريف في العهد العباسي



أربعة أروقة، ويحتوي رواق القبلة على خمسة صفوف من الأعمدة موازية لجدار القبلة..

ولقد تمت في عمارة المهدي زخرفة الرواق الشمالي الجديد بالفسيفساء، أما صحن المسجد فظل يحف به أربعة أروقة وبذلك لم تغير عمارة المهدي من طراز المسجد النبوي الشريف، وقد ظل المسجد النبوي منذ عهد المهدي محتفظاً بحدوده ومعالمه دون تغيير إلى أن اجتاحه حريق مروع عام 654 هـ (1256م)

وقد حدث هذا الحريق ليلة الجمعة أول رمضان حيث امتدت النار إلى أنحاء المسجد كله، ولم ينج من النار سوى القبة التي كان قد أقامها الناصر لدين الله بصحن المسجد وكان بها المصحف العثماني. وما أن بلغ الحريق الخليفة العباسي المستعصم بالله حتى أمر بتعمير المسجد وشرع في ذلك عام 656 هـ غير أن القدر لم يمهله لإتمام عمارته حيث قتله هولاكو في 14 صفر 656 هـ وبموته انتهت الدولة العباسية نفسها على يد المغول الذين اجتاحتها شرق العالم الإسلامي..

ظل الحرم النبوي الشريف بعد عمارة الوليد بن عبد الملك دون تغيير يذكر، حتى تولى الخلافة المهدي العباسي، فأمر بعمارته من جديد عام 160 هـ وتعتبر عمارة المهدي للحرم النبوي الشريف ذات أهمية خاصة لأنها وضعت للمسجد حدوده التي ظل محتفظاً بها رغم ما جرى عليه بعد ذلك من تجديد وتعمير على مر العصور .

وببدو أن العزم كان قد انعقد منذ بداية الخلافة العباسية على إجراء عمارة في الحرم النبوي الشريف، غير أن ظروف الدولة الجديدة في عهد السفاح، الخليفة العباسي الأول لم تكن تسمح بتوجيه جهد كبير نحو البناء والتعمير، إذ كان مشغولاً بطبيعة الحال بإقرار الأمور والقضاء على الدولة الأموية، كما أن مدة خلافته كانت من القصر بحيث لم تتح له فرصة القيام بالأعمال المعمارية .

أما الخليفة العباسي المنصور، فقد ساد في عهده نوع من الاستقرار النسبي، فعقد العزم على تجديد المسجد النبوي الشريف ولكنه توفي قبل أن يتمكن من ذلك وما أن استقرت الأمور للخليفة العباسي (المهدي) عام 158 هـ حتى شرع في عمارة الحرم النبوي الشريف، فأصدر أوامره بذلك عام 160 هـ واستغرقت العمارة سنتين، وقد عهد الخليفة المهدي العباسي إلى عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز، وعبد الملك بن شبيب، ولم يتعرض المشرفون على عمارة المسجد لرواق القبلة ولا الرواقين الجانبيين إذ أبقوها على حالها كما كانت في عهد الوليد بن عبد الملك كما أبقوا على منبر النبي (صلى الله عليه وسلم) ومحراب سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) والأبواب التي فتحها سيدنا عمر بن الخطاب، واقتصرت العمارة على توسعة المسجد نحو الشمال بما أدى إلى هدم الرواق الشمالي وإضافة رقعة من الأرض في شمال المسجد طولها ثلاثين متراً تقريباً، وقد أدت هذه العمارة إلى إعادة بناء الرواق الشمالي من

الرواقين

الجانبين، وإعادة بناء المئذنتين الشماليتين، وفتح بابين جديدين في الجدار الشمالي وأصبح المسجد النبوي الشريف بعد عمارة المهدي يتألف من صحن أوسط تحف به



الحرم النبوي .. في عهد السلطان قايتباي ..

أجري بالحرم النبوي الشريف عمارتان كبيرتان بعد الحريق المدمر الذي اجتاحه في عصر المماليك إحداها تمت في عهد السلطان الملك الأشرف قايتباي سلطان مصر الذي حدث الحريق في عهده والثانية تمت في عهد السلطان عبد المجيد سلطان آل عثمان. بالإضافة إلى أعمال معمارية متفرقة أنجزت علي يد عدد من الولاة المسلمين الذين كانوا يتقربون إلى الله (سبحانه وتعالى) بعمارة المسجد النبوي الشريف.. وهذا الحريق هو الحريق الثاني بعد حريق عام 655 هـ وقد بدأ هذا الحريق في ليلة الثالث عشر من رمضان عام 886 هـ. وذلك على إثر صاعقة انقضت من السماء ونزلت على المئذنة الرئيسية في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد..

ثم انتقلت إلى سقف المسجد ثم مختلف أجزائه. وكان نتيجة ذلك أن تصدعت جدران المسجد وبعض مآذنه وخطمت معظم أعمدته واحترقت المقصورة والمنبر. وكان فضل الله تعالى أن سلمت الحجرة النبوية الشريفة من هذا الحريق. وما أن وصل خبر هذا الحريق إلى مصر حتى سارع السلطان قايتباي حامي الحرمين الشريفين إلى تدبير أمر عمارة الحرم النبوي من جديد. وكان قايتباي محباً للبناء والتشييد ولا سيما بيوت وأضرحة أهل البيت، والصالحين، والمؤسسات الدينية الأخرى.

واعتنى قايتباي بصفة خاصة بعمارة المساجد الثلاثة التي يشد إليها الرحال كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم).. فأرسل السلطان قايتباي بعض المهندسين والبنائين والعمال والنجارين. وأمر بإعادة بناء المسجد كله من جديد فأصبح في غاية الحسن ومن أعظم الأبنية في ذلك الزمان. حتى قيل إن السلطان قايتباي : أنفق على بنائه نحو مائة ألف دينار : كما أنشأ مدرسة مطلية على الحرم النبوي الشريف. ولم يكتف قايتباي بعمارة الحرم النبوي وتزويده بالأثاث اللازم من سجاد ومشكاوات زجاجية للإضاءة. بل ورتب لأهل المدينة المنورة والواردين عليها ما يكفيهم من القمح والخبز يستوي في ذلك الجميع من كبير وصغير وغني وفقير .

وظل الحرم النبوي الشريف موضع عناية سلاطين مصر من المماليك إلى أن حكم العثمانيون الدولة الإسلامية وانتقلت رعاية الحرمين الشريفين إلى سلاطين آل عثمان. غير أن الحرم النبوي الشريف بقي بعد قايتباي قرابة أربعة قرون دون أن تجري به عمارة كبيرة إلى أن كان عهد السلطان عبد المجيد العثماني فأمر بتعميره عام 1265 هـ / 1848 م..

الحرم النبوي الشريف .. في عهد العثمانيين

مر على الحرم النبوي الشريف منذ إنشائه على يد النبي (صلى الله عليه وسلم) مراحل من التجديدات والتعمير كان القائمون بالعمارة يحاولون المحافظة على المعالم التقليدية التي ترجع إلى أيام النبي (صلى الله عليه وسلم) وعهود الخلفاء الراشدين وعدم تغييرها تمسكاً بالسنة النبوية الشريفة وتبركاً بالأشياء التي خوطها ذكريات ترجع هذا العصر الكريم وفي نفس الوقت كانوا حريصين علي تزويد المسجد بأحدث ما وصل إليه فن العمارة في عصورهم رغبة منهم في إضفاء أكثر ما يمكن من مظاهر الجمال المعماري والإبداع الفني على المسجد .

فظل المسجد النبوي رغم العمارة الكبيرة التي أجريت عليه محتفظاً بطرازه المعماري القديم الذي يمثل النوع الأول. والأساسي لعمارة المساجد في العالم الإسلامي : ومنذ أن ظهر العثمانيون الأتراك على مسرح التاريخ أخذوا يعملون على السيطرة على الحجاز . وانتقلت رعاية الحرمين الشريفين إليهم : ولقد اعتنى بعض السلاطين العثمانيين بعمارة المسجد النبوي الشريف وتجديده .

ومن أوائل سلاطين آل عثمان الذين أقبلوا علي تعمير الحرم النبوي الشريف. السلطان سليم الثاني إذ جده عام 980 هـ 1572 م حيث اعتنى بزخرفة جدران المسجد وأمر بكسوته بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب. وبعد ذلك اعتنى السلطان محمود العثماني بعمارة قبة الحجرة النبوية الشريفة. ولم يكن لهذه الحجرة أول الأمر قبة وإنما كانت مغطاة بسقف مسطح. وفي عام 678 هـ في عهد المنصور قلاوون أقيم فوق الحجرة الشريفة قبة من الخشب المصنوع بالرصاص ثم جددت هذه القبة في عهد السلطان الناصر حسن؛ وبعد حريق عام 886 هـ جدد السلطان قايتباي القبة وبنائها بالحجر الأسود المنحوت وكمّلها بالحجر الأبيض. وقد بلغ ارتفاعها في عهد قايتباي 14 متراً..

وفي عهد السلطان محمود بن عبد الحميد العثماني. حدث بالقبة الخضراء شقوق فأمر السلطان عام 1233 هـ بتجديدها وعمارته ثم أمر عام 1255 هـ / 1839 م بطلائها باللون الأخضر ومن ثم سميت بالقبة الخضراء.

غير أن العمارة الكبيرة التي تمت في عهد العثمانيين للمسجد النبوي الشريف كانت في عهد السلطان عبد المجيد. وهي من الشمول بحيث تعادل العمارات الكبيرة التي تمت في عهد الوليد والمهدي وقايتباي وقد اختار مجموعة من المهندسين

كانت مرخمة بالرخام الأبيض والأحمر. أما باقي الأعمدة فقد استبدل بها أعمدة جديدة كما أعيد بناء المئذنة في الطرف الشمالي الغربي وصارت تعرف بالمئذنة الجديدة. كما أعيد بناء باب السلام بشكل فخيم ، وجعل خلفه قبة عظيمة وكذلك هدمت قبة في صحن المسجد كانت تستخدم مخزناً للزيت. وامتدت أعمال العمارة إلى الزخرفة فتمت تسوية أرض المسجد وكسوتها بالرخام وتخفيض أرض صحن المسجد عن أرض الأروقة وترخيم بعض الجدران. وطلاء المسجد وزخرفة باطن القباب برسوم المناظر الطبيعية من أشجار وزهور فاكتسى المسجد بحلة من الفنون والزخارف ذات الطابع التركي. كما زاد من جمال المسجد. خلية جدرانه بخطوط جميلة أبدعها مشاهير الخطاطين المسلمين ومنهم الخطاط (عبد الله زهدي) الذي قضى ثلاثة سنوات يزخرف سقف المسجد وجدرانه وأعمدته بخط جميل يتضمن الآيات القرآنية الكريمة وعبارات الأدعية المختلفة..

والعمال المتمرسين وكلفهم ببناء الحرم النبوي كأحسن ما يكون البناء. وأمرهم بأن يزودوه بالفخامة المعمارية والفنية التي تليق بمقام المسجد العظيم.. وقد أخذ العمال الأحجار والأعمدة من هضاب وادي العقيق ونقلوها على عربات إلى الحرم النبوي بعد أن مهدوا لذلك طريقاً للعربات يمتد من المحاجر إلى المسجد : وحتى لا تتعطل الصلاة في المسجد أخذوا يعمرون المسجد جزءاً بعد جزء حتى تمت عمارة المسجد كله وقد بدأت عمارة السلطان عبد المجيد عام 1265هـ وانتهت عام 1277هـ أي أنها امتدت حوالي 12 عاماً وتكلفتم العمارة سبعمائة وخمسين ألف جنيه مجيدي .

وظل المسجد محتفظاً بحدوده القديمة تقريباً : وأضيف إلى المسجد عند حده الشمالي مساحة من الأرض بني فيها مكان للوضوء وفتح فيها باب جديد صار يعرف باسم الباب المجيدي نسبة إلى السلطان عبد المجيد : كما تضخمت العمارة بتغيير جميع الأعمدة : فيما عدا بعض الأعمدة بالروضة الشريفة

المسجد النبوي حالياً

خمسة أبواب هي التي يمكن حسابها من الناحية الأثرية. وللمسجد النبوي الشريف ثلاثة محارib أقدمها المحراب النبوي وموقعه حالياً في الرواق الثالث من ظلة القبلة وهو الموضع القديم الذي عينه الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند حوال القبلة في شعبان من السنة الثانية من الهجرة. والمحراب الثاني إلى اليمين من محراب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويعرف بالمحراب السليماني. والمحراب الثالث ويقع في صدر المسجد وهو الذي أضافه الخليفة عثمان بن عفان عند توسيع ظلة القبلة .

مساحة المسجد الحالية عبارة عن مستطيل غير متساوي الأضلاع طول ضلعه من الشمال إلى الجنوب 116 متراً وعرضه من الشمال 66 متراً. يتوسطه صحن مكشوف سماوي طوله أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة التي تتكون من اثني عشر رواقاً والغربية من ثلاث أروقة أقيمت ظلته على عقود محمولة على عمد من الرخام أو الجرانيت وسقفه مجدد في العصر العثماني علي هيئة قباب ضحلة محمولة على مثلثات كروية : وقد ازدادت أبواب المسجد حتى وصلت إلى أربع وعشرين باباً منها أربعة أبواب خاصة في جهة القبلة وعشرون باباً عاماً. وقد سدت هذه الأبواب كلها ما عدا



مآذن المسجد النبوي الشريف

الغرب ووجهه الشريف نحو القبلة.. ولما توفي أبو بكر الصديق في 22 جمادي الأولى عام 13 هـ دفن إلى جانب الرسول (عليه السلام) من جهة الشمال ورأسه خلف منكب الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وعندما طعن الخليفة عمر بن الخطاب استأذن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أن يدفن مع صاحبيه فلما مات 27 ذي الحجة عام 23 هـ دفن إلى جوارهما شمالي أبي بكر الصديق . كما يوجد مقصورة صغيرة دفنت أسفلها السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (عليه الصلاة والسلام) .

وحينما تولى الوليد بن عبد الملك أدخل واليه عمر بن عبد العزيز هذه البيوت في مساحة المسجد وأقام حولها بناءً مخمساً لا يطوف الناس من حوله كما يطوفون حول الكعبة وكانت هذه الغرف مسقفة بالخشب..

وكان ارتفاع جدرانها ستة أمتار وظلت الغرفة على حالها إلى أن قام نور الدين محمود ببناء حجرة مربعة حول الغرفة القديمة بناها من الحجر وحفر حول مقام الرسول (صلى الله عليه وسلم) خندقاً عميقاً أفرغ فيه مصهور الرصاص حتى لا تصل إليه يد لأنه كان يخشى من هجوم الصليبيين على المدينة المنورة ...

ثم قام السلطان المنصور قلاوون عام 678هـ ببناء حجرة مربعة غطيت من أعلاها بقبة من ضلوع خشبية مغلقة بألواح من الرصاص خوفاً عليها من الأمطار وجددت هذه القبة عند احتراقها عام 754 هـ على يد الناصر محمد بن قلاوون. ثم جددتها السلطان شعبان بن حسين عام 765 هـ ثم السلطان الأشرف قايتباي من عام 886 هـ حينما احترق سقف المسجد النبوي فقام ببناء قبة صغيرة من الأحجار السوداء في مكان القبة الخشبية، ثم بنى فوقها قبة عظيمة مقامة على دعائم وكسيت من أعلاها بالجص الأبيض ثم قام السلطان محمود بن السلطان عبد الجيد العثماني بتجديدها كلها عام 1233 هـ وصبغها باللون الأخضر فسميت بالقبة الخضراء .

لم يكن للمسجد النبوي الشريف على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مآذن وإنما كان يؤذن من على سطح دار عبد الله بن عمر التي كانت بظهر القبلة وكان سيدنا بلال بن رباح يرتقي ظهر هذا الدار ليؤذن من عليها. ولما جدد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك المسجد النبوي أمر عامله عمر بن عبد العزيز أن يبني أربع مآذن بزوايا المسجد الأربعة ولا يوجد بقايا لهذه المآذن حالياً والموجود بالمسجد حالياً عشر مآذن منها خمس أثرية والباقي من تجديدات الحكومة السعودية .

المآذن الأثرية

مئذنة باب السلام: وتقع إلى جوار باب السلام بالجهة الجنوبية الشرقية من المسجد. وكانت تطل على دار مروان فلما حج الخليفة سليمان بن عبد الملك ارتقاها المؤذن فكشفت داره فأمر بهدمها ثم أعاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بناءها عام 706 هـ ولا تزال هذه المئذنة باقية دون تغيير في هيئتها .

مئذنة باب الرحمة: وقد أنشأ هذه المئذنة السلطان قايتباي الحمودي في العصر المملوكي. وكانت قمتها محدودة على النسق العثماني ثم قامت الحكومة السعودية بترميمها على النسق المملوكي .

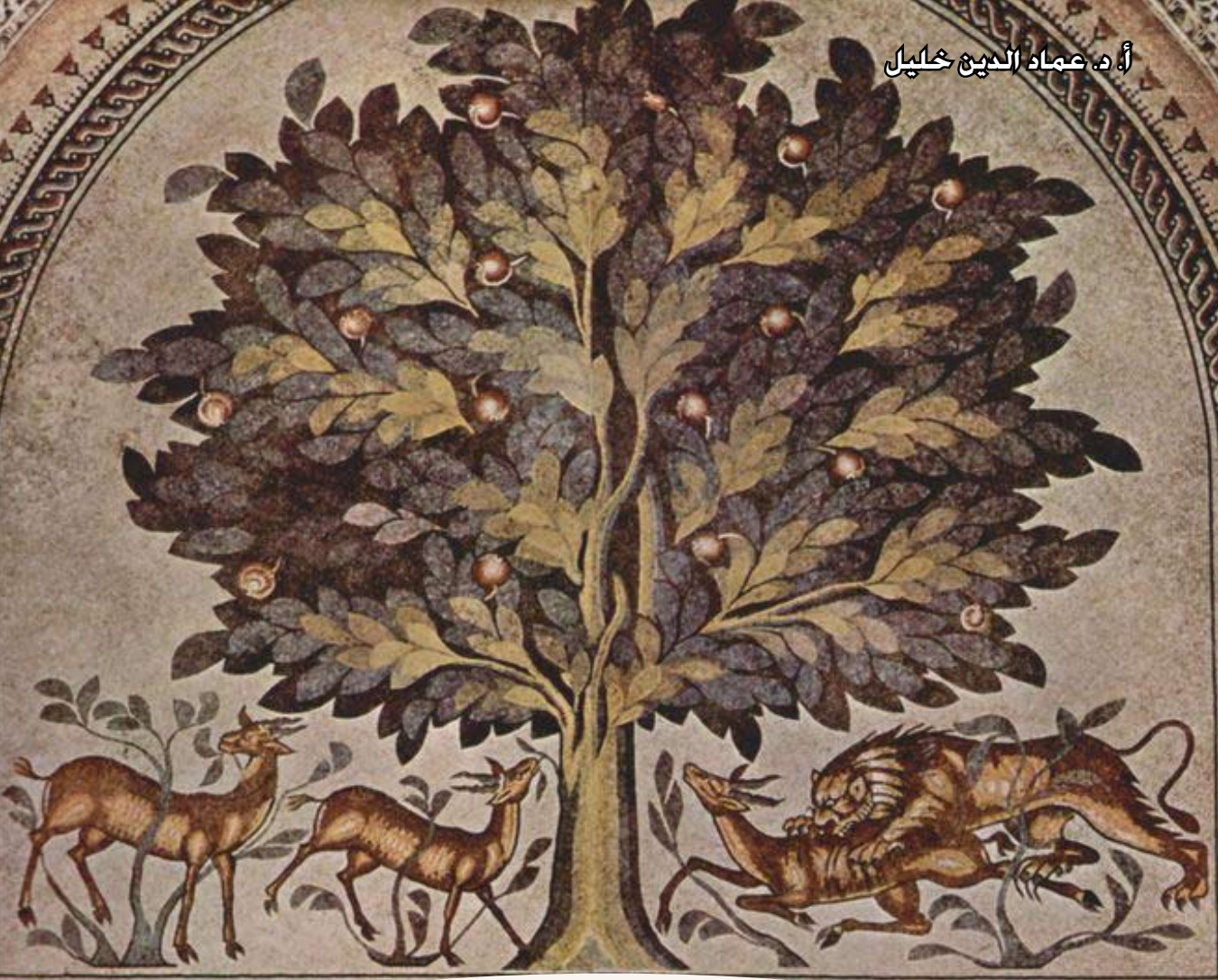
أما المئذنة الجنوبية: وهي المئذنة الرئيسية للمسجد النبوي تقع بالزاوية الجنوبية من المسجد خلف الحجرة النبوية ولا تزال هذه المئذنة بهيئتها المملوكية من عصر الناصر محمد بن قلاوون .

المئذنة السليمانية: وتقع بالزاوية الشمالية من المسجد وكانت مبنية على الطراز العثماني ثم قامت الحكومة السعودية بتجديدها على الطراز المملوكي .

أما المئذنة الجديدة: وتقع بالزاوية الغربية من المسجد. وكانت على الطراز العثماني ثم جددتها الحكومة السعودية علي الطراز المملوكي.. وقد أضافت الحكومة السعودية خمس مآذن أخرى ليصبح عدد المآذن عشرة .

المقصورة النبوية الشريفة: كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) بيت في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد يعرف ببيت عائشة (رضي الله عنها) وإلى الجنوب منه بيت السيدة حفصة (رضي الله عنها). وكان يفصل بين هذه البيوت والمسجد طريق ضيق وكانت هذه البيوت مبنية بالطوب اللبن والجريد. ولم تكن سقوفها مرتفعة بل كانت قصيرة ولما انتقل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عام 11 هـ كان مقامه بأرض حجرة السيدة عائشة (رضي الله عنها) ورأسه الشريفة إلى



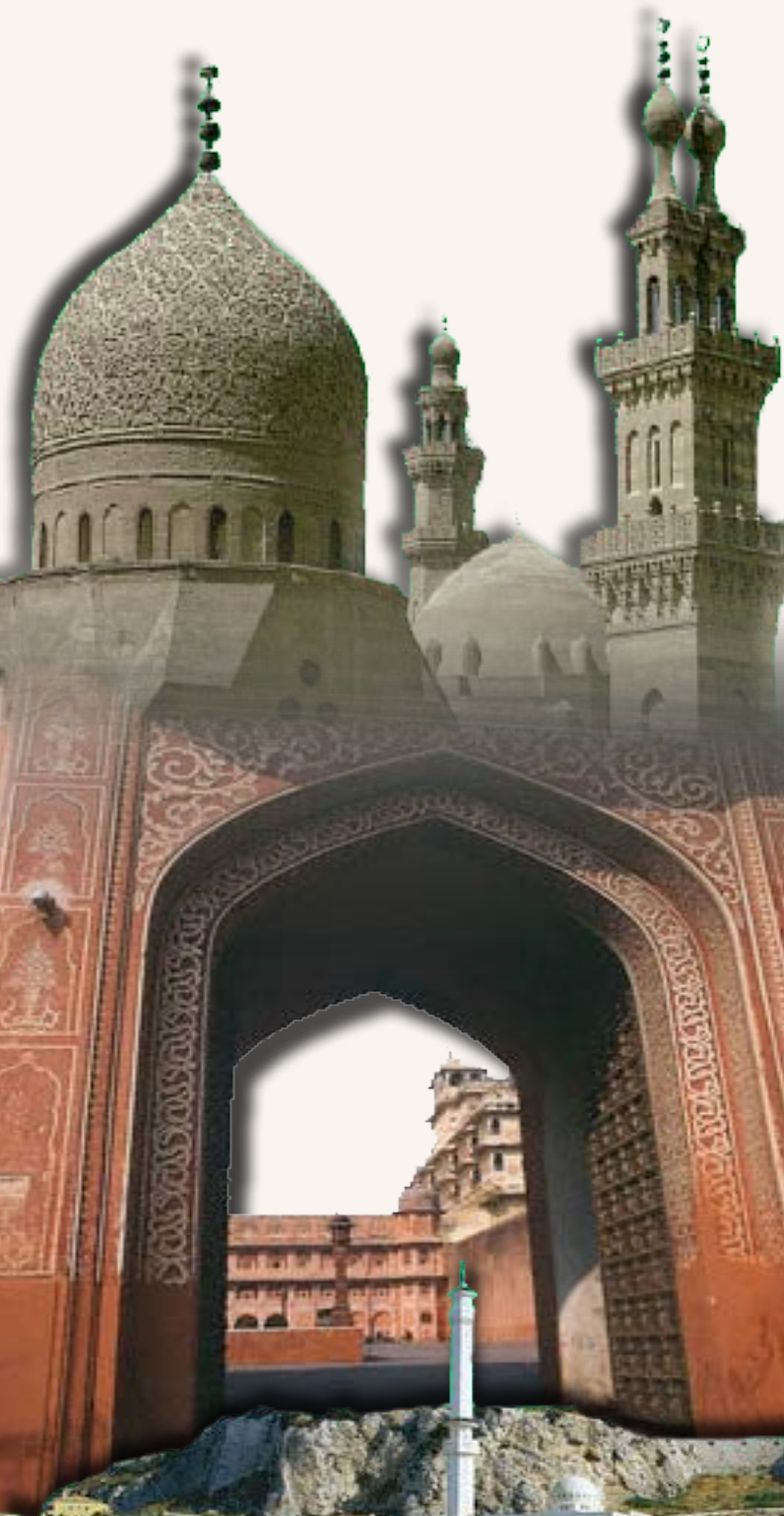


كلمات في الفن الإسلامي

ليرتفع الفن الإسلامي مع القيمة التي صاغتها، والبيئة التي تكاثرت في رحبها، بخلاف العديد من الاستجابات الكاذبة التي تشبهت بها بعض الدراسات الحديثة حول الموضوع، ولذا سنعرض في هذه السلسلة بعض التراث.

والمعمار. وكما يقول الباحث الإنكليزي (روم لاندو): «فمن حيث حُرِّم على المسلمين الاهتمام بالفن التشبيهي. فقد تعين على مواهبهم الفنية أن تلتصق منافذ لها في اتجاهات أخرى. ومن خلال هذا السعي أضحوا فناً يستطيع أن يدعي - بصرف النظر عن محاسنه أو نقائصه الأخرى - أنه واحد من أصفى الفنون التي نعرفها». وهو - أي روم لاندو - يضع يديه على بعض مقومات هذا الفن: التجريد الجمالي الخالص، رفض التشخيص احتراماً للمنظور العقدي، تجاوز الطبقية، والقدرة على الانتشار الجغرافي. وهو يتحدث عن إبداعية الخط العربي والمساحة الواسعة التي غطاها في الحياة الفنية الإسلامية بتعاشقه مع فن الزخرفة «ذلك النظم المعقد للأشكال الهندسية والعناصر النباتية المكيفة وفقاً لطرز بعينه والخطوط العربية.

إن عقيدة الإسلام، بانقلابها على سائر الجاهليات والوثنيات منحت الفن منظوراً توحيدياً أصيلاً كان في نهاية الأمر بمثابة كسب مهم لمفاهيم التجريد التي لم تبلغها الفنون الأخرى في العالم إلا في القرن الأخير. لقد وضع الإسلام ضوابط ومعايير ألزم بها فنانيه، فدفعهم إلى التخلي عن بعض صيغ التعبير، ولكنه - بهذا - فتح أمامهم مجالات أخرى لم يسبقه إليها أحد. وشهد عالم الإسلام مهرجاناً خصباً من معطيات فن ينبثق عن رؤية عقديّة متميزة يلتزم بمفرداتها ومطالبها، فيبدع ويتفوق. إن الطاقة الإبداعية تبحث - بالضرورة - عن متنفسها. عن فرصتها للتحقق. ولقد كان الفنان المسلم أهلاً لإيجاد البدائل المناسبة، ومن ثم فإن غياب فنون كالنحت والرسم - إلى حد كبير - قاد بالمقابل إلى حضور فاعل في مجالات أخرى كالخط والزخرفة.



النظم الذي انتهى إلى أن يصبح بمثابة «دمغة المصوغات» بالنسبة إلى الفن الإسلامي والذي شغل حيزاً هاماً من العبقرية الفنية في الإسلام. وهو يستنتج أن «العنصرين اللذين يشكلان المحتوى الرئيس لفن الزخرفة العربي - النمط والكلمة. الشكل والمعنى - يفيدان على التعاقب مبدأ الحقيقة المادية ومبدأ الحياة. وبكلمة أخرى: مبدأ الوجود كما يراه الله.. وهكذا يصبح هذا الفن رمزاً حقيقياً لموقف صاحبه من الله ومن العالم الذي يحيا فيه». وثمة ملمح آخر يكتشفه (روم لاندو) وهو يتحدث عن فن الزخرفة والخط ذلك الإيقاع المتوحد في حضارة الإسلام بين الفنان والمفكر والعالم. ذلك العشق للتناغم والتناسق. وذلك الولوع بالنظام: «إن الفنان المسلم شارك المفكر والعالم المسلمين ولوعهما بالنظام والجداوله Tabulation والتناغم. فقد التمس الفلاسفة كما نعلم تفسيرات عقلانية لخلق الله الكون. ولم تكن قلوبهم لتطمئن إلا إذا أظهرت تفسيراتهم منطق التناغم الكامل. أما الرياضيون وعلماء الفلك فالتمسوا أكمل شكل من أشكال التناغم. أعني المعادلة الرياضية. وبطريقة ماثلة اهتم الفنان المسلم بتنسيق التصاميم والأشكال التي كانت صفتها الهندسية الطاغية تساعد بصورة رائعة على النظم..». وبصمات الإسلام ورؤيته للكون والعالم تمتد في مجال الفن لكي تشمل التكوين المعماري نفسه. انطلاقاً من المسجد الذي هو البدء والمنتهى. والذي اكتسب ملامحه الأساسية من طبيعة وظيفته التي أريد له أن يؤديها. وانتهاء بالمدن الإسلامية المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها : بخارى وسمرقند ودلهي وأصفهان وبغداد وأسطنبول ودمشق والقاهرة وفاس وقرطبة وغرناطة وأشبيلية. تلك التي وضعت حجارتها الأساسية باسم الله. بدءاً من أعماق تركستان وانتهاء بالحمراء في الأندلس. مروراً بحافات الصحراء حيث أقيمت المدن الأولى بمواجهة تحديات الامتداد والفناء : البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان... يصف روجيه جارودي في كتابه المعروف (وعود الإسلام) الجامع بأن «حجارته نفسها تكاد تصلي» وأنه «مركز الإشعاع لجميع فعاليات الأمة الإسلامية. ونقطة الالتقاء لجميع فنونها» وأن (كل الفنون في البلاد الإسلامية تؤدي إلى المسجد. والمسجد إلى الصلاة).

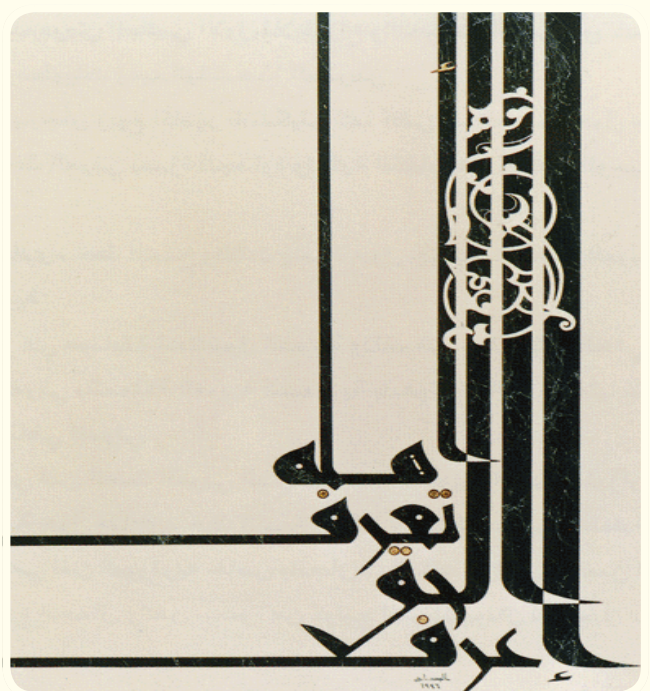
وجارودي بملاحظاته الدقيقة هذه يؤكد الارتباط الحميم بين الرؤية والمعمار. وهي تذكرنا بما سبق وأن قاله (روم لاندو).

نشرها شكل البيوت والنفوس». وهكذا «فإن الإسلام وضع طابعه على إطار الحياة اليومية. وحتى عندما يكون الفن مطبقاً في أمور دنيوية، فإن فن البلاد الإسلامية يبقى فناً مسلماً» بل إن غارودي يذهب إلى أبعد من هذا وهو يعاين ذلك الإيقاع المتصادي العميق المتبادل بين الإسلام وفنونه كافة. فيقول: «لا مندوحة لي من أن أشهد بتجربتي الشخصية: ذلك أنني انطلاقاً من تأمل فنون الإسلام ومساجده إنما شرعت أفهم العقيدة الإسلامية بتأكيدھا الجذري على التعالي..». مشيراً إلى رحلة الصعود للمسلم الفرد وللأمة الإسلامية عبر محطات الإسلام والإيمان والتقوى والإحسان.. إلى حركة الخروج بالناس من ضيق الدنيا إلى سعتها.. و على الرغم من أن المعماريين المسلمين تأثروا بالنماذج الرومانية والفارسية والبيزنطية فإنهم «مع ذلك وُفقوا دائماً إلى إبداع آثار لا ريب في سمتها الإسلامية الخالصة». وتمكنوا من امتصاص عناصر منبثقة من أشد الينابيع تنافراً لكي يدمجوها في تركيب Synthesis جديد متجانس. ليس هذا فحسب، بل إنهم عادوا لكي يعطوا الأمم الأخرى الكثير من إبداعاتهم المعمارية فيما تحدث عنه الباحثون ومؤرخو الفن فأطالوا الحديث. باختصار شديد، فإن فن المعمار الإسلامي، ارتبط بشكل حميم، وكما هو الحال بالنسبة للعديد من مفردات الحضارة الإسلامية، برؤية هذا الدين الأمر الذي دفع (أوليف غرابار) إلى القول بأنه «نقل بصري لرؤية العقيدة الإسلامية الكونية».



من «أن حافظاً لا إرادياً نحو دمج السماوات دمجاً رمزياً في بيت العبادة، هو الذي قاد المسلمين إلى تبني القبة وإلى إتقانها حتى الكمال. وفي إمكاننا القول بأن المكعب والقبة معاً يمثلان رمزاً كاملاً لماهية الإسلام: وحدة العالمين المنظور وغير المنظور، عالمي الأرض والسما». وبعبارة جاك ريسلر، وهو يرى ويسمع إيقاع العقيدة في المعمار: «في المسجد ينبض قلب الإسلام.. وفي أرجائه يحس المرء إحساساً حياً أنه بحضرة الله. الحق أنه لا شيء في المسجد إلا البساطة والجمال والتجانس». وفيما كان بناء المساجد ينتشر شرقاً حتى بلغ الصين، وغرباً حتى وصل الأندلس «كان نمط البناء يتأثر بعناصر محلية من غير أن تتبدل خطته الأساسية تبدلاً يذكر. ولما كان المسجد مكاناً للعبادة فإن بناءه عموماً ظل معبراً عن الإسلام تعبيراً عظيماً. وأما في أثناء تطوره في التاريخ فإنه كان صورة مصغرة لتطور الثقافة الإسلامية، تلك الثقافة التي كان المسجد تعبيراً صحيحاً عنها - فيما يتعلق بالأمم المختلفة - إذ هو يمثل بصورة ملموسة ذلك التفاعل بين الإسلام و جيرانه». ليس الجامع وحده، وإنما المعطيات المعمارية كافة كانت تخفق بالنبض نفسه وتعبّر عن رؤية إسلامية أصيلة ومتميزة. وعلى أية حال، كما يؤكد مؤرخ الفن المعروف جورج مارسبه فإنه «يكاد لا يوجد في البلاد الإسلامية منشآت عامة أو خاصة لا تحمل طابع الدين، فلقد تغلغل الإسلام في الحياة البيئية، كما دخل حياة المجتمع. وصاغت الطبائع التي





موسيقى (القوالي) الصوفية في القارة الهندية



أسرة المجلة



**موسيقى القوالي : كلمة تعني القول أو الكلمة التي تمثل الصوت الروحي ..
والمبادئ الرئيسية لهذا الفن الصوفي في الاستماع ، الصوت والكلمات ، وهو فن يتم
تمريره وتوارثه أباً عن جد ، قادر على لفت انتباه جمهوره وتعزيز إحساسه ليتمكن
من فهم مضامين الرسالة الخفية ..**

وجود تأثيرات للموسيقى الهندستانية في الإيقاعات
والنغمات مثل نظام (الراجا) وإيقاعات (كهراوا)
و (دادرا) .

البذرة الأولى لفن القوالي توجد في ضريح نظام الدين
عولية المسمى عادة (داربار) . والذي كان أستاذاً للشاعر
عامر خسرو . ففي كثير من أمكنة (داربار) المنتشرة

يعود أصل فن إنشاد (القوالي) في شبه القارة
الهندية إلى استيطان الطرق الصوفية وانتشارها
في تلك الجهة خاصة ابتداء من القرن الثامن عشر
هذا الأسلوب ابتدع أولاً على يد الصوفي الشاعر عامر
خسرو في القرن الثالث عشر . وكان عبارة عن سماع
يحمل خصوصيات الثقافة الإسلامية الهندية. مع

وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه والحسنين عليهما السلام .
وفي كل مرة تتجول الفرقة في برامجها الغنائية بين فقرات غنائية مختلفة تلون فيها أداءها الثري الطافح بالصوت المنتشي والفسحات الطربية الناشئة عن الكلمات العربية والجمل ذات الملمح الديني والتي كانت توسع مساحة الأداء بين أفقي يعتمد موسيقى آلة الأرمونيم الشبيهة بالأكورديون وعمودي استند على الإيقاع الذي يصطحب الصوت وقوته إلى حالات النشوة الناجمة عن اللحن الملهم وروحية الصوت القوي .

في باكستان تنعقد بصفة منتظمة مواسم لإحياء ذكرى الشيوخ تسمى (أورس) وكذا أيام الخميس والجمعة وتشمل جلسات لإنشاء (القوالي) من طرف فنانين يتناقلون وراثته هذا الأسلوب والحفاظ عليه جيلاً إثر جيل . ويرجع إلى الفنان الكبير المرحوم نصرت فاخ علي خان. المنحدر من لاهور. فضل التعريف بهذا الفن عبر العالم. وهو الفن الذي تحتل فيه الكلمات ومعانيها أهمية تفوق أحياناً أهمية النغمة . وتثار فيه مدائح النبي صلى الله عليه وسلم وصهره الإمام علي كرم الله وجهه في قصائد كبار الصوفية مثل ابن الفارض وجامي وجلال الدين الرومي .

تتكون المجموعة من منشد قائد (المهري) يعقبه منشد لاحق وتدعمه مجموعة من الإيقاعات القوية لفنانين يدقون على الطبلعة وعلى طبل (الدلاق) الشعبي . مع إنشاد جماعي لستة أو ثمانية أشخاص يرددون مقاطع مصحوبة بتصفيق الأيدي .

وتمزج فرقة القوالي الباكستانية بين غناء قصائد صوفية باللغة العربية والفارسية والهندية والأوردية والبنغالية ولغات أخرى بمصاحبة موسيقى القوالي الصوفية الكلاسيكية التي ينهض بموسيقاها مؤدي وعازفو آلة أرمونيم ومؤدين آخرين وضاربي إيقاع .

يأخذ أدائهم الصوفي المتلقي إلى صفوة الإيمان النابع من حالات التجلي.

تستهل الفرقة أداءها بابتهاالات منها حديث الروح للأرواح ممزوجاً بتنويعات لحنية مختلفة ويبدأ الغناء خفيفاً وهادئاً يتصاعد

إلى مستوى عال حتى يرتقي أعضاء الفرقة بالنغم لدرجة كبيرة ويتوحد الصوت جملة واحدة ليشبه الغناء الحداء . ومحور غنائهم هو الله ومن وحيه تتجلى أصوات المنشدين لتتجرد من شوائبها الأرضية . وترتفع بارتقاء صوفي في حوار مؤنس ومتناغم ويستمر التجوال ليؤدوا قصائد عن مدح الرسول (صلى الله تعالى عليه وسلم)





وفد الطريقة الكسنزانية للإرشاد في المغرب

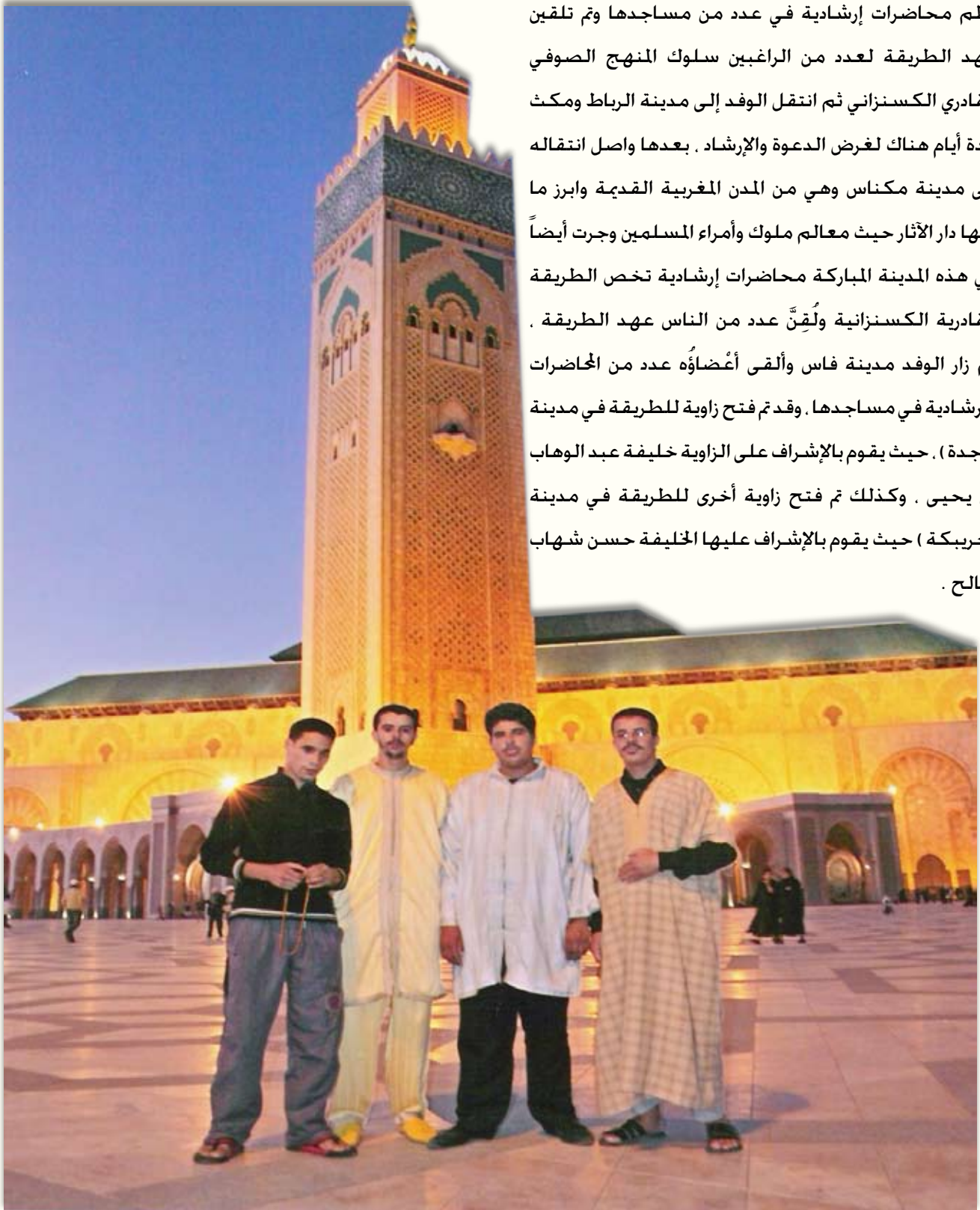
مهما كانت مهمة الإرشاد شاقة ومضنية إلا أن حلاوة
ثمرته وطلاوة مضمونه تمحو مشقته وتجلي
ضناه وخصوصاً إذا كان لا يبتغي فيه الأجر من
أي موجود إلا من رب الوجود الذي أمر جماعة
من عباده المخلصين بالدعوة إليه وجمع الخلق
على ذكره وتوحيده ومحبته فقال تعالى في
كتابه الكريم : { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى
الْخَيْرِ ... } (آل عمران ١٠٤) ، والخير هنا يقتضي
جميع أعمال البر التي تنفع العباد في دنياهم
وأخراهم ومن هذا التوجيه الرباني وجه حضرة
الشيخ محمد الكسنزان الحسيني (قدس سره) ،
وفداً كسنزانياً للإرشاد في دولة المغرب العربي .



وبعد عودة الوفد من زيارته استمر التواصل مع المجازين
بالإرشاد عبر البريد الإلكتروني مع مكتب الإرشاد والإعلام
الخاص بالطريقة ولله الحمد والمنة وعليه التَّكْلان .

يضم الوفد مجموعة من الخلفاء وهم الخليفة يوسف حسن
صالح والدكتور عبد الرحمن أحمد والخليفة وسام القاضي
وحين وصول هذا الوفد المبارك الميمون إلى الدار البيضاء .

نظم محاضرات إرشادية في عدد من مساجدها وتم تلقين
عهد الطريقة لعدد من الراغبين سلوك المنهج الصوفي
القادري الكسنزاني ثم انتقل الوفد إلى مدينة الرباط ومكث
عدة أيام هناك لغرض الدعوة والإرشاد . بعدها واصل انتقاله
إلى مدينة مكناس وهي من المدن المغربية القديمة وبرز ما
فيها دار الآثار حيث معالم ملوك وأمراء المسلمين وجرت أيضاً
في هذه المدينة المباركة محاضرات إرشادية تخص الطريقة
القادرية الكسنزانية ولُقِّنَ عدد من الناس عهد الطريقة .
ثم زار الوفد مدينة فاس وألقى أعضاؤه عدد من المحاضرات
الإرشادية في مساجدها ، وقد تم فتح زاوية للطريقة في مدينة
(وجدة) . حيث يقوم بالإشراف على الزاوية خليفة عبد الوهاب
بن يحيى . وكذلك تم فتح زاوية أخرى للطريقة في مدينة
(خريبكة) حيث يقوم بالإشراف عليها الخليفة حسن شهاب
صالح .



الشيخ الحبيب العجمي

(قرس سره)



تعرض المجتمع الإسلامي بعد الخلافة الراشدة إلى هزات عنيفة ، وإلى خطر المادية الجارف والانحطاط الخلقي والروحي ، وقد قيض الله لهذه الأمة رجالاً مخلصين ، ودعاة مؤمنين ، وقفوا في وجه هذا الخطر ، وعارضوا هذا التيار بكل ما عندهم من قوى ومواهب ، ومنعوا عدداً كبيراً من المسلمين من أن تجرفهم المادية وتستعبدهم الشهوات ، واستطاعوا أن يبطئوا من سير هذا التيار ، ويحدوا من قوته وينقذوا من لجته من استمع إليهم أو جالسهم وتأثر بدعوتهم .

إن لأمثال هؤلاء الرجال فضلاً لا ينساه الإسلام ، ولا يغمطه التاريخ ، لأنهم كانوا سبباً وعاملاً قوياً في استمرار الإسلام الروحي والخلقي الذي هو أهم من استمرار هذه الأمة النسلي والسياسي .

برايته

كان حسن التربية والسياسية ، وافر الهمة والرياسة . مجاب الدعوة ، محافظاً على الخلوة لاكتساب الجلوة . وكان من التجار ساكني البصرة .

وسبب إقباله على الآجلة وانتقاله عن العاجلة : أنه حضر مجلس الشيخ البصري (قدس سره) فالتفت إليه فوعظه . فوقع

موعظته من قلبه . فخرج عما كان يملك وقرقه في سبيل الله حتى لم

يبق معه شيء . فجعل يستقرض على الله عز وجل إلى أن كان منه ما كان . وجد واجتهد .



من كلامه ﷺ

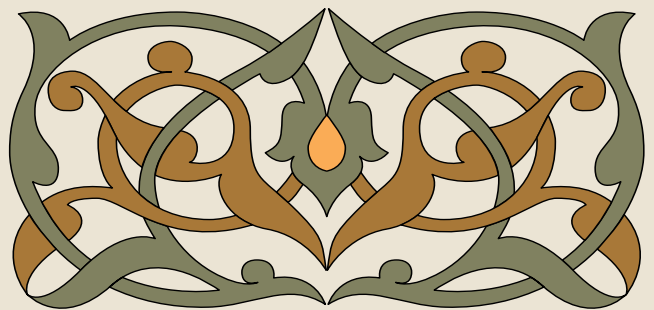
إن الشيطان ليلعب بالقرءاء كما يلعب الصبيان بالجوز .
وقال : لا تقعدوا فراغاً فإن الموت يليكم .

وقال : إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه .
وكان يخلو في بيته ويقول : لا قرّة عين لمن لم تقرّ عينه بك . ولا فرح لمن لم يفرح بك . وعزتك وجلالك إنك تعلم أنني أحبك . وأنت فعلت ذلك بي .

سخاؤه وكرمه ﷺ

عن أبي بكر محمد بن جعفر المؤدب عن إسحاق بن إبراهيم . عن علي بن مسلم . عن سيار . عن جعفر . قال : (كنا ننصرف من مجلس ثابت البناني . فنأتى حبيباً أبا محمد . فيحث على الصدقة . فإذا وقعت . قام فتعلق بقرن معلق في بيته . ثم يقول : ها قد تغذيت وطابت نفسي . فليس في الحي غلام مثلي . إلا غلام قد تغذى قبلي سبحانك وجنانيك !! خلقت فسويت . وقدّرت فهديت . وأعطيت فأغنيت . وأفنيت وعافيت . وعفوت وأعطيت . فلك الحمد على ما أعطيت . حمداً كثيراً طيباً مباركاً . حمداً لا ينقطع أولاه . ولا ينفد آخراه . حمداً أنت منتهاه . فتكون الجنة عقباه . أنت الكريم الأعلى . وأنت جزيل العطاء . وأنت أهل النعماء . وأنت ولي الحسنات . وأنت خليل إبراهيم . لا يخفيك سائل ولا ينقصك نائل . ولا يبلغ مدحك قول قائل . سجد وجهي لوجهك الكريم . ثم يخر فيسجد ونسجد معه . ثم يفرق الصدقة على من حضر من المساكين) .

كان الحبيب تاجراً نشيطاً . اشتغل في أسواق البصرة . فامتاز عن أقرانه التجار بصدق المعاملة والإخلاص . فجمع من المال ما لم يحصل لغيره . حتى غدا من كبار التجار الذين يتوقف عليهم نشاط السوق وحركته . وبقدر ما كان يملك من أموال . أنفقه كله في سبيل الله ليشتري به نفسه من الله عز وجل استجابة لقوله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) . فعن خلف بن الوليد قال : (اشترى حبيب الفارسي نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم . تصدق بعشرة آلاف في أول النهار . وقال : يا رب !! شريت نفسي منك بهذا . ثم اتبعها بعشرة آلاف أخرى . فقال : إلهي !! إن قبلت تلك فهذه شكر لها . ثم أخرج عشرة آلاف الثالثة . فقال : إلهي !! إن لم تقبل مني الأولى والثانية فاقبل هذه !! ثم أخرج عشرة آلاف الرابعة . فقال : إلهي !! إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكر لها !!) .



خوفه وبكاؤه ﷺ

كان الحبيب من يخشى الله حق خشيته . ويعظمه حق تعظيمه . لذا قد طلق الدنيا وما فيها . وعزف عن أطايبها ومباهجها . ترك تجارتها وانشغل بتجارة الآخرة . . انشغل بحب الله . وأنس بمناجاته يخلو في بيته ليتوجه إلى مولاه . ويرفع أكف الضراعة ليقول : (اللهم !! لا قرّة لمن لم تقرّ عينه بك . ولا فرح لمن لم يفرح بك . وعزتك وجلالك !! إنك تعلم أنني أحبك . وأنت فعلت ذلك بي) . وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل : قال : أخبرت عن سيار بن جعفر . قال : (كان حبيب أبو محمد رقيقاً . كثير البكاء . فبكى ذات ليلة بكاءً شديداً . فقالت له زوجته عمرة بالفارسية : لم تيكي يا أبا محمد ؟!! فقال لها : دعيني ! فإني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه من قبل) .

فكانت أمثال هذه اللحظات من إثارة المشاعر نقطة التحول في حياة هذا الزاهد الذي عرف الله حق معرفته . فعبدته حق عبادته يتذكر ربه ومولاه فيبكي . . ويبكي . ويزداد نحيبه كلما شعر بالتقصير في حق الله فعن إسماعيل بن زكريا . وكان جاراً لحبيب . قال : (كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه . وإذا أصبحت سمعت بكاءه فظننت أنه أصابه شيء من ضيق الدنيا . فأله ذلك . فأتيت أهله . فقلت : ما شأنه يبكي إذا أمسى . ويبكي إذا أصبح ؟!! قال : فقالت : يخاف والله إذا أمسى لا يصبح وإذا أصبح لا يمسي) .

وعن عبد الله ابن أحمد بن حنبل . عن هارون بن معروف . قال : وسمعت أبي يحدث به عنه . قال : (سمعت حبيباً أبا محمد يقول : لأن أكون في صحراء ليس علي إلا ظلمة وأنا بإزاء ربي أحب إليّ من جنتكم) .

وكان رضي الله عنه من أروع ما يتمناه أن يخرج من الدنيا كما دخلها . لا له ولا عليه . فيقول : (إن من سعادة المرء إذا مات ماتت ذنوبه معه) .

ومن حسن حظه أن تكون زوجته عمرة من صالحات النساء . ومن تعينه على حسن العباداة . ودوام الطاعة . ففي يوم من الأيام ألم بالحبيب نوع من الإعياء أثقل عليه نومه . فكانت زوجته عمرة في مثل هذه اللحظات خير من ينير في نفسه روح الاستنفار إلى الله . فتوقظه من سباته العميق ليستقبل يومه في طاعة الرحمن .

فعن الحسين بن عبد الرحمن .

قال : (حدثني بعض أصحابنا

قال : قالت امرأة حبيب أبي

محمد . وقد انتبهت ليلة وهو

نائم . فانبهته في السحر .

وقالت له : قم يا رجل !! فقد

ذهب الليل وجاء النهار . وبين

يديك طريق بعيد . وزاد قليل

وقوافل الصالحين قد سارت

قدامنا ونحن قد بقينا) . وما

يروى عنها أيضاً (كانت تقوم

الليل كله فإذا جاء السحر .

قالت لزوجها : قم يا رجل !!

قد ذهب الليل وجاء النهار .

وانقض كوكب الملاء الأعلى .

وسارت قوافل الصالحين . وأنت

متأخر لا تدركهم) .



ومن كراماته ﷺ

عن ذكرك فأرحنا منه فخر ميتاً . وأصاب الناس مجاعة فاشتري دقيقاً وسويقاً بنسيئة . وعهد إلى خرائط فخاطها ووضعها تحت فراشه . ثم دعا الله عز وجل . فجاء أرباب الديون بعد مدة يطلبون الثمن . فأخرج تلك الخرائط وقد امتلأت . فقال لهم : زنوا فوزنوا حقوقهم . وجاءه رجل فاشتكى وجعاً في رجله وسأله أن يدعو له . وكان في مجلسه فلما تفرّق الناس أخذ المصحف وعلّقه في عنقه . وقال : يا الله ! لا تسود وجه حبيب . ثم قال : اللهم عافه حتى ينصرف ولا يدري في أي رجله كان الوجع . فوجد الرجل العافية في الحال فسأله : في أي رجلك كان الوجع ؟ فقال : لا أدري . وكان يرى بالبصرة يوم التروية ويرى بعرفة عشية عرفة .

وقد خبزوه وجعلوا معه لحماً . وكان يأخذ متاعاً من التجار فيتصدق به فأخذ مرة فلم يجد ما يوفيه . فقال : يا رب ! إن الناس يحسنون ظنهم بي وأنت فعلت بي ذلك من سترك علي . فلا تخلف ظنهم بي فينكسر وجهي عندهم . ثم دخل داره . فإذا هو بجوالق من الأرض إلى سقف البيت مملوءة دراهم فقال : يا رب ليس أريد هذا . فأخذ حاجته وترك البقية . وقال له رجل : لي عليك ثلثمائة . قال : من أين ؟ قال : لي عليك . قال : اذهب إلى غد . ثم قال : اللهم إن كان صادقاً فأد إليه . وإلا فابتليه في بدنه . فجيء به محمولاً مفلوجاً . فقال : التوبة . قال : اللهم إن كان صادقاً فعافه . فكأماً نشط من عقال . وآذاه رجل وأغلظ عليه فرفع يديه إلى السماء وقال : اللهم إن هذا قد شغلنا

أن رجلاً شكى إليه ديناً فقال : اقترض وأنا ضامن . فأتى رجلاً فأقرضه خمسمائة درهم وضمنها أبو محمد . فطولب عند الاستحقاق . فقال لرب الدين : غداً إن شاء الله تعالى تصل إليك . فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى . وجاء الرجل . فقال له حبيب : اذهب فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذ . فذهب فإذا في المسجد صرة فيها خمسمائة درهم فوزنها فوجدتها زائدة . فأخبره بذلك . فقال : اذهب هي لك . الذي وزنها وزنها راجحة . وعجنت أمه فذهبت جنيء بنار لتخبزه فأناه سائل فأعطاه العجين . فجاءت فقالت : أين العجين ؟ فقال : ذهبوا يخبزونه . فأكثر عليه . فأخبرها . فقالت : لا بد من شيء نأكله . فإذا برجل لا يعرف جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً . فقالت : ما أسرع ما ردوه عليك

انتقاله ﷺ

جزع عند الموت جزعاً شديداً وقال : أريد أن أسافر سفرراً ما سافرت قط . وأسلك طريقاً ما سلكته قط . وأريد أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة . ثم أوقف بين يدي الله فماذا أقول ؟!



وكان مشغولاً بالتعب فلم يعرف له رواية (قدس سره العزيز) . وإنما نسب إلى العجم لبقاء لكنة لسانه حتى لم يقدر على تجويد القرآن . نقل أنه كان يقرأ الحاء هاء في الحمد لله رب العالمين . وكان يقول : إني وإن كان لساني عجمياً لكن قلبي عربي . انتقل إلى جوار ربه سنة خمس وعشرين ومائة في البصرة . ومقامه بها رضي الله عنه .

الشيخ السري السقطي

تارك النخلة



هو أبو الحسن السري بن المغلس السقطي ، خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه ، وهو من أقطاب الصوفية ذكره أبو نعيم الأصبهاني في (حلية الأولياء) قائلاً عنه : (ومنهم العلم المنشور والحكم المذكور شديد الهدي ، حميد السعي ، ذو القلب التقي ، والورع الخفي ، عن نفسه راحل ، ولحكم ربه نازل) . وهو إمام البغداديين ، وشيخهم في وقته ، وهو أول من تكلم - ببغداد - في لسان التوحيد ، وحقائق الأحوال .

كيف سلك طريق التصوف؟

لصلاة الجماعة والجمعة . وكان يقول : (من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه ويقل غمه من سماع الكلام الذي يغمه . فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدانية) . ويروي عنه أنه مرت به جارية . معها إناء . فسقط منها وانكسر . فبادر السري السقطي إلى تقديم (شيء) لها من دكانه بدل ذلك الإناء . وكان معروف الكرخي واقفاً فرأى ذلك وأعجبه ما صنع فقال له : (بغض الله إليك الدنيا) .

كان السري السقطي حانوتياً ، وكانت قد تفشت في زمنه ظواهر الاستغلال ، والظلم ، وسوء المعاملة . فكان حصول الفقير على رزقه محفوفاً بالشبهات . ويبدو أن بذرة الرفض لتلك الظواهر هي التي هيأتها نفسياً للتأمل والاعتكاف . والانقطاع عن أهل السوق . ومن معهم من فصائل الأغنياء والأمراء وقراء الأسواق . الذين اشمأزت نفسه من مجاورتهم . والعلاقة معهم . لزم السري السقطي بيته . بعد أن هجر السوق . وكان لا يخرج إلا

العبادة وجوهر آراءه

فأحببت أن أشيع جنازته . فشيعتها وأضحيت عن وقتي ثم جئت أريد الجمعة . فلما أن قربت من المسجد قالت لي نفسي : الآن يرونك وقد أضحيت وتخلفت عن وقتك . فشق ذلك عليّ . فقلت لنفسي أراك مرئية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري . فتركت ذلك المكان الذي كنت آتية . فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه) .

إن معرفته الصوفية . كانت مبنية على ارتباط علم الباطن بحكم الشريعة الظاهر . وكان يقول : (من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط) .

يعد السقطي عابداً زاهداً . وكان يلتفت حوله خلق كثير . وقد خشي أن يكون اعتياد الناس المجيء إليه في أوقات الصلاة . وفي أماكنه المعتادة نوعاً من الرياء . أو مؤدياً إليه . لذلك عمد إلى تغيير أماكن صلاته . والانتقال من مكان إلى آخر .

فقال : (إنني إذا نزلت أريد صلاة الجماعة أذكر مجيء الناس إلي فأقول اللهم هب لهم عبادة يجدون لذتها تشغلهم بها عني . .

ويروي الجنيد عن خاله السري السقطي قوله : (خفيت علي علة ثلاثين سنة . وذلك إنا كنا جماعة تبرك إلى الجمعة . ولنا أماكن قد عرفت بنا . لا نكاد أن نخلو عنها . فمات رجل من جيراننا يوم الجمعة

الحب الصاوق

السري بن مغلس وكنا جالسين وهو منزر بمنزر فنظرت إلى جسده كأنه جسد سقيم دنف . مضى كأجهد ما يكون . فقال لي : انظر إلى جسدي هذا . لو شئت أن أقول أن ما بي من المحبة لكان كما أقول وكان وجهه أصفر . ثم أشرب حمرة . حتى تورد . ثم اعتل . فدخلت عليه أعوده . فقلت له : كيف جُذك ؟ فقال :

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي

والذي قد أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة أروحه . فقال لي : كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق من داخل . ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمع مستبق

والكرب مجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لا قرار له

ما جنه الهوى والشوق والقلق

يا رب إن كان شيء لي به فرج

فامن عليّ به ما دام بي رمق

ويعني ترك الغفلة انفراد الوجد الإلهي بالقلب . فلا يعود يشغل القلب شاغل غير الله . فإن دخل القلب [شيء] أبعده عن الذكر . ولو إلى لحظات . فإن ذلك من الغفلة .

ومن شدة عشقه الإلهي . وتمكن الحب من نفسه . أصيب جسده بأشد العناء . ما يؤكد على قطعه خطوات صبور على طريق تحقيق الفناء توخياً للقرب .

ويروي عنه الجنيد : (دفع لي السري رقعة وقال هذه خير لك من سبعمائة فضة . فإذا فيها :

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني

فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق الظهر بالحشا

وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى

سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

لقد حقق في (سري) كل ذلك . والجنيد شاهد عيان على ما نقول بل ينقل ذلك إلينا بصدق وإخلاص . فهو القائل : (كنت يوماً عند

الهارب من الحب

إن إنغماز نفس السقطي وقلبه بالحب الإلهي من خلال الرياضات والمجاهدات والعبادات . والزهد الشديد . هو وسيلته لإنقاذ روحه من الذل . ذل الحجاب . لأن طموحه هو الحصول على رضوان الله وانفتاح باب الرحمة الإلهية . والأنس بالله . برفع الحجاب . وأوله حجاب الذات . فكان يردد الدعاء : (اللهم ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب) . فقهر الذات هو المدخل إلى عالم الصفاء والرؤيا والمسارعة .

المتيقظ بترك الغفلة

إن ترك الغفلة . هو الاستغناء عنها باليقظة الساهرة التي تتحرك مع الحب الإلهي كتتحرك زهرة عباد الشمس وراء نور الشمس .

والاستقامة على أمر الله هي اليقظة الدائمة . التي تنبع منها يقظات العقل المؤمن . والوجدان التقى . والنفس الهيمانة بالحق .

وقد قال السري السقطي : (خمس من كن فيه فهو شجاع بطل : استقامة على أمر الله ليس فيها روغان . واجتهاد ليس معه سهو . وتيقظ ليس معه غفلة . ومراقبة الله في السر والجهر ليس معه رياء . ومراقبة الموت بالتأهب) .

الصابر على المكاره

ويعلم الحب الصبر على البلاء . واجتياز أصعب الامتحانات . لأن رفع الحجاب يقتضي ترك الشهوات والرغائب . وجنب الركون إلى الدنيا وكان السري السقطي يربط (لزوم الباب) بالصبر على المكاره . وهو يقول عن معنى الصبر : (أن تكون مثل الأرض تحمل الجبال وبني آدم . وكل ما عليها . لا تأبى ذلك ولا تسميه بلاء . بل تسميه نعمة وموهبة من سيده . لا يراد فيها أداء حكم بها عليه) .

الخائف اللأواب

وقد اغتنت حكمة السري السقطي من جراء يقظته الدائمة . في حبه الإلهي . وشأنه شأن أي حكيم عالم . كان الحزن قاعدة لأفكاره وهو حزن من يجاهد من أجل إرضاء محبوبه . والخوف من عدم نجاحه في ذلك .

إنه خائف من أن لا ينال الرضوان الإلهي . ولذلك فهو في التضرع الأبدى . أملاً في إحراز نصيب من الشفاعة الإلهية .

لقد كانت مجاهدة السري السقطي ضد الغفلة . قد سارت به في طريق الخوف الدائم من الغفلة . فكانت مقاماته مقامات خائف حزين . يبكي متضرعاً . في الليل والنهار فلا عجب أن كان يردد بيت الشعر :

ما في النهار ولا في الليل لي فرج

فما أبالي أطلال الليل أم قصر

إن خوفه لا يسكن بعلامة . وكيف تسكن نفسه إلى شيء (أو



وآرائه الواقعية ملازمة شديدة تقريه من صورة الزهاد المسلمين في أوائل العصر الإسلامي الأول .

إن قوله : (كل الدنيا فضول إلا خمس خصال : خبز يشبعه ، وماء يرويه ، وثوب يستره ، وبيت يكنه ، وعلم يستعمله) - والذي ذكرناه من قبل - هو تشخيص صائب للحاجات المادية والروحية والعقلية الأساسية للمجتمع وللأفراد معاً ، وهي تشكل جماع اهتمامات المصلحين في كل العصور ، وهي - أصلاً - جملة مطالب الناس في جميع الأزمان .

الناقد للترت والتشرو

كما أن السري السقطي أفرز للعلم أولوية المكانة في الخصال الأربع التي ترفع العبد ، فإنه حث على أن يقوم العلماء بمهمتهم في التوعية ، والتربية ، وتشجيع الحوار من أجل الحقيقة . فالعالم ليس مجرد شخص معني بكتبه ومؤلفاته ، ولا يحق له الانقطاع عن واجب الإصلاح العقلي والأخلاقي والاجتماعي ، فالعلم عمل وممارسة واستعمال .

قال السري السقطي : (سئل حكيم من الحكماء : متى يكون العالم مسيئاً ؟

قال : إذا كثر بقبابه وانتشرت كتبه وغضب أن يرد عليه شيء من قوله . .)

ولعله - في ذلك - كان يوجه النقد إلى رجال الفقه المترمتين ، الذين أحصيت لهم مؤلفاتهم إحصاء المباهاة والمفاخرة ، وتعالوا على المجتمع ، وحرّموا على رجال العلم والأدب محاورتهم . فآفة العلم التزمت وحجب حرية المناقشة . وكان شديد النقد لمسؤولية العلماء في الفتنة ، وبوضع أيديهم في أيدي الأمراء من سراق أقوات الناس ، فكان يصيح : (فيا غماه من فتنة العلماء ، واكرباه من حيلة الإذلاء) .

من كراماته

كان من صبره بالله ولله ، في عشقه المتفاني مستجاب الدعوة فأصبح السري السقطي رباناً في مقام الحب العارم ، فأظهر الله على يديه الكرامات ، فقد جاءت إليه امرأة لينقذ ابنها من أذى السلطان لعلها بمنزلته وكرامته عنده ، ولكنه لم يبعث إليه ، بل قام وكبر وطول في صلاته حتى خشيت على ابنها أن يؤذيه السلطان ، فما برحت المرأة مكانها وما كاد السري ينتهي من صلاته حتى عاد إليها ابنها .

انتقاله ورحلته

انتقل الشيخ سري السقطي (قدس سره) سنة إحدى وخمسين ومائتين ووري الثرى في مقبرة الشونيزية ، ومقامه ظاهر معروف ، وإلى جنبه مقام الجنيد (قدس سره) . وقد دل عظم تشييعه من أهالي بغداد وأكابرها على علو مقامه ، وعظمة مكانته .

علامة) وقد تعلم أن ذلك سيكون إلى ما سوى الله ، وعبودية إلى ما عداه ؟ !

قال السري السقطي : (لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله من الأشجار عليها جميع ما خلق الله من الطيور ، فخطبه كل طير منها بلغته ، وقال : السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان في يديها أسيراً) فلم يعد صدق الإيتاء يستغفله وينسيه وجهته الإلهية ، التي لا شريك لها . إن نفسه كانت مشغولة عن الناس ، كما ذكر (إن في النفس لشغلاً عن الناس ، ولكن نفسه - أيضاً - مشغولة عن نفسها بالله ، ولذلك تمنى أن تتجمع في نفسه أحزان الدنيا ، كيما لا تفسده فرحة دنيوية ، تبعده عن حبه الخالد ، الذي يسقيه بحزن الفؤاد .

قال السري : (وددت أن حزن الخلق كلهم ألقي علي) إن تنظيم علاقة النفس بالبدن ، هو واجبه الأول والأخير ، والبدن رغم أنه مصدر اللذائذ والشهوات والمتع ، فإنه يستحق الشفقة لأن نهايته مأساوية بالنتيجة . لذلك كان يود لو تشفق النفس على البدن ، فقال في مقاربة تشبيهية رائعة ، لا يتعاطاها إلا المصلح الربّي : (لو أشفقت هذه النفوس على أبدانها شفتها على أولادها للاقّت السرور في معادها) .

العالم العارف

إن الاجتهاد [ليس معه سهو] هو دعوة إلى العلم النافع ، الذي رأى فيه السري السقطي خصلة أساسية من بين خمسة خصال فيما عداها ، [كل الدنيا فضول] وهذه الخصال الخمس هي : الخبز الذي (يشبع) ، والماء الذي (يروي) ، والثوب الذي (يستر) ، والبيت الذي (يكن) ، والعلم الذي (يستعمل) .

قال السري السقطي : (كل الدنيا فضول إلا خمس خصال : خبز يشبعه ، وماء يرويه ، وثوب يستره ، وبيت يكنه ، وعلم يستعمله) وعن مكانة العلم ، فإن السقطي أفرد له مكانة خاصة هي الأولى من بين الخصال (الأربع) التي ترفع العبد ، قائلاً :

(أربع خصال ترفع العبد : العلم ، والأدب ، والفقه ، والأمانة) . أي أن صوفيته لم تدفع به إلى زاوية الاعتكاف والعزلة والانقطاع عن الناس ، على الصعيدين الفكري والسلوكي ، فقد كان اهتمامه بالعلم والأدب ، وبالأخلاقيات الاجتماعية دليلاً على قوة نزعة الإصلاح الاجتماعي لديه ، وهي نزعة تهدف إلى ترقية المجتمع علمياً وأدبياً وأخلاقياً .

واقعيته وآراءه الإصلاحية

وكان يقول : (رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل) . فمن صفاته أنه أخلاقي ، مصلح ، يميل إلى الواقعية ، وهو بذلك يختلف عن [النماذج] المتصوفة الهاربين من الواقعية هرباً اخلاقياً قاسياً . فالسري السقطي يلائم بين طريقته الصوفية وأفكاره الإصلاحية



تاريخ ومشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

مع الدكتور أبي أسامة المصطفى غانم الحسني
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة محمد الأول

أجرى الحوار : رشيد كهوس/المغرب

إن الاحتفال بمولد سيدنا رسول الله ﷺ واجب من واجبات
المحبة ومقتضياتها، وقد كان سيد الوجود وأكرم السابقين
واللاحقين يحتفل بيوم مولده كل أسبوع؛ وللأمة أن
تحتفل بيوم ميلاده كيف شاءت ما دام الاحتفال في
دائرة الشرع، فمن فرح برسول الله ﷺ فرح به رسول
الله ﷺ، ومن لزم غرضه سعد في الدنيا والآخرة..
ومن بحث عن السبل الموصلة إلى محبته الشريفة
حقق الله له مراده وبلغه مبتغاه... والفرح
بسيد الخلق وحبیب الحق ﷺ والاحتفال
بيوم مولده دليل من دلائل محبته.
وللأهمية التي يكتسيها المولد النبوي في
حياة المسلمين، أحببنا أن نجري حواراً
ممتعاً ولقاءً ثرياً حافلاً بالدرر وكنوز
الحكم مع فضيلة الشيخ العلامة
والمحدث الفهامة، والفقيه
المدقق، والمحقق المشارك،
الأستاذ الدكتور أبو أسامة
المصطفى...

المجلة : فضيلة الشيخ أبو أسامة السلام عليكم ورحة الله تعالى وبركاته ، نبتدئ معكم هذا الحوار بالسياق التاريخي لبداية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ؛ هل كان هذا الاحتفال منذ عهد النبوة ؟ أو الخلافة الراشدة ؟ أم القرون الموالية ؟

بأنه تشبه بالنصارى ليس صحيحاً ؛ لأن التشبه المنهي عنه في الشريعة. هو التطابق التام معهم. وفرق بين احتفال المسلمين بنبي الإنسانية جمعاء ﷺ . واحتفال النصارى بالنبي عيسى عليه السلام. وإن كان المسلمون أحق بالاحتفال بسيدنا عيسى منهم أيضاً ، ذلك لأن النية وطبيعة الفعل. متباينة مع نيتهم وفعلهم!!

وهنا نتساءل فنقول : هل الشريعة السمحة طابتنا بترك كل ما يأتي من غير المسلمين؟ وهل أن كل ما أخذناه من الغير من الأدوات وأساليب المدافعة هو تشبه بهم؟!

هذا في رأي العقلاء. قول فاسد. يؤدي الأخذ به إلى الحرمان من الكثير من المصالح التي تعود على الإنسانية بالنفع!

والقسطاس في هذا. إنما هو طبيعة الشيء وكنه الفعل من حيث موافقته أو معارضته للشريعة الغراء . والواقع أنه لم يقل أحد من علماء أهل السنة والجماعة المجيزين للمولد: إنه سنة وأنه من العبادات ومن الواجبات التي يؤخذ المقصر بها؛ بل هو من العادات الحسنة. ومن وسائل الدعوة إلى الله تعالى. وفيه دعوة للناس وتوحيدهم على الخير. وصلة الأرحام. وتحبيبهم لرسول الله ﷺ . وهذا وإن لم يكن في زمن السلف بهذه الصورة فهو. ولا شك من المباح . ولا يعني أبداً أنه بدعة ضلالة كما يظن؛ وعليه فمتى انتفت مسألة أن أهل السنة والجماعة لا يعتبرونه عبادة. بطلت مزاعم القول: أنه بدعة ضلالة محدثة .

هذا بيان لا بد منه ندخل منه للإجابة عن سؤالكم عن تاريخ

الشيخ أبو أسامة : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ﷺ . وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار رضي الله تعالى عنهم أجمعين :

وبعد : فمنذ مدة وأنا أسمع من يعارض الاحتفال بمولد سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ . ويكثرون الكلام بأنه بدعة وضلالة بحجة أن النبي ﷺ لم يقم به ولا صحابته (رضي الله عنهم أجمعين) . وعدوه من الزيادة في الدين. وأنه تشبه بالنصارى!!

وبغض النظر عن القائل من يكون : فإننا وبإمعان النظر في حججه نلاحظ بعض العنت والتحجير لواسع . وإلا فلم يقل أحد من السلف ولا من الخلف: إن رسول الله ﷺ أو صحابته فعلوه. ومعلوم من أصول الدين وفروعه . ليس كل ما لم يفعله النبي ﷺ والسلف وفعله الخلف من بعدهم يعتبر تكميلاً في الدين واستدراكاً على الشريعة: إذ هناك الكثير من المسائل الاجتهادية ظهرت فيما بعد عهد النبوة والقرون المفضلة. ولم يقل أحد عنها: إنها استدراك أو زيادة في الشريعة. فتأمل .

ثم إن الترك وحده إن لم تصحبه قرينة شرعية على أن هذا المتروك محظور لا يكون نصاً في ذلك ؛ بل غايته. أن ترك ذلك الفعل مشروع: وقد يكون فعله أيضاً مشروعاً مادام لا يتنافى مع أسس الشريعة في شيء. أو إذا كان ما يساعد على القيام بالواجب: لأنه مالا يقوم الواجب إلا به فهو واجب والزعم أيضاً .



لمقاومة التقليد الديني للمسيحيين . وهو الذي كان أحد عوامل ضعف الشخصية الأندلسية . واستحسن فعله جمهور مشيخة المغرب ووصفوه بالمسلك الحسن .

قال أبو القاسم البرزلي : (ميلاد النبي ﷺ يعنى به في الحواضر تعظيماً له ﷺ . وكان شأن أهل الخير إحياء ليلة المولد بالصلاة على النبي ﷺ ومعونة آله ومساهمتهم والإكثار من الصدقات وأعمال البر وإغاثة الملهوف . مع ما تستجلبه المسرة من مباح اللهو المرخص في مثله بنص السنة) .

وقد حدث بعد هذا - أن انتصب أبو القاسم محمد العزفي أميراً على سبته فكان من أعماله تحقيق دعوة والده . واحتفل - في هذه المدينة - بالمولد النبوي من أول ربيع بعد إمارته عام ١٤٨ هـ . حتى عام وفاته ١٧٧ هـ . وقد وصف لنا ابن عذارى في « البيان المغرب » هذا الاحتفال العزفي بالمولد فقال : (من مآثره العظام . قيامه بمولد النبي عليه السلام - من هذا العام . فيطعم فيه أهل بلده ألوان الطعام . ويؤثر على أولادهم - ليلة يوم المولد السعيد - بالصرف الجديد من جملة الإحسان عليهم والإنعام . وذلك لأجل ما يطلقون المحاضر والصنائع والحوانيت يمشون في الأزقة يصلون على النبي عليه السلام . بالفرح والسرور والإطعام للخاص والعام . جار ذلك على الدوام . في كل عام من الأعوام) .

وظهر لأبي القاسم العزفي أن يوسع هذه الاحتفالات بالمغرب فأهدى للخليفة الموحي عمر المرتضى نسخة من كتاب (الدر المنظم) الذي ألفه والده وأتمه هو . ورغب منه أن يساهم من جهته في هذه المأثرة . فصار المرتضى يقوم بليلة المولد النبوي بمراكش . ويحتفل لذلك احتفالاً يفيض فيه الخير والإنعام .

واستمر الحال بالاحتفال بمولد النبي ﷺ بالمغرب إلى يومنا الحاضر . وكان أول من احتفل به من المرينيين مؤسس دولتهم يعقوب بن عبد الحق المريني الذي أقام ليلة مشهودة بفاس استمع فيها إلى قصائد الشعراء وكلمات الخطباء . ثم أحدث ابنه يوسف تميم هذا الاحتفال في جميع جهات المغرب المريني آخر صفر ١٩١ هـ / ١٢٩٢ . قيل : إن ذلك كان بإشارة من الفقيه العزفي أبو طالب عبد الله ابن أبي القاسم الذي كان أمير سبته يوم ذاك . ومنذ ذلك صار يوم الثاني عشر من ربيع الأول عيداً مولدياً عاماً بالمغرب . ويفيدنا ابن مرزوق . بأن أبا الحسن المريني دأب على إقامة ليلة المولد حضراً وسفراً . وأنه كان يستعد لها بألوان المطاعم والحلويات وأنواع الطيب والبخور مع إظهار الزينة والتأنق في إعداد المجالس حتى إذا حلت الليلة . وأدى السلطان صلاة المغرب وناولتها . قصد إلى مجلسه في مكان الاحتفال . حيث يستدعي الناس للجلوس حسب مراتبهم . ويأخذون المجالس على طبقاتهم . فينتظمون في أحسن زي وأجمل شارة . ثم يقدم الطعام على ترتيب مخصوص ... فإذا استوت المجالس وساد الصمت قام قارئ العشر فرتل حصة القرآن الكريم . ويتلوه عميد المنشدين فيؤدي بعض نوبته . ثم تأتي نوبة قصائد المديح والتهاني بليلة المولد الكريم ... وبعد هذا تسرد المعجزات النبوية وتكثر الصلاة على الرسول سيدنا محمد ﷺ وهي من أعاجيب ما يرى في بلاد المغرب . فإذا قضيت صلاة الصبح تقدم ألوان الطعام المختصة بهذا الوقت . ويفيدنا ابن مرزوق أيضاً . بأن أبناء أبي الحسن ساروا بسيرة أبيهم في هذا الصدد . وقد أدخلوا على ليالي المولد تحسينات زادت رونا وجلالاً . والمعني بالأمر: أبو عنان وأبو سالم ثم أبو فارس الأول .

الاحتفال بالمولد النبوي فأقول: يقول الأستاذ عباس الجراري حفظه الله : (.. من المؤكد أن العباسيين احتفلوا به أي المولد . طوال مختلف عهودهم . وأن العلويين والشيعة عامة قد احتفلوا به قبل قيام الدولة العباسية) .

هذا وقد أفادنا المقرئ في « خططه » بوجود الاحتفال بالمولد النبوي منذ عهد الفاطميين بمصر حيث كانوا يحتفلون به ضمن ستة مواليد وهي : مولد الرسول ﷺ ومواليد آل البيت عليهم السلام: علي بن أبي طالب . والحسن . والحسين . وفاطمة الزهراء . والسادس : مولد الخليفة الحاضر .

وكذلك . كان في بداية القرن السادس يحتفل به في مكة فتفتح الكعبة في يوم مولده من شهر ربيع الأول .

وكان أمير إربل الإمام السني: مظفر الدين كوكبوري صهر صلاح الدين الأيوبي (١٢٠٦ هـ) . مولعاً بعمل المولد النبوي . وذلك بعد أن حسن له العلامة الحافظ أبو الخطاب عمر المعروف بابن دحية الكلبي البلسني الأندلسي المالكي التسنن به . ووضع له من أجل ذلك كتاباً يعد رائداً في المولديات سماه : « التنوير في مولد السراج المنير » . ليقرأه في يوم المولد وجعل يعيد قراءته كل عام تارة في اليوم الثامن وتارة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول . فهو أول الملوك نظم هذا الاحتفال في سلك رسوم دولته بالمشرق .

وكان أول من احتفل بالمولد ببلاد المغرب فيما حكاه لنا ابن مرزوق . هو قاضي سبته أبو العباس أحمد بن القاضي محمد بن أحمد اللخمي ثم العزفي السبتي المتوفى عام ١٣٣ هـ / ١٢٣٦ م : وكان الحافظ له على ذلك - كما أفادنا به في كتابه (الدر المنظم) - ما رآه من دأب المسلمين بالأندلس وسبته على الاحتفال بالمواسم التي يحتفل بها المسيحيون كـ (النيروز . والمهرجان . وميلاد المسيح عيسى عليه السلام) فغاظه ذلك !! مما دفعه إلى التفكير بجد فيما يشغل عن هذه البدع . ويقضي على هذه المناكر ولو بأمر مباح . فوقع في نفسه أن ينبه أهل زمانه إلى الاعتناء بمولد الرسول سيدنا محمد ﷺ ثم رأى أن تلقين ذلك للنشء الصغير أئح وأنفع فأخذ يطوف على الكتاتيب القرآنية بسبته . ويشرح لصغارها مغزى هذا الاحتفال . حتى يسري ذلك لأبائهم وأمهاتهم بواسطتهم ثم دعا إلى تعطيل قراءة الصبيان يوم هذا المولد العظيم . وهكذا نشأ هذا الاحتفال

البكري المصري . وجاء من بعده الأمير الجليل المشير الثالث : محمد الصادق . فأمر بتعميم الاحتفال بالمولد في جميع المدن التونسية . وأجرى لها من مال الدولة عطايا فيها كفاية وفضالة . ولم يلبث أن أصبحت لهذا الاحتفال تقاليد عند السعديين . ولاسيما في عهد المنصور . كما أفادنا بذلك الفشتالي في كتابه « مناهل الصفا » . وقد تطورت هذه التقاليد في ظل ملوك الدولة العلوية على حد ما فصل المؤرخ ابن زيدان في كتابه العز والصولة وعلى حد ما زلنا نعيش حتى هذه اللحظة .

ومن هذا . أن أبا عنان عمم الاحتفال وجعله في سلك رسوم الدولة وكان يسك بمراكش ديناراً ذهبياً كبيراً من وزن مائة دينار . ليقدمه إلى إحدى الشخصيات الزائرة ضمن صلة عيد المولد النبوي . ونحا نحوهم السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي بتونس وعين لذلك ليلة اثنتي عشرة من ربيع الأول وانتهج نهجه المشير الأول: أحمد باشا بن مصطفى الذي أمر بإقامة حفلات المولد بحاضرة تونس ومدينة القيروان . وأجرى لذلك من النفقات ما فيه وفاء بالإحسان وكتب له شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم الرياحي في ذكرى المولد مختصراً من مولد الشيخ مصطفى

المجلة : هناك فريق من الناس يقولون : إذا كان النبي ﷺ قد ولد في ١٢ ربيع الأول فإنه توفي كذلك في ١٢ ربيع الأول فلماذا لا نحتزن بدلا من أن نفرح أو لا نحتزن ولا نفرح ؟ هل هذا سليم يقبله الشرع الحنيف ؟

أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن فيه بوفاته . وقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « كتاب اللطائف » في ذم الرافضة حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لأجل قتل الحسين عليه السلام : (لم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً فكيف من دونهم) .

الشيخ أبو أسامة : هذا إشكال هام . والتفات وجيه ! لكن الرد عليه أن ولادته ﷺ أعظم النعم علينا ووفاته أعظم المصائب لنا والشرعية حثت على إظهار شكر النعم . والصبر والسكون والكتم عند المصائب . وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهي إظهار شكر وفرح بالمولود . ولم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره : بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع . فدلّت قواعد الشريعة على

المجلة : حدثنا في إحدى الجلسات العلمية بمحروسة وجدة، وقلت: بأن ليلة المولد النبوي أفضل من ليلة القدر ؟ هل من توضيح لهذا الفرق ؟

في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر [الأحزاب: ٢١] . ومن أعظم المقاصد في الاحتفال بمولد سيد الخلق ﷺ . هو التذكير بخصوصيات هذا النبي الكريم الذي جاء فأخرج قومه من الظلمات إلى النور . ومن الغواية إلى الهداية ... ولا يعزب عن بالك أيها الحبيب . أن بهذا التذكير ينجو المرء من أن يعود إلى الظلمات مرة أخرى فيفضل ولا منقذ له : لأنه - كما هو معلوم - لا رسول بعد محمد ﷺ : سوى هديه الخاتم . المتمثل في سيرته العطرة . وشمائله الحميدة . وأخلاقه التامة العامة المطلقة . التي وصفها الحق سبحانه بالعظمة . فقال وقوله الحق : (وإنك لعلى خلق عظيم) [القلم: ٤] . وكذا في تشريعاته وما جاء به من الوحي كتاباً وسنة . إنه ﷺ مبرز في تاريخ الإنسانية بلا ند . وأن إصلاحه له الخلود والأثر الباقي . وقد شهد بذلك ذووا الألباب من الأتباع والأعداء من عرفه : (والفضل ما شهدت به الأعداء) .

يقول المفكر الإنجليزي كارلايل : كان مولده مبعثاً للنور من الظلمات .

وقال أيضاً : لقد ظلت الرسالة التي جاء بها محمد سراجاً منيراً لملايين كثيرة من الناس أربعة عشر قرناً ... فهل يعقل أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها تلك الملايين وماتت . أكذوبة أو خديعة ؟؟ .

ويقول السير موير: (لم يكن الإصلاح أعسر . ولا أبعد منا لا منه

الشيخ أبو أسامة : الكلام ليس لي! وإنما هو لمجموعة من العلماء على رأسهم الزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية. وهو في نظري قول صحيح عقلاً ونقلاً: لأن شرف ليلة القدر جاءها من تنزل القرآن فيها وهذا التنزل كان على النبي محمد ﷺ ولولاه لما نزل القرآن. ولولاه أيضاً لما كانت هذه الليلة ! وإذا كان الأمر كذلك فإن فضلها جزئي. وفضل محمد ﷺ كلي. ولا يمكن للجزء أن يفضل الكل مهما كانت قيمته. ثم إن ليلة القدر هي خير من ألف شهر لنزول القرآن على الفاضل وهو محمد ﷺ الذي كان يوم ميلاده أفضل من ملايين السنين. أي من خلق آدم إلى أن تقوم الساعة: إذ لا نبي بعده. فكان هذا اليوم فاضلاً وحاكماً على سائر الأيام الماضية! وهو نفسه الفاضل والحاكم على سائر الأيام المقبلة!! ومن هنا قيل إن يوم مولده هو أفضل من ليلة القدر التي هي منحة ربانية للنبي محمد تكرم بها الله على أتباعه. وليست هي الفضيلة الوحيدة لهذا النبي الكريم وإنما له فضائل لا تعد ولا تحصى. فتأمل!!!

واعلم أيها الأخ الكريم . أن الله تعالى قد اختص نبيه محمداً بأشرف الخصائص . - بما منحه من التكريم بمقام النبوة - وعصمه عن الرذائل والنقائص . وأتاه الدرجة العالية الرفيعة في مقامي الدنيا والآخرة : أعظم بها من نعمة فاخرة . صلاة نتفع بها في كل شدة . وندخرها في المعاد أعظم عدة فلا بد لنا من المبادرة جميعاً إلى الاهتداء بهديه . قال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) [النساء : ٨٠] . وقال عز من قائل: (لقد كان لكم

كل شيء... والعجيب أنه لا يوجد شخصية علمية كُتِبَ عنه طول العمر ما كتب عن محمد رسول الإسلام). ويقول اللورد هيدلي: (للنبي العربي أخلاق قوية متينة وشخصية وُزِنَتْ ومَحَصَّت واختبرت في كل خطوة من خطى حياته ولا نقص فيها على الإطلاق. وبما أننا في حاجة إلى أُمُودَج كامل يفي باحتياجات البشرية في الحياة، فشخصية محمد المقدس تسد تلك الحاجة: فهي مرآة تعكس علينا التعقل الراقى، والنماء والكرم والشجاعة، والإقدام والصبر والحلم والوداعة، والعفو والتواضع والحياء، وكل الأخلاق الجوهرية التي تكون الإنسانية فيها في أسمى صورها. وكل هذا يظهر في شخصيته بألوان وضاعة).

فسيدنا محمد ﷺ إذن، يفرض حبه على كل من عرفه: فإذا كان عندنا هو خاتم الأنبياء والرسل ومعلم الأبطال وصانع الرجال والهادي إلى أقوم طريق، هو عند من عرفه من المفكرين من أهل الملل الأخرى - كما سمعتم - أكبر المصلحين على الإطلاق؛ والمثال العديم النظير.

وقت ظهور محمد، ولا نعلم نجاحاً وإصلاحاً ثم، كالذي تركه عند وفاته).

ويقول ليونارد: (إن كان رجل على هذه الأرض قد عرف الله، وإن كان رجل على هذه الأرض قد أخلص له، وفني في خدمته بقصد شريف، ودافع عظيم، فإن هذا الرجل بلا ريب هو محمد نبي العرب).

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: (لقد صادف محمد النجاح، الذي لم ينل مثله نبي، ولا مصلح ديني في زمن من الأزمنة).

ويقول بازورت اسمث: (إن محمداً بلا نزاع، أعظم المصلحين على الإطلاق).

وقال في محاضرة ألقاها بجامعة أكسفورد عام ١٨٨٤م: (لا نجد فيما كتبه المؤرخون الأولون عن محمد ورسالته أساطير ولا أوهاماً ولا مستحيلات كل شيء واضح وضوح الشمس في الضحى يبين تحت أشعتها

المجلة: هل من كلمة ختامية؟

الشيخ أبو أسامة: هذا مبلغ علمي، وصدق نيتي! فإن وفقت فالحمد لله على توفيقه، وإن أخطأت فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيد الوجود مولانا رسول الله وآله، ورضي الله عن صحابته الكرام وعن تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. ولا يفوتني هنا أن أقدم تشكراتي الخالصة للمشرفين على مجلة «الكسنزان» على هذه الاستضافة الكريمة، أسأل الله تعالى أن يتقبل منهم وأن يبارك في جهودهم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بطاقة تعريف

المحدث الفهامة، والفقهاء المدقق الشيخ أبو أسامة المصطفى غانم أستاذ الحديث وعلومه بجامعة محمد الأول - وجدة، نال درجة دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية بامتياز، له إجازات شرعية من شيوخ كبار من العلماء: في القرآن وعلوم الحديث والقراءات وعلوم أخرى.

من مؤلفاته:

تاريخ المولد ومشروعية الاحتفال به.

والكرامة والولي.

مدرسة الحديث بالغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية القرن الثالث الهجري جذورها معالمها مروياتها.

برامج العلماء وفهارسهم وإجازاتهم وأثرها في توثيق النص الحديثي مع تحقيق فهرسة الشيخ القادري.

مقدمة الشفا للقاضي عياض بالعربية والفرنسية، ومؤلفات أخرى.

والجدير بالذكر أن الشيخ أسامة له مجلس خاص في بيته لتدريس علوم الحديث وعلوم أخرى.

عظمت الرسول الأعظم سيدنا

محمد

صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



الإلهية التي خص الله سبحانه وتعالى بها سيدنا محمداً عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فقال تعالى : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ » إذ لم يذكر الحق سبحانه وتعالى من هو هذا الرسول ولكن يتبادر إلى الذهن ابتداءً انه رسول الله والإبهام في مثل هذا المقام يفيد التعظيم فكما في قول الله تعالى : « محمد رسول الله » على ما يقرره العلماء فإن هذا يسمى (مفهوم اللقب) ، ومفهوم اللقب لا ينزع صفة الرسالة عن غير رسول الله ﷺ من الأنبياء والمرسلين ، ولكن يشير هذا المفهوم إشارة إلى أن تحقق هذا الوصف (أي وصف الرسالة) على كماله وتماحه في شخص رسولنا ﷺ فكأن الله تعالى قال : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ » ، أي أرسل أعظم رسله ، ثم قال تعالى : « بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ » والهدى هو نقيض الضلال ، ودين الحق هو الدين الذي جاء مطابقاً للواقع ذلك على تعريف المتكلمين للحق بأنه الحالة المطابقة للواقع ، إذ أن هذا الدين هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهذا ما قرره الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بقوله : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فابواه يهودانه وينصرانه ». فالإسلام هو دين الحق كونه قد طابق الفطرة البشرية التي فطر الناس عليها ثم قال تعالى : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » ،

إن من يقف متحدثاً عن حضرة

المصطفى سيدنا محمد ﷺ يقف في مقام المتحير ، فحقيقته ﷺ لا يعرفها إلا الله جل وعلا ، والعقول مهما آتاها الله سبحانه وتعالى من فطنة وأدراك أن تحيط بهذا النور الرياني الذي تمثل في صورة سيدنا محمد فقال ربنا تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم : « قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ». إن هذا النور الإلهي هو العماد الرئيسي والأساسي لهذا الكون إذ هو علة الوجود وسبب كل موجود وقد أجاد ابن نباته المصري حين قال :

لولا ما كان أرض لا ولا أفق

ولا زمان ولا خلق ولا جيل

ولا مناسك فيها للهدى شهب

ولا ديار فيها للوحي تنزيل

من هذا لا بد أن نعرج متبركين على شخصية الحبيب المصطفى ﷺ مشيرين إلى نزر من المنح واللطائف الإلهية التي أختص بها سيدنا محمد ﷺ في كتاب الله العزيز عل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الذين فرحوا برسول الله ﷺ كي يفرح بنا .

قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » .

نبدأ من هذه الآية المباركة لفهم بعض السمات

وفعل الظهور هنا مسند إلى ضمير مبهم وهو (الهاء)
وعائدية الضمير لابد أن تكون على اسم ظاهر ،
والآية الكريمة فيها اسمان ظاهران هما (الرسول
والدين) ، فإذا كان الضمير عائداً على الاسم الظاهر
(الرسول) فإن تفسير الظهور في هذه الآية المباركة
يأتي بمعنى (الإطلاع) ، فكأن الله سبحانه وتعالى
قال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ ﴾ . ولفظ (الدين) جاء معرفاً (بالالف
واللام) المفيدة للاستغراق ، فكأن المعنى سيكون :
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليطلع على
الأديان كلها .

أما إذا كان الضمير عائداً على الاسم الظاهر الثاني
(الدين) ، فقد تقرر المعنى على شكل آخر ، فكأن
الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ ﴾ قد
قال : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليرفع شأنه على الأديان كلها ، فالظهور هنا
جاء بمعنى الرفعة ،
: ظهر بنو فلان على بني
عليهم وارتفعوا شأنًا
مما تقدم لابد أن تدرك
الظهور لهذا الدين
بقية الأديان ؟ أن سبب
الحنيف على بقية

قاعدة ربط الأسباب بالمسببات هو رسول الله ﷺ ،
فالله سبحانه وتعالى قد أعطى سيدنا محمداً ﷺ ما
لم يعط غيره من الأنبياء والمرسلين من الإكرام والمنح
الإلهية الربانية ، وقال الإمام الشافعي (رحمه الله) : ما
من رحمة أصيب بها أهل الأرض والسماء إلا عن طريق
رسول الله .

فكل رحمة وصلت إلى الأنبياء والمرسلين وكل
منحة إلهية منح بها نبي مرسل ما جاءت إلا عن طريق
سيدنا محمد الذي قال : ﴿ أنا كنت نبياً وأدم بين
الماء والطين ﴾ . فإكرامه قد سبق ظهوره ، والذي يقرر
هذه المسألة ما قاله الله سبحانه وتعالى في كتابه
الكريم : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ
مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ
ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ
الشَّاهِدِينَ ﴾ .

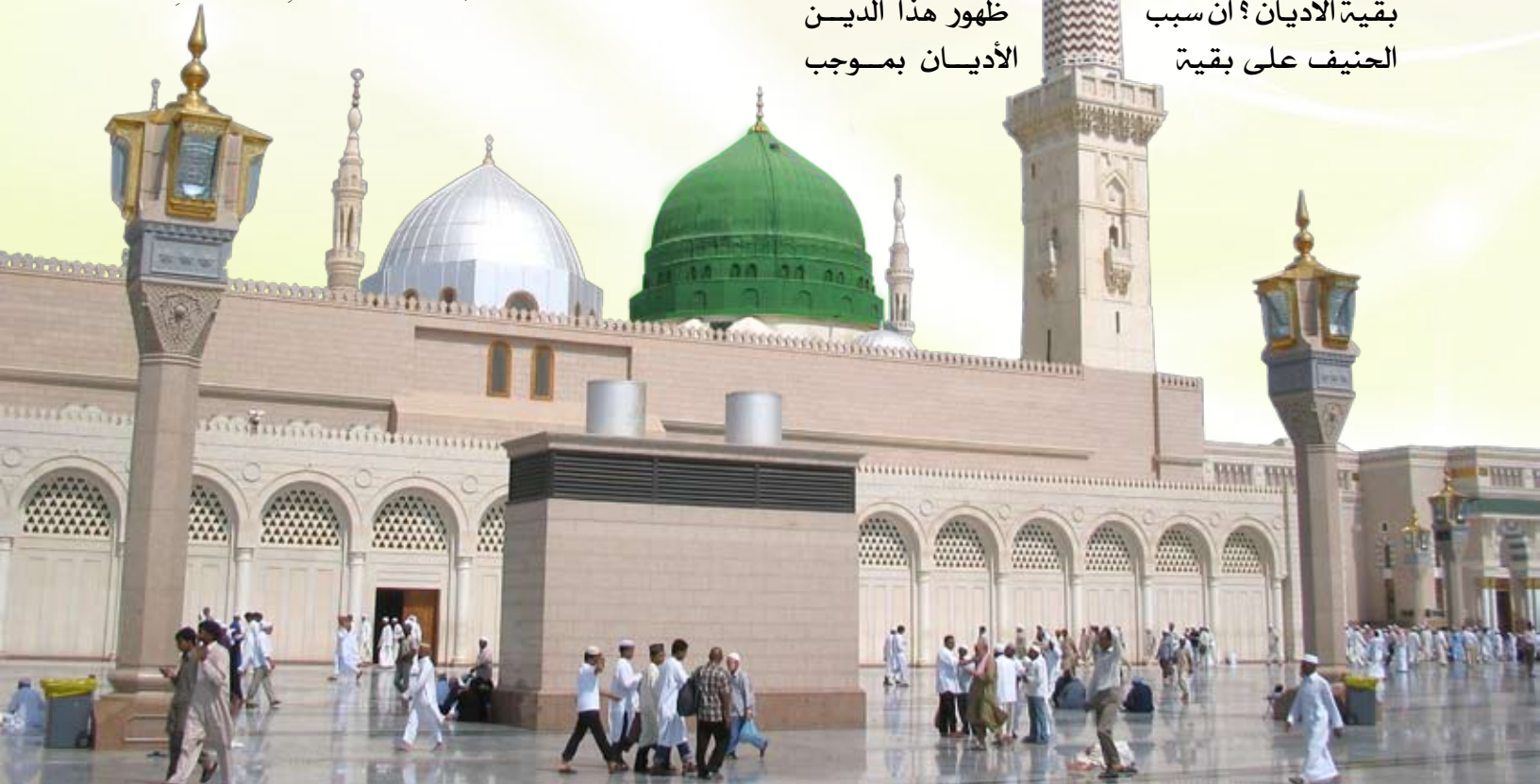
يتبين من هذا أن النور المحمدي قد بُعث إلى جميع
الأنبياء والمرسلين وقد صدق البوصيري حين قال :

وكل أي أتى الرسل الكرام بها

فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضلهم كواكبها

يُظهِرُ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ



إن تفضيل رسول الله ﷺ على بقية الأنبياء والمرسلين أمر واجب ومشروع لا يستدل على نفيه بقول الله تعالى : « لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ». فالتفريق المقصود في هذه الآية الكريمة بين الرسل يكون بالإيمان ، أي نؤمن بهذا ونكذب ذاك ، فالله تعالى قال في موضع آخر من القرآن الكريم : « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ ». فلم ينل أحد من الأنبياء والمرسلين والأفضلية التي نالها رسول الله ﷺ وهذا ما يوضحه ويبينه قول الله تعالى : « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ».

إن هذا الخطاب موجه من الحق سبحانه وتعالى إلى الناس كافة فقال تعالى : « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ » ، أي لا ينبغي لأحد منكم أيها الناس أن يعامل رسول الله ﷺ كما يعامل بعضكم بعضاً لأنه ذو منزلة وقُدسية خاصة ، ثم تابع الحق قوله : « وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » ، ف (رسول الله) كما أسلفنا أنه مفهوم اللقب الذي يوضح لنا تقدمه وأفضليته على بقية الأنبياء والمرسلين ولكن نقف عند قول الله تعالى في هذه الآية الكريمة : « وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » بفتح التاء ، فلم

يقول الحق سبحانه وتعالى : خاتم النبيين بكسر التاء ، فما الفرق بين اللفظين ؟ .

الخاتم للشيء (بكسر التاء) : هو الذي يأتي في آخره أما الخاتم (بفتح التاء) فهو الذي يكون به الابتداء والانتهاء ، لذلك سمي الخاتم خاتماً لأنه محيط بالإصبع من كل جانب فيبتدأ به وينتهي إليه ، فالله سبحانه وتعالى يقرر في هذه الآية الكريمة بأن هذا النبي الأعظم هو محيط دائرة الأنبياء أجمعين منه المبتدئ واليه المنتهى . إضافة إلى ما تقدم فقد ختم الله سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : « وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » فالذي يناسب هذا المقام لا يكون إلا بمثل هذا الانتهاء ، ففيه إشارة إلى أن الله تعالى هو الوحيد الذي يعلم الحقيقة المحمدية ولا يمكن لأحد معرفة ذات رسول الله إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى فقد قال الله سبحانه وتعالى : « يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ».

لندقق النظر في موطن آخر من القرآن الكريم ولنخرج على الآية الكريمة التي أمر الله سبحانه وتعالى العباد بالصلاة على رسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ».

إن هذا الأمر الرباني في الآية الكريمة جاءنا بصورة قرآنية جديدة تتميز وتختلف عن بقية صيغ الأوامر الربانية الأخرى في القرآن الكريم ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ».

وقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ».

وقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِغَدٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ».



وقال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

هذا إلى ما شاكله من صيغ الأوامر التي تقتضي طلب الفعل ، ولكن حينما كان الأمر بالصلاة على رسول الله ﷺ جاء الأمر بصيغة أخرى فابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ، ليشير إلى أن مقام الصلاة على النبي مقام تشريف للعباد إضافة إلى أنه مقام تكليف يُراد به طلب الفعل ، فالصلاة على النبي مقام تشريف وتكليف في آن واحد ، فكأن الله سبحانه وتعالى يقول لعبده : أنا أصلي على حبيبي وملائكتي يصلون على حبيبي فإذا صليت عليه كنت حاضراً معي ومع ملائكتي في هذا المقام الرفيع .

ومن ناحية أخرى إذا ما نظرنا إلى تنفيذ أمر الصلاة على النبي في هذه الآية الكريمة فإن كيفية تنفيذ هذا الأمر قد جعل الصحابة الكرام يسألون رسول الله ﷺ عنه فقالوا يا رسول الله علمنا الصلاة عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ فقال قولوا :

(اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد) .

فهكذا يكون تنفيذ أمر الصلاة على النبي ولننظر إلى تنفيذ الفعل للأوامر في بقية الصيغ القرآنية الأمرة ففي قول الله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ فعلى هذا الأمر تنفيذ وأداء

فعل يبدأ بالتكبير وينتهي بالتسليم . وفي قول الله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ، فما علينا إلا أن نخرج جزء من مالنا امتثالاً لهذا الأمر الرباني ، ولكن حينما أحيل الفعل على العباد لتنفيذ أمر الصلاة على النبي بقوله تعالى : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

قال العباد : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد أو يقولون : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، إلى ما شابهها من صيغ الصلاة على النبي ﷺ ، وفي هذا إشارة من العباد إلى تفويض أمر الصلاة على النبي ﷺ إلى الله تعالى ، فكأن العباد يقولون : يا رب إذا كنت أنت وملائكتك قد صليتم على نبيك فلا طاقة لنا على أداء هذا الفعل لذلك يقول بعض المفسرين : إن الأمر التكليفي الوحيد الذي عجز عن أدائه العباد هو الصلاة على رسول الله ، ففيه يتحقق الذل والانكسار والتجرد إلى الله تعالى والإقرار بالضعف .

إن الله سبحانه وتعالى لم تغادر رعايته ولطفه حبيبه محمداً ﷺ وهذه حقيقة قد أكدها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ .

إن عظم هذه الرعاية الإلهية لسيدنا محمد ورفعته تتجلى لنا بوضوح إذا ما قورنت بالرعاية الإلهية لسيدنا موسى عليه السلام ، إذ قال الله سبحانه وتعالى في حقه : ﴿ وَلَتُضَعَّ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾ . وأما قول الله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ . فالفارق واضح في الرعاية الإلهية العظيمة الرفيعة



الوجود ، وجعله الله أعلى المظاهر واسناها ، صح له المقام تعييناً وتعريفاً ، فعلمه قبل وجود طينة البشر وهو محمد ﷺ لا يكأثر ولا يقاوم ، وهو السيد ومن سواه سوقة .»

وقد بحث في تحرير هذه القضية (القاشاني) فقال : « إن محمداً ﷺ أول التعينات الذي تعين به الذات الأحدية قبل كل تعين فظهر به ما لا نهاية له من التعينات ، فهو يشمل جميع التعينات ، فهو واحد فرد في الوجود لا نظير له : إذ لا يتعين من يساويه في المرتبة ، وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت ، فله الفردية مطلقاً ، ومن هذا يعلم إن الاسم الأعظم لا يكون إلا له دون غيره من الأنبياء ، ومن فرديته يعلم سر قوله : « كنت نبياً وأدم بين الماء والطين » كونه خاتم النبيين وأول الأولين وآخر الآخرين ، ومن أوليته وجمعيته سر قوله :

« أوتيت جوامع الكلم » وكونه أفضل الأنبياء فإنهم في التصاعد وسعة الاستعداد والمرتبة ، ينتهون إلى التعين الأول ولا يبلغونه ، والتعين الأول هو محمد الذي ترجع إليه جميع التعينات فهو البرزخ بين الذات الأحدية وبين سائر الموجودات .»

وقد قال الشاعر أحمد شوقي :

لسيدنا محمد ﷺ من رعاية الله تعالى لسيدنا موسى ﷺ ، ومن ناحية أخرى فقد كان هنالك ميعاد لسيدنا موسى ﷺ فقال تعالى : « وإذ واعدنا موسى أزيعين ليلة » . أما رسول الله ﷺ فلم تفارق رعاية الله سبحانه وتعالى ذاته الشريفة في أي حال من الأحوال فقال تعالى : « مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » .

إن حقيقة هذه العظمة وهذه الرفعة التي خص الله سبحانه وتعالى بها سيدنا محمد ، قد خاض في بحرهما وغاص في معانيها كثير من الأعلام العارفين وقد عبر عن هذه الحقيقة الشيخ محيي الدين بن عربي وسمها (الحقيقة المحمدية) والتي اعتبرها العماد الذي قامت عليه (قبة الوجود) فهي صلة الوصل بين الله والناس وهي القوة المدبرة التي يصدر عنها كل شيء ، ولندع ابن عربي يشرح هذه المسألة بفهمه :

« اعلم أن الله لما خلق الخلق جعلهم أصنافاً ، وجعل في كل صنف خياراً ، واختار من الخيار خواصاً وهم المؤمنون ، واختار من المؤمنين خواصاً وهم الأولياء ، واختار من هؤلاء الخواص خلاصة وهم الأنبياء ، واختار من الخلاصة نقاوة وهم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم ، واختار من النقاوة شذمة قليلين هم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل أجمعهم ، واصطفى واحداً منهم ، ليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله الله عمداً أقام عليه قبة



كيف ترقى رقيق الأنبياء

يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك في علاك وقد حا

ل سنا منك دونهم وسناء

إنما مثلوا صفاتك للناس

كما مثل النجوم الماء

ومن هنا يتضح لنا بأن جميع الأنبياء عليهم السلام من

نور سيدنا محمد ﷺ الذي هو أصل الوجود وأول تعين

للذات الأحدية وعنه نشأت جميع التعينات ومن أجل

ذلك كان سيد جميع الناس وكان خاتماً للأنبياء .

وقد لخص هذه الحقيقة الشيخ محمد البكري رحمه

الله في هذه الطائفة :

قبضة النور من قديم أرتنا

في جميع الشؤون قبضاً وبسطاً

وهي أصل لكل أصل تبدى

بسطت فضلها على الكون بسطاً

وهي وتر قد أظهرت عدد

الشفع بعلم فجلاً حصراً وضبطاً

ولدت شكلاً فأنتج أشكالاً

بشراً أقام للعدل قسطاً

طلسم حارت العقول عليه

كنز بحر قد شط في الدرك شطاً

إن الوسيلة الكبرى والعظمى للعباد هو حضرة

المصطفى فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

وابتغوا إليه الوسيلة » . فهو بلا شك ولا ريب وسيلتنا

ووسيلة أبينا آدم ﷺ ، فمن أراد الرحمة والمغفرة

والقرب في الدارين من الله تعالى فما عليه إلا أن يبادر

إلى طرق باب المصطفى ﷺ ويناديه بلسان العاشقين

وبقلب المحبين وبروح فانية بمحبته ﷺ كي ينال

مبتغاه ومرامه ، ولكن الذي يضير ويجعل القلوب

تتقطر ذلك الجد العقيم الذي لجت به الألسن في

المجالس وهو هل إن للنبي ﷺ جاهاً عند الله أم لا ؟ .

إذا كنا نناقش في هذا الأمر إلى يومنا هذا فمتى نعرف

قدر نبينا ؟! إن مجرد المناظرة في هذه المسألة تعد إساءة

أدب عظيمة مع حضرة المصطفى ﷺ وتفريط في

حقه فهو الباب الذي لا يوصد ولا يدخل إلى رحمة الله
تعالى إلا من خلاله ، قال تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ جَاوَوْكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً » .

وإن من عظمة الرسول ﷺ وعظم جاهه عند الله سبحانه

وتعالى أن جعل الأرزاق منوطة به فقد روي عن الرسول

أنه قال : « إن الله مغط وأنا قاسم » وكان الصحابة

يرددون (هذا ما أتانا الله ورسوله من فضله) .

وقد صدق القائل :

ما أرسل الرحمن أو يرسل

من رحمة تصعد أو تنزل

إلا وطه المصطفى عبده

نبيه مختاره المرسل

واسطة فيها ووصل لها

يفهم هذا كل من يعقل

فخط أحمال الرجا عنده

فهو شفيع دائماً يقبل

ذلك أن الرسول ﷺ هو الشارع الأشهر والخليفة

الأكبر نور الله اللامع وبرقه الساطع وسيفه

القاطع ومعناه الذي هو في أفق كل قلب سليم

طالع . ويكفي رداً على من يعترض على

وجاهته ﷺ هذان النموذجان من الصلوات التي

اخرناها من كتاب الصلوات الكسنزانية والتي

تبين عظم منزلته وجاهته عند الله تعالى :

صلاة الوظيفة لابن مشيش (رحمه الله) :

(اللهم صل على من منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار

، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزل علوم آدم بأعجز الخلائق ،

وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه سابق ولا لاحق ، فرياض

المللكوت بزهر جماله مونة ، وحياض الجبروت بفيض

أنواره متدفقة ، ولا شيء إلا هو به منوط ، إذ لولا الواسطة

لذهب - كما قيل - الموسط .

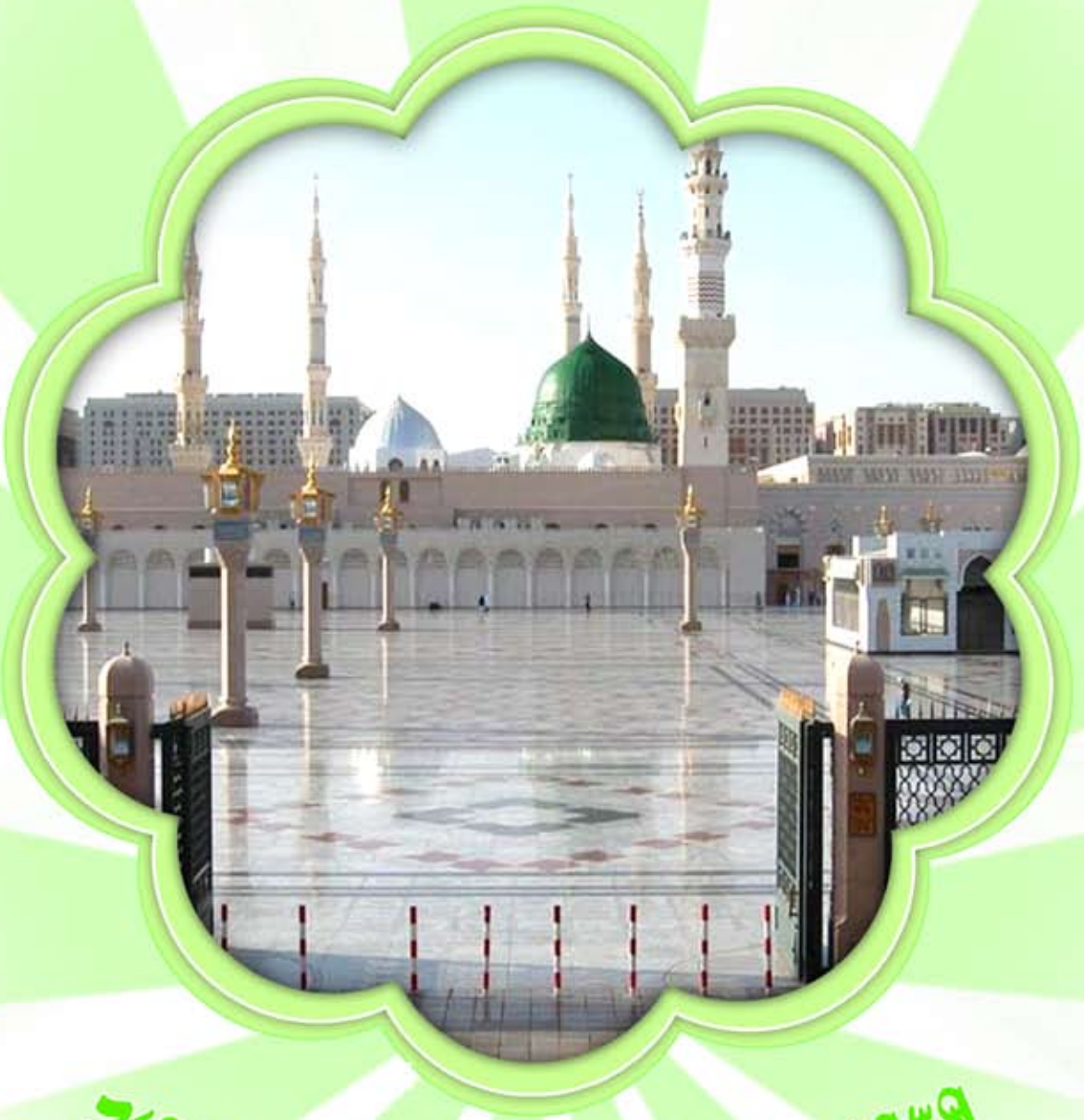
صلاة السحر لمصطفى البكري (رحمه الله) :

(اللهم صل وسلم وبارك على من تشرفت به جميع

الأكوان ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي

أظهرت به معالم العرفان ، صل وسلم وبارك على عين

الأعيان والسبب في وجود كل إنسان) .



اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَىٰ اٰلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ



دوت موبى :

نطاق جديد لمواقع الإنترنت الموجهة للهواتف

أتيح مؤخراً لعموم المستخدمين باب التسجيل في نطاق «دوت موبى» (.mobi) الجديد لمواقع الإنترنت المخصصة للتصفح عبر الهواتف النقالة وحواسيب الجيب . ويشبه النطاق الجديد سابقه من أمثال «دوت كوم» و«دوت نت» ولكن فكرة إنشائه جاءت نتيجة لعدم ملائمة أغلب مواقع الإنترنت الحالية للعرض على الأجهزة النقالة - من هواتف وحواسيب جيب - . فصفحات الإنترنت المصممة للتصفح بالحواسيب التقليدية تستغرق وقتاً طويلاً لتعرض على الأجهزة النقالة، وكثيراً ما تظهر بصورة مشوهة.



وبالتوازي مع هذه النقص، كان النمو مشهوداً في عدد الهواتف النقالة وحواسيب الجيب المجهزة للاتصال بالإنترنت، ومن ثم بزغت الحاجة لإنشاء نطاق جديد ييسر على مستخدمي الأجهزة المتصلة بالإنترنت لاسلكياً إيجاد مواقع ملائمة للعرض على حواسيبهم وهواتفهم . وقد أسهمت عدة شركات كبرى بعد موافقة مؤسسة «أيكاب» المختصة في إدارة النطاقات في إنشاء شركة تشرف على تسجيل العناوين على النطاق الجديد . من هذه الشركات مايكروسوفت وغوغل والأميركيتان، وفودافون البريطانية، وسامسونغ الكورية، وأوراسكوم تليكوم المصرية، وإريكسون السويدية . وكان التسجيل على النطاق الجديد قد بدأ في مايو/ أيار الماضي للشركات التي تدير شبكات الهواتف النقالة، ثم في يونيو/ حزيران للشركات المالكة لعلامات تجارية مسجلة.

كشف الشخصية الداخلية عبر اليمين

بين خير ألماني باختبار جديد أن بوسع العنوان البريدي الإلكتروني للأحداث التعرف على شخصياتهم الداخلية . الخبير وهو أستاذ لعلم النفس في جامعة لايبزيك الألمانية يدعى «ميتيابك» طلب من طلابه تقييم شخصية ٥٥٩ من الأحداث عبر الحروف البسيطة لعنوانهم البريدي الإلكتروني . نتائج هذه الدراسات توضح إمكانية الأسلوب هذا من التعرف على شخصيات الأحداث الداخلية من صدق ، وديانة أو العجب الذاتي (العجب بالنفس) على وجه الخصوص... وتوضح كذلك كيف يتسنى في عصر الاتصالات الديجيتالية حتى لعنوان بريدي إلكتروني أن يستخدم وسيلة مهمة للتعرف على ذوات الأشخاص أو على شخصياتهم الداخلية .



موسوعة دول العالم على الانترنت

موقع موسوعة دول العالم يحتوي على معلومات حديثة عن دول العالم . يمكنك اختيار أي دولة من القائمة الموجودة في الصفحة الرئيسية أو عن طريق خريطة العالم . يتضمن الموقع معلومات تاريخية ، جغرافية و خرائط لجميع دول العالم .

<http://www.countryreports.org>



COUNTRYREPORTS.ORG

جوجل تريد توفير الانترنت عبر موجات التلفزة



تطالب شركة جوجل ، صاحبة محرك البحث الشهير على الانترنت الحكومة الأمريكية بالتريخيص لها باستخدام موجات التلفزة الشاغرة لتوفير الانترنت بدون أسلاك (واي-فاي) . وقالت الشركة في رسالة مفتوحة إلى المؤسسة الحكومية المعنية أن طلبها استخدام الترددات الشاغرة بين القنوات التلفزية «فرصة لا تعوض» . تلتقط القنوات التلفزية في ترددات معينة، والمجال الشاغر بينها هو ذلك الذي لا يلتقط فيه جهاز التلفزة أية معطيات . وقال مسؤول جوجل ريتشرد ويت في الرسالة أن «معظم الترددات الشاغرة هنا في الولايات المتحدة لا يستفاد منها ، وليس هناك من سبب يمنعنا من استغلاله» . وتقول جوجل أن استخدام الترددات الشاغرة سيمكن كل الأمريكيين من تكنولوجيا الواي-فاي عبر موجات التلفزة .

وكانت قنوات التلفزة قد عارضت الفكرة في الماضي بدعوى أن استخدام المجالات الشاغرة بين تردداتها قد يشوش على بثها . لكن جوجل وعد باستخدام تكنولوجيا تمنع البيانات المرسله من المرور عبر ترددات مستخدمة ، مما يجعل احتمال التشويش منعدماً ، على حد قولها . وتقول الشركة العملاقة أن بإمكانها صناعة آليات لالتقاط الواي-فاي عبر الأمواج التلفزية مع نهاية ٢٠٠٩ . وتفكر بلدان أخرى في استخدام الترددات الشاغرة ، ففي بريطانيا مثلاً ، تستغل لوصول ميكروفونات حرة بمراكز البث دون استخدام الأسلاك ، مما يمكن الصحفيين والفنانين على سبيل المثال ، من إرسال الصوت إلى الاستوديوهات بسهولة .

موقع إلكتروني يهتم بالظواهر العجيبة في الكون

محيط : كثيراً ما يقف العلم عاجزاً أمام بعض الظواهر العجيبة مثل طبائع النفس البشرية وغيرها من الأحداث الطبيعية والفضائية ، والآثار الفرعونية وغيرها .

يركز موقع «عجائب بلا تفسير» على مثل هذه الظواهر مثل مخاطبة أشخاص يبعدون عنا مئات الأميال ، ويصل إليهم الكلام بما يعرف بظاهرة التخاطر ، إضافة إلى ظاهرة أكلي لحوم البشر ، والموجودة في بعض القبائل الإفريقية وفي بعض الحالات الفردية في أوروبا وأمريكا ، وما الذي يدفعهم إلى اشتهاى اللحوم الآدمية ، علاوة على ظاهرة الأطباق الطائرة والتي شاهدها آلاف الناس حول العالم . كما يقدم الموقع معلومات علمية عن حدود العقل البشري ، والذي لا يعرف عنه العلماء إلا القليل . كما يحاول الاقتراب من بعض الظواهر التي حيرت العالم مثل بناء الأهرامات وكيف استطاع قدماء المصريين بناء هذه الأهرامات الهائلة . ويعرض الموقع أيضاً ، كما ورد بالعالم الرقمي ، ألجوم لأغرب وأعجب الصور حول العالم والتي لا يجد العلماء لها تفسيراً ، مثل بعض الهياكل العظمية الغريبة التي تحتوي على ذبول تشبه ذبول عروس البحر والتي عثر عليها في الفلبين ، وبعض الطيور الضخمة التي وجدها سكان إحدى المدن الإفريقية ، وبعض الحيوانات الأخرى التي لم يتم التعرف على هويتها وتم الاحتفاظ بها في بعض متاحف التاريخ الطبيعي . ويمكن زيارة الموقع على العنوان التالي :

<http://www.unexplained-mysteries.com>

تأسيس موسوعة إلكترونية عربية وحررة

أعلنت مجموعة الإمارات للإنترنت مؤخراً عن توقيعها اتفاقية تعاون مع مجموعة طلال أبو غزالة للمعرفة التابعة لمجموعة أبو غزالة الدولية لتأسيس موسوعة إلكترونية عربية وحررة على شبكة الإنترنت .

وتهدف الموسوعة الإلكترونية الجديدة ، الموجهة للمستخدم العربي ، إلى إثراء المحتوى العربي على شبكة الإنترنت وتكوين مرجعية علمية ذات مصداقية أكاديمية وجودة عالية ، وذلك من خلال تأمين الغطاء العلمي والأكاديمي المؤهل لتدقيق المواد المدرجة ومراقبتها وتقييمها من قبل جهات أكاديمية ومراكز أبحاث متخصصة . وستعتمد الموسوعة الجديدة على مشاركة أصحاب المعرفة في المجالات المعنية لإثراء المحتوى العربي على شبكة الإنترنت والارتقاء بدقته . كما سيتاح فيه للمشاركين إمكانية تعديل المعلومات ومناقشتها بالإضافة عليها مع الحفاظ على كامل الحقوق للمؤلف وأي حقوق أخرى لأي جهات معنية . ومن المقرر أن تغطي الموسوعة العديد من المجالات العلمية بما في ذلك العلوم التطبيقية والبشرية والاقتصادية والتكنولوجية .



الكمبيوتر البيولوجي

ماذا تعرف عن الكمبيوتر البيولوجي

علوم واينكارات

بطريقة منتظمة وبالتالي فإنه إذا أمكن جعل حركة هذه الذرات في الجزيئات محصورة في حركتين فقط فإنه يمكن تصميم مكونات الكمبيوتر تلك الجزيئات وستكون بدون شك أصغر حجماً مما هي عليه الآن حيث أن حجم الجزيئات يبلغ ١٠٠٠/١ من حجم البوابات المنطقية المستخدمة الآن والمصنعة من أنصاف الموصلات . وهذا يعني أن تحصل على كمبيوتر أسرع بما يعادل ١٠٠٠ مرة من سرعة كمبيوتر موجود الآن .

حتى الآن لم يتم تصحيح هذا النوع من الكمبيوتر (الكمبيوتر البيولوجي) ولكن البحث العلمي جاري على تطوير كمبيوتر هجين **Hybrid Computer** يجمع في تصميم مكوناته بين أنصاف الموصلات والجزيئات البيولوجية .

عديد من الأبحاث والتجارب أجريت على جزيئات بيولوجية وعقد تبين أن **Bacteriorhodopsin** يحقق الغاية المطلوبة حيث وجد أن هذا الجزيء يظهر تصرف وسلوك غير عادي عند تعرضه للضوء حيث إن جزيء الـ **Rhodopsin** الموجود في عين الإنسان عندما يتعرض إلى ضوء معين يحدث تغير في بنيته التركيبية ينتج عنها انطلاق طاقة تستخدم كإشارة كهربية لتوصيل معلومة إلى الدماغ البشري . جزيء الـ **Bacteriorhodopsin** تم اكتشافه على أيدي علماء روس وتابع هذا العمل فريق روسي وأطلقوا على المشروع **Project Rhodopsin** . والعديد من أسرار هذا المشروع غير معروفة وتعد من الأسرار الحربية .

استخدم جزيء في الأبحاث الجارية لتطوير وحدة التحكم المركزية (CPU) وكذلك لتطوير نوع جديد من الذاكرة **Memory** لأنهما أساس تطور الكمبيوتر . وقد اعتمدت الأبحاث على إيجاد وسيلة لتغيير حالة الجزيء البروتيني المذكور وإرجاعه إلى وضعه الطبيعي وذلك باستخدام شعاعين ليزر الأول يغير تركيب الجزيء والثاني يعيده إلى وضعه الطبيعي وأطلق على الحالة الأولى ٥ والثانية ١ .

وفي النهاية هذا الكمبيوتر الهجين **Hybrid computer** سوف يكون ذو كفاءة خيالية حيث سوف يقوم بعمليات معالجة لعدد ضخم من المعلومات كما سوف يقوم بإجراء العديد من المحاكاة العلمية للعديد من الظواهر المعقدة **Computer simulations Artificial Intelligence** وسيضع أسس لما يسمى بالذكاء الصناعي .

إن الدماغ البشري يتكون من شبكة عمل معقدة من الجزيئات العضوية لها القدرة على الحساب والمعالجة المنطقية واسترجاع وربط المعلومات والتفكير والإحساس .

والكمبيوترات الرقمية المستخدمة الآن **Digital Computer** بكل تأكيد تنجز العمليات الحسابية بسرعة ودقة تفوق قدرة الإنسان ولكن التفكير والإحساس وربط المعلومات لاستنتاج شيء ما لا يمكن للكمبيوتر القيام به . مصمموا الكمبيوتر يدركوا جيداً أنهم لن يكونوا قادرين على تصنيع آلة لها مواصفات الدماغ البشري ولكنهم إذا تمكنوا من صنع مكونات الكمبيوتر المادية **Hardware** من الجزيئات البيولوجية وبالتحديد البروتينات فإن حجم الكمبيوتر سيصبح أصغر بكثير مما هو عليه الآن وأقوى من أي آلة إلكترونية .

منذ عام ١٩٦٠ وصناعة الكمبيوتر مبنية على تكنولوجيا

أنصاف الموصلات **Semiconductor**

وقد حققت تقدم وجأح عظيم من حيث تصغير حجم المكونات المادية للكمبيوتر وزيادة كفاءة وقدرة الكمبيوتر على تخزين المعلومات ومعالجتها . وكما هو معلوم أن مكونات الكمبيوتر تعتمد في عملها على البوابات المنطقية **Logic gates** حيث تقوم بالانتقال بين حالتين مختلفتين أطلق

على الأولى

الرقم (٥)

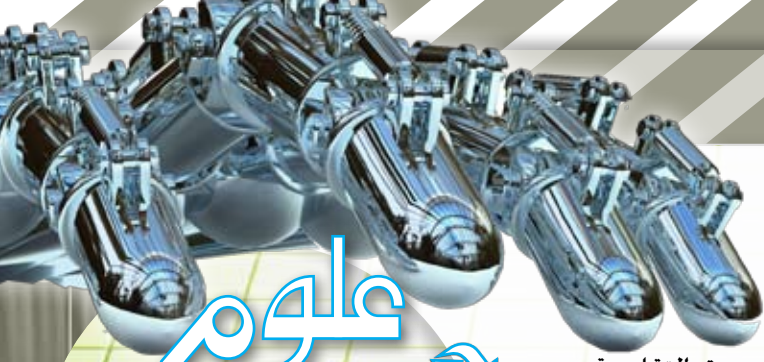
وعلى الثانية

الرقم (١) أي (لا يوجد) بينما

(يوجد) وكلما زادت سرعة الانتقال بين هاتين الحالتين كلما زادت سرعة الكمبيوتر في تبادل المعلومات لأن كل معلومة تكون مخزنة في شيفرة من الحالتين ١ . ٥ وتسمى هذه بالـ **Binary Digits**

والسؤال الآن هل يمكن استخدام الجزيئات البيولوجية لتنتقل بين حالتين مختلفتين تكون الأولى ٥ والثانية ١ على سبيل المثال . والإجابة على ذلك هي نعم لأن ذرات هذه الجزيئات تتحرك وتغير مواقعها





علوم واينكارات

كمبيوتر هجين متعدد الشاشات

طلال سلامة من روما : يلقي مفهوم تصميم كمبيوتر جديد نجحاً باهراً . يدعى الكمبيوتر (B-membrane) وصممه العالم الكوري الجنوبي (Won-Seok Lee) . نجح هذا العالم في «شطب» الحاجة إلى شاشة الكمبيوتر التقليدية التي من دونها لا نستطيع العمل عادة .

كبدل. تم اختيار أي سطح أو جدار أمام المستعمل لتحويله إلى شاشة . هكذا . يتمكن الكمبيوتر من العمل على عدة أنواع من الشاشات المستقلة. ويأتي ذلك ضمن معادلة تسمح لمسلط توجيهي «عارض» (directional projector) . موجود على رأس الكمبيوتر . تحويل أي عائق عمودي أمامه إلى واجهة تفاعل بصرية خل بالكامل محل الشاشة المعيارية . علاوة على ذلك . ثمة غشاء يحوي لوحة مفاتيح تظهر بالكمبيوتر عند الحاجة. كما تم تركيب «درايف» (Drive) بصري لقراءة الأقراص المدمجة. لدى عدم استعماله كحاسب . يمكن للعارض توليد تأثيرات خفيفة بيئية على أي سطح .



عندما يرى الآخرون أعلامك

كشفت مجموعة من الخبراء والأمريكية النقيب عن تقنية جديدة يجري تطويرها . ستمكن الأشخاص من رؤية أحلام بعضهم . وذلك بواسطة تكنولوجيا متطورة قائمة على تصوير المخ وحل الرموز والإشارات الكهربائية الصادرة عن الدماغ أثناء النوم . هذا الإنجاز العلمي والطبي الهام أعلنت عنه مؤخراً مجلة نيتشر العلمية الذائعة الصيت في تقرير كتبه جاك جالانت وزملاؤه . حيث أكدوا . أنه قريباً سيكون في مقدور العلماء بناء صورة دقيقة لنشاط المخ الإنساني أثناء النوم ومعرفة الأحلام والتخيلات التي تسيطر على الدماغ البشري . ويوضح الباحث جالانت أن فريقه استخدم تقنية الرنين المغناطيسي لتصوير وظائف المخ لتكوين الصور المرسومة في أدمغة المتطوعين . التجارب التي أجريت على المتطوعين تمت على مرحلتين . في المرحلة الأولى . طلب من عضوين تأمل مجموعة من ١٧٥٠ صورة فوتوغرافية . وأثناء ذلك تم إجراء فحص دقيق بتقنية الرنين المغناطيس لرسم النشاط الحاصل

في أدمغتهم . وقد وجد المراقبون أنه تم رسم صور متعددة لحيوانات وطعام وبشر ومناظر مختلفة في المرحلة الثانية . تم مقارنة تلك الصور مع ١٢٠ صورة تم تحليلها لمعرفة وتحديد الصور التي تأملها كل منهما .

إن هذه التجارب الرائدة في مجال عمل الدماغ البشري . تمهد الطريق لفك طلاسم المخ البشري الذي يعتبر أحد أهم أسرار الطبيعة التي خلقها الله و أتقن صنعه .



قريباً كهرياء من حرارة جسمك

أعلن فريق من الباحثين الألمان في معهد فراونهوف للدوائر المتكاملة بمدينة إرلانجن . عن تمكنهم من تطوير تقنية خاصة للإنتاج التيارات الكهربائية بالاعتماد على حرارة جسم الإنسان . التقنية الجديدة تستفيد من الفارق بين درجة حرارة الجسم ودرجة حرارة البيئة المحيطة به . حيث يتولد تيار كهربائي بسيط يمكن الاستفادة منه في تشغيل بعض الأجهزة الكهربائية البسيطة . كالساعات الرقمية وبعض الأجهزة الطبية في غرف الإنعاش في المستشفيات .

وتتكون محولات الطاقة الجديدة والتي تسمى محولات الكهرياء الحرارية من اسطوانة صغيرة بمساحة تبلغ ٤ سم مربعة . حيث تمتص الحرارة من الجسم . كراحة اليد مثلاً . والطرف الآخر من الأسطوانة يكون معرضاً لدرجة حرارة البيئة المحيطة . هذه الأسطوانة والمصنوعة من مواد متطورة (شبه موصلة) تعمل ضمن ظروف التباين في درجات الحرارة على توليد جهد كهربائي بين طرفيها . وبالرغم

من المشاكل التقنية التي واجهت الباحثين والمتمثلة في ضرورة أن يكون في الفارق في درجة الحرارة على الأقل عشر درجات مئوية إلى أن الأبحاث المتواصلة وتطوير مواد شبه موصلة جديدة . أدت إلى تقليل هذا الفارق في الحرارة اللازمة لتوليد التيار الكهربائي إلى أقل من درجة واحدة والتي يأملون أن يتم تقليلها مستقبلاً إلى ٠.٥ درجة .



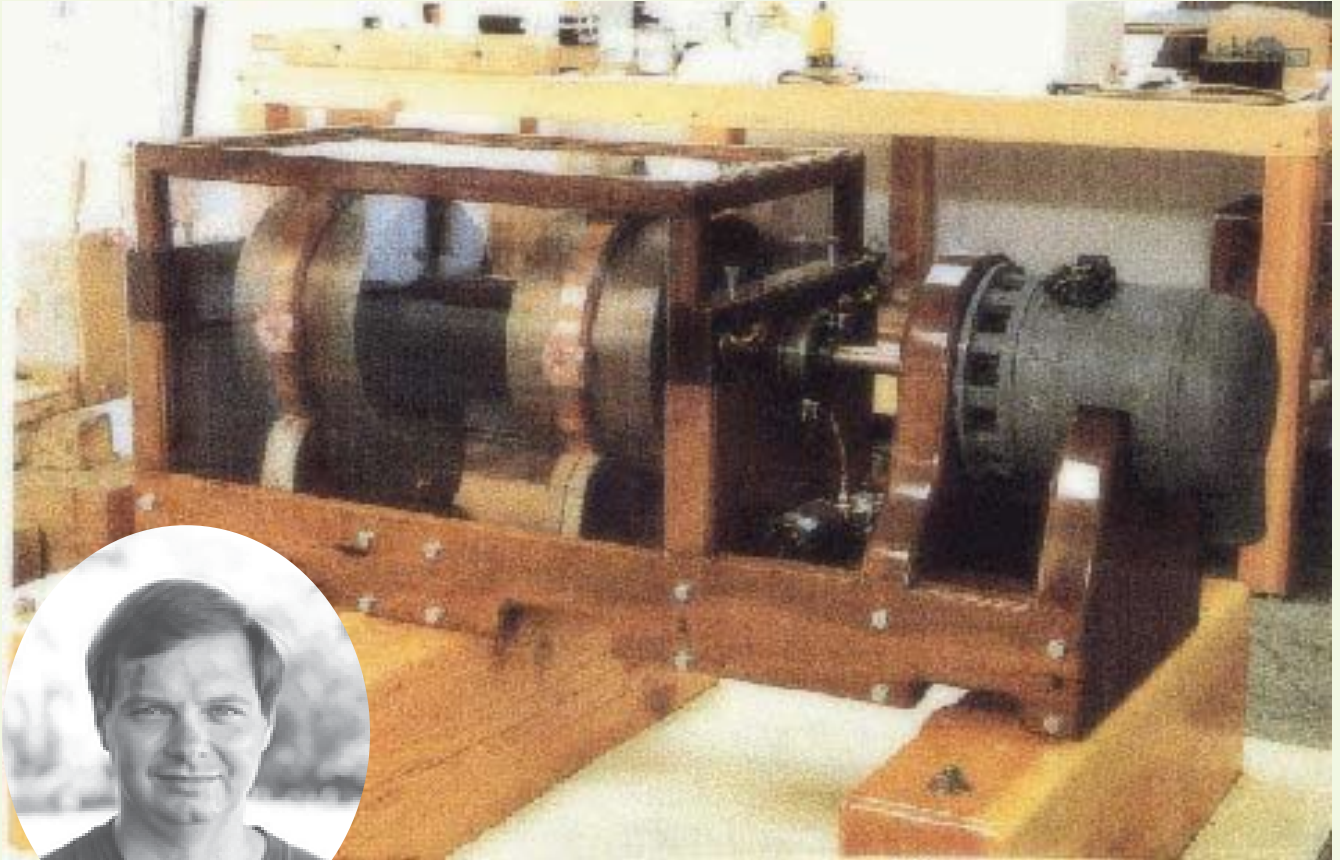
مصدر لا يخضب للطاقة

مجاني ومستقل وغير ملوث للبيئة

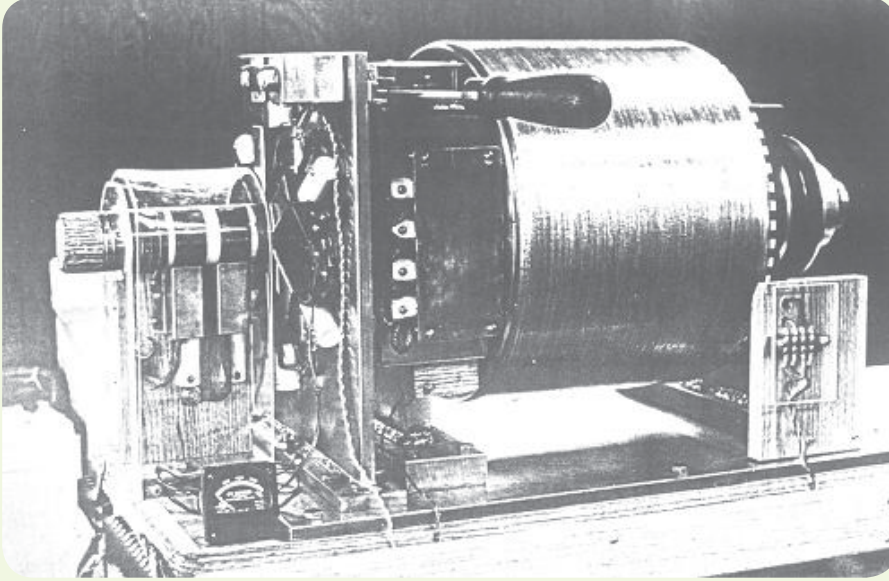
بقلم ريتشارد والتر

اخترع الفيزيائي بروس دي بالما مولد للطاقة بقوة ١٠٠ كيلو وات وهو الآن موجود في مرآب منزله هذا المولد يستطيع تزويد كل بيته بالطاقة الكهربائية ولكن الحكومة الأمريكية قد تصدر هذا المولد في حال قيام دي بالما بتشغيله .

السيد دي بالما هو أحد خريجي جامعة هافارد وقد علم الفيزياء في معهد ماساتشوستس للتقنيات لمدة ١٥ عاماً يدعي السيد دي بالما بأن مولده الكهربائي يمكنه أن يكون مصدراً رخيصاً للطاقة وغير قابل للنضوب مستقل وغير ملوث للبيئة ويعمل هذا المولد وفقاً لقواعد مناقضة للفيزياء التقليدية لكنها ما تزال غير مفهومة تماماً يقال أن آتته المسماة N تستطيع أن تحرر (الطاقة الحرة) الموجودة بشكل مستتر في الفضاء من حولنا دي بالما يقدم آتته على أساس أنها ابتكار يستطيع المساعدة في إنهاء اعتماد العالم على مصادر النفط وغيرها من مصادر الطاقة الأحفورية التي ستنفذ قريباً .



بساطة كبيرة



مولد دي بالما هو عبارة عن جيسركوب مغناطيسي بسيط بعبارة أخرى هو اسطوانة ناقلة للكهرباء وومغنطة تدور بسرعة عالية بواسطة محرك (والجيسركوب يستخدم عادة في المحركات حيث يكون عبارة عن دولاب ثقيل يدور بشكل دائم فإذا تعرضت الآلة

لجهد غير طبيعي في عملها فيبقى هذا الدولاب يدور وهذا ما يساعد الآلة على تجاوز الجهود العالية) .

ويدعي دي بالما أن آله المسماة N تستطيع أن تولد من الطاقة خمسة أضعاف ما تستهلكه وإن في هذا بالطبع خد للمبدأ الأساسي القائل مصونية الطاقة حيث ينص هذا المبدأ بأن الطاقة لا تبنى ولا تخلق من العدم . معظم الفيزيائيين يرفضون ببساطة مجرد النظر إلى اكتشافات دي بالما و لا يلقون بالآلة إليها ومع ذلك فقد تم بجلاء التوصل

لبرهنة المبدأ الذي يقوم عليه اختراع دي بالما في سنة ١٩٧٨ عندما تم في مدينة سانت باربرا بولاية كاليفورنيا بناء آلة كبيرة ماثلة للآلة N وسميت هذه الآلة

بـ (سن برست) . تم فحص الآلة المدعوة سن برست machine

sunburst بشكل مستقل من قبل الدكتور روبرت كينشيلو البروفيسور في الهندسة الكهربائية وخريج جامعة ستانفورد في تقريره لسنة ١٩٨٦ المقدم إلى جمعية الاكتشافات العلمية الموجود في سان فرانسيسكو بتاريخ ١٩٨٦/٦/٢١ لاحظ كينشيلو بأن مقاومة دوران الجيسركوب المغنط هي فقط ما بين ١٣ - ٢٠ ٪ من المقاومة الموجودة في محرك تقليدي يعمل في ظروف مثالية ورأى أيضاً أن آلة دي بالما المدعوة N تستطيع إنتاج طاقة كهربائية بما يقارب ٥٠٠ ٪ من الكفاءة .

وفي الخلاصة المتشككة التي أعدها كينشيلويقول : قد يكون دي بالما محققاً فعلاً بأن هناك وضع يمكن وفقاً له إنتاج الطاقة من مصدر مجهول وغير قابل للتفسير وهذا استنتاج يرفضه معظم العلماء والمهندسين ويعتبرونه لا يستحق النقاش كما أنه يمثل مخالفة للقوانين الفيزيائية المقبولة ولو صح فإنه سيكون إنجاز مذهش يقول الفيزيائي هارولد باث هوف وهو أستاذ خريج من معهد الدراسات العليا في اوستن بتكساس إن المدققين في الآلة N بقوا صامتين حيالها ويضيف إنه ليس من الواضح إذا كانت الزيادة في الطاقة تأتي من خارج الحقل الكهرومغناطيسي أو هي نتيجة لبعض الخصائص الشاذة المرتبطة بالأجسام الدوارة ووفقاً لمبدأ القصور الذاتي inertia .

إن آلة دي بالما تحتاج لصنع نسخة ثانية عنها بقياس أكبر لمعرفة هل هي تعمل فعلاً وعلى الرغم من شكوكي فإنني أشجع بالتأكيد إجراء اختبار من قبل مختبر مستقبل ورغم أن ظاهرة كهذه كانت ستبدو مخالفة لقوانين الطاقة التقليدية في السنوات الماضية إلا أننا ندرك حالياً بأن إمكانية انتزاع الطاقة مما يسمى الفضاء الفارغ هو حقيقة وواقع .

ليس فضاء فارغ تماماً

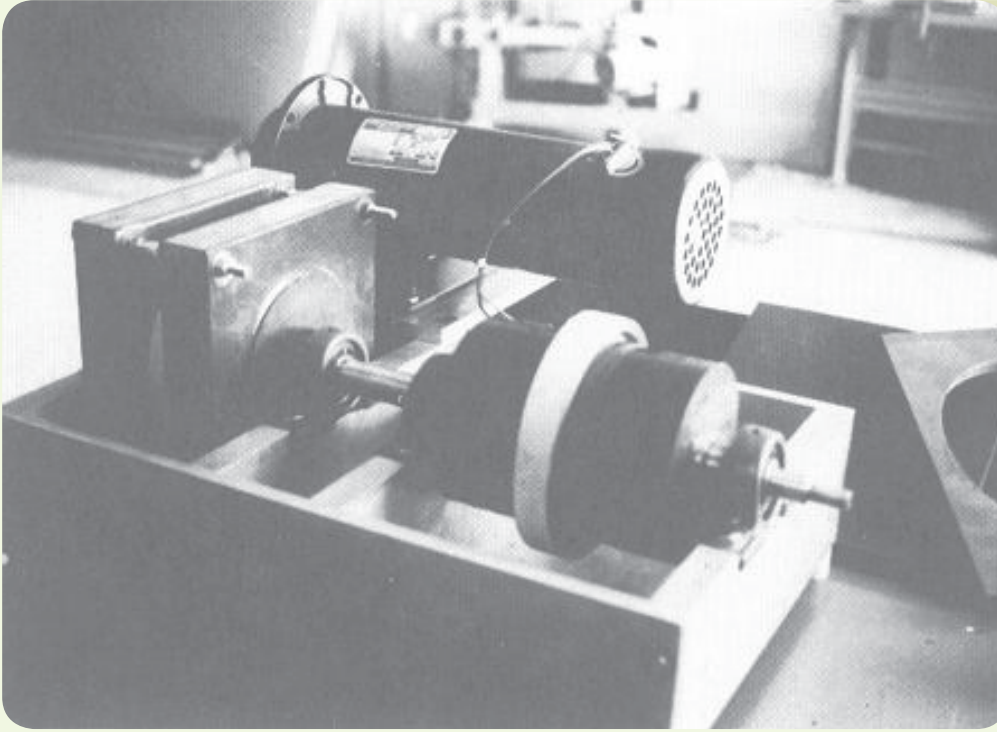
يرى الدكتور باث هوف الذي يدرس في جامعة ستانفورد بأن مصدراً جديداً للطاقة غير ملوث للبيئة قد يكون تم التوصل إليه من خلال تنظيم قوة الاضطرابات العشوائية للجزيئات الذرية المتصادمة ضمن الفراغ حالياً يعرف العلماء بأن الفضاء الفارغ يتهيج وفقاً لما يسمى ارتجاج الفراغ حيث يتفجر قدر كبير من الطاقة فجأة وهذا ما يجعل الجزيئات تهتز جيئةً وذهاباً لقد طور باث هوف نظرية خاصة به وأطلق عليها تسمية طاقة النقطة صفر zero - point energy وذلك في محاولة منه لجمع القوة الوافرة والموجودة في فراغ (الفضاء) قد يقوم باث هوف بالتعاون مع شركة جديدة تدعى جوبيتر للتكنولوجيا بمحاولة تصنيع آلات تعمل على مبدأ طاقة النقطة صفر .

لقد وصف دي بالما آله N ووضع المعالم الأساسية لنظرية تشرح كيف تعمل الآلة وأدرج كل ذلك في مقالة أسماها (إمكانية استنباط الطاقة الكهربائية مباشرة من الفضاء)

وقد نشرت هذه المقالة في مجلة علمية بريطانية تدعى تأملات في العلوم والتكنولوجيا في أيلول عام ١٩٩٠ الجزء الثالث عشر / رقم ٤ .

مع ذلك فإن المؤسسات العلمية إما تجاهلت ادعاءات دي بالما المثيرة للجدل أو بقيت ساهية عنها .

نموذج أولي



تم التدقيق في مولد فاراداي وحيد القطب وهي التسمية التي أطلقت على بدعته المعروفة منذ ١٥٠ عام من قبل بضع من المخترعين الطموحين كأساس لاستثارة الطاقة الحرة والكامنة في الفضاء ينظر هؤلاء المخترعين إلى النموذج الأولي للمولد على أنه قادر على توليد الطاقة الحركية الخاصة به إضافة إلى مقدار آخر من الطاقة للادخار .

فكرة تحت الاختبار

رغم مرور ١٥٠ عاماً على تجربة فاراداي المثيرة للجدل فإن أحداً لم يكلف نفسه عناء التجريب فيما إذا كان المولد الذي يستخدم طريقة المغناطيس الدوار سوف يحتاج لنفس المقدار من الجهد كما المولد المستحث التقليدي حتى يستطيع توليد نفس المقدار من الطاقة ولكن في عام ١٩٧٨ تم تصنيع المولد (سن برست) الوحيد القطب والمذكور فيما سبق .

وقد أكدت الاختبارات أن الطاقة الخارجة من المولد تتجاوز بكثير الطاقة الداخلة إليه كي يبدأ بالعمل وأن كفاءته اكبر بكثير من المولد التقليدي وتختلف الآراء حول الطريقة التي تقوم فيها الآلة N بتوليد الطاقة .

لم يحصل تي واري في العام ١٩٧٧ سوى على اهتمام بسيط عندما نشر نظريته التي تقول بأن الفضاء مليء بمادة ميكانيكية وأن دورانها حول نفسها هو مصدر كل الطاقة والمادة .

يسلم المهندس والمكتشف الهندي في نظريته الفضاء الدوار والتي تم تطويرها في كتابه ما وراء المادة المنشور عام ١٩٨٤ بأن هناك فجوة موجودة في مركز الإلكترون تستطيع هذه الفجوة

تم الاهتمام بمحرك فاراداي الذي يعتمد مبدأ الحث الكهربائي والمكون من قطعتين وذلك على الرغم من المشاكل التي ظهرت فيه سواء لجهة الاحتكاك الميكانيكي أو الخسارة في الطاقة الكهربائية أما المحرك وحيد القطب الذي اخترعه فاراداي فقد تم إهماله وفقاً للمؤيدين لظاهرة الطاقة الحرة .

تتبع دي بالما خطى فاراداي معتبراً أن الطاقة الحرة يمكن استخراجها من الرحم الرقمي للفضاء ببساطة عن طريق جيروسكوب مغنت . يشرح دي بالما ذلك فيقول أرى أن دوران جسم الجيرسكوب المغنت والذي يتحرك عبر حقله المغناطيسي سيؤدي لتوليد جهد كهربائي بين المحور في الوسط والحافة الخارجية للجيرسكوب المغنت الدوار .

إن هذا التفكير العبقري أدى إلى إيجاد الآلة N وهي بشكل عام عبارة عن جيروسكوب مغنت مكون من قطعة واحدة تدور حول نفسها وبدلاً من استخدام قطعتين واحدة دائرة وأخرى متحركة وفقاً للمولدات التقليدية فإن الآلة N لديها فقط قطعة دائرة إن نصف الجيرسكوب هو القطب الشمالي والنصف الآخر هو القطب الجنوبي وإذا وصلنا ما بين محور الجيرسكوب في الوسط والحافة الخارجية له فستولد الكهرباء بسرعة من المغناطيس نفسه .

قبل الوكالات الحكومية والأكاديميات والاستثمارات الصناعية الكبرى .

يحلم كيلي بأن الطاقة الحرة ستلاقي القبول ويتم تطبيقها في النهاية من قبل الحركات الشعبية التي تعمل وفق مبدأ (يمكنك القيام بذلك بنفسك) والتي تشتغل في جميع أنحاء الولايات المتحدة تقوم حالياً جمعية الطاقة الفضائية في الولايات المتحدة بإرسال نشرة فصلية ممتعة لأعضائها (عنوان الجمعية : Energy Association/U. S . P O . Box : ١١٤٢٢ , Clearwater , FL Space ٣٤١١٦ رقم الهاتف : ٨١٣ - ٤٤١ - ٣٩٢٣ . رسم العضوية ٣٥ دولاراً في السنة) .

تقييم الآلة N اقتصادياً

إن شركة دي بالما للطاقة لم تقم ببيع آلة واحدة حتى الآن وتتقاضى الشركة حوالي نصف مليون دولار لتصنيع الآلة بشكل يدوي يدعي بروس دي بالما بأنه في حال تصنيع الآلة بأعداد كبيرة فإن تكلفة آله سوف تنخفض إلى ٤٠٠ - ٥٠٠ دولار أمريكي وهو ينوه بأن مولد تيار متناوب باستطاعة ١٠٠ كيلو وات يكلف ما يربو على ١٠٠٠٠٠ دولار أمريكي ويضيف فيقول أن الآلة N تولد نفس المقدار من الطاقة باستخدام ثلث أو نصف التكلفة وفقاً لعمليات الإنتاج العادية إن هدفه هو أن يجري اتفاقات للمشاركة بهذه التقنيات مع زبائن يرغبون بإنتاج آله .

بعد إلقاء نظرة شاملة على وحدات إنتاج الطاقة الكهرومغناطيسية الحرة المتنوعة والمتوفرة على أرض الواقع يستنتج دون كيلي بأن أغلب هذه الوحدات أوجدت من قبل فيزيائيين تطبيقيين مرتبكين وأن هناك نقصاً في الدعم التقني والمادي كما تعاني من مشكلة (علو التكلفة) وبجميع الأحوال فإن كيلي يختار الآلة N الخاصة بـ دي بالما (كأساس لمجموعة الطاقة الحرة) و (كأفضل وحدة طاقة حرة) قياساً على قدرتها بإنتاج الطاقة . اليوم وقد أعطى الآلة N معدلاً عالياً من حيث كونها بسيطة وغير معقدة نظراً لبساطة الآلة فهي تتكون من دوار مؤلف من قطعة واحدة وهو أفضل من المولدات التقليدية المؤلفة من قطعتين كما يقول كيلي .

عندما تدور بسرعة في الفراغ أن تنتج طاقة من الفضاء وتعتمد نظرية توري على الفرضية القائلة بأن الإلكترون مكون بطريقة معينة ومحددة وهو ليس فقط شحنة صغيرة متجانسة .

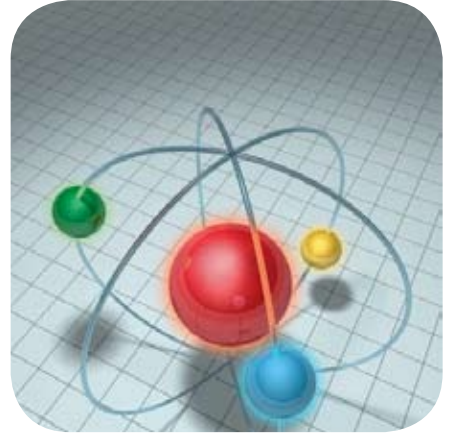
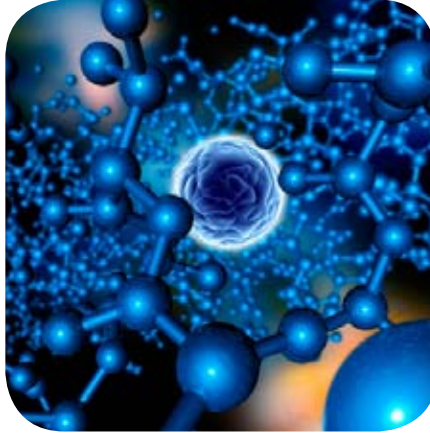
وبحسب تي واري فإن حركة الفجوات في الأسطوانة المغنطة الدوارة الموجودة ضمن مولد الطاقة الفضائي الخاص به تؤدي إلى تحرير طاقة حرة في خارج الفراغ الموجود بين محور الآلة والمغناطيس وهو يقر بأن هذا يمكن تصديقه وفقاً لمعايير القوانين الفيزيائية المعروفة ويقول تي واري أن أحد الأسباب الرئيسية لتطويره لهذه النظرية أنه تم تدريسه كي يكون مهندساً أكثر من أن يكون فيزيائياً خاصة وأن فكرته تتعارض بشكل أساسي مع الفيزياء التقليدية .

يعلق دي بالما على أفكار تي واري فيقول إن توضيحات تي واري محتملة تماماً وهو يحاول أن يضع إطاراً نظرياً لما يحدث بين الذرات وأن يحدد المكان الذي يتم إطلاق الطاقة منه .

إن الفيزياء التطبيقية غير ثابتة يقول دون كيلي رئيس جمعية الطاقة الفضائية التي تتألف من مجموعة من المهندسين والعلماء والمخترعين متخصصين في تطوير تقنية الطاقة الحرة إذا نظرنا إلى حال الطاقة الحرة اليوم فسنراها تشمل العديد من صنوف الأدوات المذهلة أولها الآلة N ثم مولدات البلازما الروسية ومحول النفايات الثنائي الوقود (الذي يجمع ما بين مكونات الطاقة الحرة وطرق المواد الصلبة) محركات المغنطة الدائمة مولدات هلبرد متعددة الأسطوانات والعديد من أنظمة الطاقة الهيدروجينية .

ومن بين المجموعة السابقة هناك الاختراع المدهش المسمى إنريكس أتش ٢٠ والذي اخترعه يوشيرو ناكوماتسو الملقب بأديسون اليابان إن هذا المخترع النشط الذي اخترع فيما سبق القرص المرن يدعي بأن وحدة إنريكس الغير ملوثة للبيئة تعمل على ماء الصنابير وتستطيع توليد طاقة أكثر بثلاث مرات من محرك البنزين التقليدي .

إن جهاز إنريكس أن أتش ٢٠ يمكنه فصل المكونات الأساسية الداخلة ويستطيع إنتاج الهيدروجين كوقود قابل للاستعمال يلاحظ كيلي بأن كل من ألمانيا وسويسرا واليابان وكوريا وهولندا لديها جمعيات أبحاث نشطة تبحث حول الطاقة الحرة وتقوم جمعية الطاقة الفضائية في الولايات المتحدة بتبادل المعلومات مع هذه الجمعيات وبرغم ذلك يشعر كيلي بأن هناك معارضة لتقنية الطاقة الحرة في الولايات المتحدة من



نظريات الذرة والأوتار الفائقة وأثرها في الدين

عزيز أبو خلف

تطورات الذرة

تساءل الإنسان منذ القدم عن تركيب الأشياء . فقد اعتبر البابليون أن الماء أساس كل شيء . وتنوعت نظرة فلاسفة اليونان التأملية إلى الأشياء . فقرر بعضهم أن الأشياء التي على الأرض تتألف من أربعة عناصر هي : الماء والهواء والتراب والنار . أما الأفلاك السماوية فتتألف من عنصر خامس هو الأثير . وأدت تأملات أخرى إلى أننا لو قسمنا الأشياء فسوف نصل في النهاية إلى شيء لا يمكن تقسيمه هو الذرة . وقد سماها اليونانيون : أتوموس . وتعني الجزء الذي لا ينقسم . ومنها أخذت كلمة أتوم بالإنجليزية .

أخذ علماء الكلام المسلمون بفكرة الذرة . وأسموها الجوهر الفرد . وعملوا على تطوير الفكرة لكن بشكل نظري . لم يكن له أثر

شهد العلم الحديث تطورات هائلة في أفكاره ، كان بعضها أشبه بالثورات العارمة ، وقد صاحب ذلك اختراعات واكتشافات لا تقل أهمية عن النظريات التي أسست لها أو انبثقت عنها . وأكثر ما يشغل العلم ولا يزال تركيب الكون والقوانين التي تحكمه ، حيث انطلق من تأملات الأقدمين مروراً بقوانين الحركة والنظرية الذرية وأجزاء الذرة والنسبية والكوانتا وميكانيكا الكم والحقول ، وأخيراً ، وربما آخراً ! ، نظرية الأوتار الفائقة . وقلنا آخراً ولم نقل وليس آخراً ، لأن من أبداع هذه النظرية يرى أنها تفسر كل شيء ، أي هي بمثابة النظرية الأم .



يذكر في تطور العلوم لأنه يركز على دراسة العقائد الغيبية . ونشأ علم الخيمياء حيث كان يركز الخيميائيون على تحويل المعادن الرخيصة كالحديد إلى ثمينة كالذهب . وقد ركزوا جهودهم على الحصول على حجر الفلاسفة الذي يعمل على هذا التحويل . لكن جهودهم لم تثمر شيئاً . ظلت الأفكار القديمة سائدة إلى



القرن السابع عشر . حيث بدأت تظهر أفكار جديدة . وتعرّف العلماء على العناصر . كما توصلوا في القرن الثامن عشر إلى بعض قوانين المادة . ثم جاء دالتون في القرن التاسع عشر وصاغ نظريته حول تركيب المادة . حيث اعتبر أن الذرة لا تنقسم . لكنه فسر بنموذجه هذا قوانين حفظ المادة والنسب الثابتة . وتوصل بها إلى قانون النسب المتضاعفة .

بعد دالتون تطورت النظرية الذرية بظهور نموذج طومسون . الذي نظر إلى الذرة على أنها كرة من الإلكترونات والشحنات الموجبة . لأجل أن الذرة متعادلة . ثم جاء رذرفورد وقال : إن الذرة هي إلكترونات ونواة موجبة الشحنة

بعد ذلك اكتشفت النيوترونات وصارت الذرة عبارة عن إلكترونات ونواة تتكون من البروتونات والنيوترونات .

شهدت النظرية الذرية بعد ذلك قفزات هائلة بدخول علم الكوانتا إلى الساحة . فقدم بور نموذجاً جديداً لذرة الهيدروجين . التي تتكون من نواة محاطة بإلكترونات تتحرك في مستويات محددة ومختلفة من الطاقة . وتوسعت النظرية بدخول ميكانيكا الكم لتشمل ذرات العناصر غير الهيدروجين . حيث بين العلماء أن الإلكترونات تتوزع في مدارات مختلفة . وأن للمدار أرقاماً كمية مختلفة . لذلك يمكن تشكيل البناء الذري لأي عنصر بطريقة البناء الإلكتروني . وأن هذا التوزيع يؤثر في خواص الأشياء .

ما هي نظرية الأوتار الفائقة؟

نظرية الأوتار الفائقة superstring theory هي أفكار جديدة حول تركيب الكون من إبداع الفيزياء النظرية . تكمن ميزة هذه النظرية في أنها تأخذ في الحسبان كافة قوى الطبيعة : الجاذبية والكهرومغناطيسية والقوى النووية . فتوحيدها في نظرية واحدة . تسمى النظرية الأم . تصف هذه

النظرية التركيب الأولي للكون بمعادلات رياضية معقدة . وليست تنطلق من الكشف التجريبي المباشر للجسيمات الأولية . الأشياء بحسب هذه النظرية مكونة من أوتار متناهية في الصغر . لا سُمْك لها . هذه الأوتار تتذبذب فتصدر نغمات تتشكل منها الجسيمات الأكبر منها . كالبروتون والنيوترون والإلكترون . كل شيء بحسب نظرية الأوتار الفائقة هو نتاج نغمات وذبذبات لأوتار صغيرة جداً . فما نحن والأشياء من حولنا إلا نتاج الموسيقى .

الكون في تصور نظرية الأوتار الفائقة عالم من عشرة أبعاد . الأربعة التي نحس بها . وأخرى متكورة على نفسها . بحيث أن كل نقطة في الفضاء هي كرية صغيرة ذات أبعاد ستة قطرها حوالي طول بلانك . لا نحس بهذه الأبعاد الأخرى إلا في ظل كميات هائلة من الطاقة . تحتاج إلى مسرعات نووية بحجم المجرة . وقد توازي ما حدث في اللحظات الأولى من الانفجار العظيم . هذا يعني أن التحقق من هذه النظرية قد يكون بطرق غير مباشرة . نظراً لكمية الطاقة الهائلة المطلوبة للكشف عن الأبعاد المتكورة الخفية .

A stylized illustration of an atom. The nucleus is a large, textured red sphere on the left. Three red spheres representing electrons are positioned at different points along three intersecting black elliptical orbits. The background is white with a faint, light blue molecular structure composed of small spheres and connecting lines, suggesting a network or lattice.

الأوتار الفائقة تمارس الانقسام والاتحاد ، فالوتر الواحد يمكن أن ينقسم إلى وترين ، وعندما يس وتران بعضهما بعضاً يلتحمان فيتشكل وتر واحد. ومن التذبذب تتشكل الجسيمات المعروفة في الفيزياء ، فبمجرد رقص الوتر ينتج الإلكترون أو الكوارك وغيرها. يحمل طرف الوتر أرقاماً كوانتية تحدد خواص الجسيمات المرصودة فيزيائياً ، حيث تتضمن هذه الأرقام رقم الغزل والشحنة الكهربائية. انضمام الأوتار إلى بعضها يكافئ تبادل الأرقام الكوانتية فيما بينها .

الوتر دائم الرقص والطرب ، ويتذبذب في سلسلة من النغمات النمطية ، التي تتميز بأعداد كوانتية متنوعة مثل الكتلة والمغزل وغيرها . كل نمط يحمل مجموعة من الأرقام الكوانتية المطابقة لنوع محدد ومتميز من الجسيمات الأولية . النمط التذبذبي يشبه نغمة وتر الكمان ، بحيث يتطابق كل جسيم أولي مع نغمة من هذه النغمات . فالوتر يرقص أو يهتز أو يتذبذب فيصدر نغمة معينة . تظهر هذه النغمة في صورة جسيم معين ، وتظهر نغمة أخرى في صورة جسيم آخر وهكذا . فجسيمات المادة وجسيمات القوة مظاهر لشيء واحد : موسيقى الوتر الفائق ، وذبذبة الوتر الفائق . فالإلكترون له شكل اهتزازي معين ، والكوارك له شكل اهتزازي آخر ، والحرافيتون له شكل اهتزازي آخر . وهكذا .

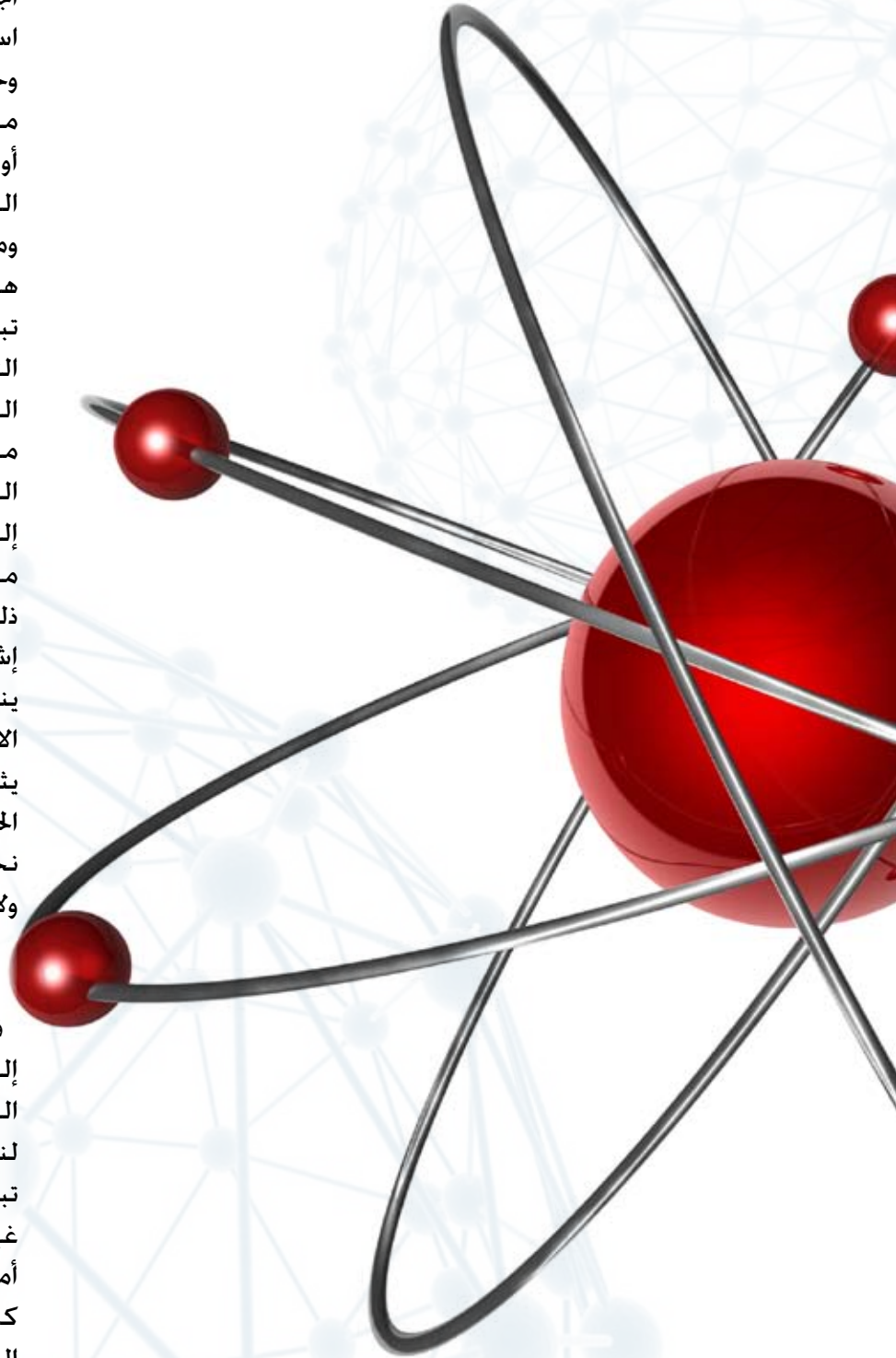
الدين

من المفروض أن الدين الحق لا يتأثر بالنظريات العلمية وتطورها فلا بد أن تكون معه عدته الذاتية التي تثبت وجوده مستقلاً عن أي تطور علمي. لكن الذي حصل هو أن تياراً فكرياً ظهر في المسلمين يُعرف بعلم الكلام، هدفه الدفاع عن عقائد الدين بطريقة عقلية تأملية. وقد بنى هذا العلم نظرية الذرة التي قال بها فلاسفة اليونان، وصارت تعرف بنظرية الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ، وهذا هو المعنى المقابل لها في لغة اليونان.

لكن هذه الذرة الكلامية ، أو الجوهر الفرد ، أو الجزء الذي لا يتجزأ ، لا نكاد نجد له مقابلاً فيما استجد من أبحاث علمية تجريبية معاصرة وحتى بقايا المتكلمين المعاصرين يرفضون مطابقته مع أي جسيم حديث كالألكترون أو الكوارك أو حتى الوتر الفائق . فما هو في النهاية إلا فكرة تأملية خيالية لا واقع لها ، ومع ذلك فقد بنوا عليها عقائد الدين .

هذا هو الذي أدى إلى تأخر المسلمين إذاً ، أي تبني نظريات تأملية لا أثر لها في التطور التقني ؛ لأنه لا وجود لها في الواقع . كما أن هذه النظريات لم تطور أساليب ووسائل للتحقق من وجودها . بدلاً من ذلك ظهر الإعجاز العلمي الذي ينسب كل الاكتشافات العلمية الحديثة إلى أنها موجودة في النصوص الدينية على مبدأ سبقناهم . وقد سبقهم المسيحيون إلى ذلك ، وزعموا أن نصوص الكتاب المقدس فيها إشارات بالغة إلى كل المكتشفات الحديثة . ينبغي على الدين الحق أن ينأى بنفسه عن الارتباط بالنظريات العلمية ، بل عليه أن يثبت ذاته بالتطبيق العملي، وذاك هو إعجازه الحقيقي .

نحن لا نشكك في إخلاص أهل الإعجاز العلمي ولا في نوايا علماء الكلام الذين اجتهدوا في الدفاع عن عقائد الدين ، لكننا نرفض ربط الإسلام بالنظريات العلمية وجعلها أساساً في عقائده ، بل وصل الأمر بعلم الكلام إلى جعلها أموراً مقدسة لا يتطرق إليها الشك . وهذا واقع فعلاً في تبني علم الكلام لنظرية الجوهر الفرد ذات الأصل اليوناني ، وفي تبنيه لحرفيات المنطق الأرسطي الذي لا يورث غير التخلف والتعالي عن ركب التقدم العلمي . أما أهل الإعجاز العلمي فإننا نطالبهم ، إذا كانوا على حق ، أن يأتوا بالجديد في الوسط العلمي بالكشف عن الحقائق العلمية ، وباقتراح النظريات العلمية مستنديين إلى النصوص . بدلاً من الانتظار على أبواب العلم التجريبي ، حتى إذا ما رموا بفكرة أو نظرية قلنا : سبقناكم !



صحة

قطع المسلم نومه لأداء صلاة الفجر يقيه من أمراض القلب

أكد خبراء، في جمعية أطباء القلب في الأردن، أن أداء صلاة الفجر في موعدها المحدد يومياً، خير وسيلة للوقاية والعلاج من أمراض القلب وتصلب الشرايين، بما في ذلك احتشاء عضلة القلب المسببة للجلطة القلبية وتصلب الشرايين المسببة للسكتة الدماغية.

جاء ذلك التأكيد، ضمن نتائج أحدث دراسة علمية حول أمراض القلب وتصلب الشرايين التي أجرتها جمعية أطباء القلب في الأردن . وأكدت الأبحاث العلمية والطبية أن مرض احتشاء القلب، وهو من أخطر الأمراض، ومرض تصلب الشرايين وانسداد الشريان التاجي، سببها الرئيسي هو النوم الطويل لعدة ساعات سواء في النهار أو الليل .

وأظهرت نتائج الدراسة أن الإنسان إذا نام طويلاً قلت نبضات قلبه إلى درجة قليلة جداً لا تتجاوز ٥٠ نبضة في الدقيقة. وبينما تقل نبضات القلب يجري الدم في الأوعية والشرايين والأوردة ببطء شديد، الأمر الذي يؤدي إلى ترسب الأملاح والدهنيات على جدران الأوردة والشرايين، وبخاصة الشريان التاجي وانسدادها . ونتيجة لذلك يصاب الإنسان بتصلب

الشرايين أو انسدادها، حيث يؤدي ذلك إلى ضعف عضلة القلب وانسداد الشرايين والأوردة الناقلة للدم، من القلب وإليه، حيث تحدث الجلطة القلبية أو انسداد الشرايين الناقلة للدم من الدماغ وإليه مما يسبب السكتة الدماغية المميتة في أغلب الأحيان .

وشددت نتائج الدراسة على ضرورة الامتناع عن النوم لفترات طويلة بحيث لا تزيد فترة النوم على أربع ساعات، حيث يجب النهوض من النوم وأداء جهد حركي لمدة ١٥ دقيقة على الأقل، وهو الأمر الذي يوفره أداء صلاة الفجر بصورة يومية في الساعات الأولى من فجر كل يوم .

لكل مريض فاكهة لمعالجة سوء الهضم :- أفضل فاكهة هي الأناناس كذلك البابايا التي تتميز بحلاوة الطعم . فيحتوي الأناناس على

البروملين ويحتوي البابايا على البابين وكلاهما يساعد على هضم البروتينات . ويمكن تناول هذه الفاكهة كل نوع بمفرده بعد وجبة غنية . ويمكن عمل عصير كثيف من شريحتين من الأناناس مع لب نصف ثمرة بابايا مع لب تفاحة واحدة علماً أن الإحساس بالانتفاخ والتجشؤ من علامات سوء الهضم .





الحاسة السادسة حقيقة وليست وهم

قال تقرير نشر الجمعة في مجلة «ساينس» إن الحاسة السادسة لدى الانسان الخاصة بالاحساس بالخطر التي رفضها بعض العلماء على اعتبار أنها خرافة توجد فعلياً في جزء من المخ يتعامل أيضاً مع حل الصراعات . وقال الباحث جوشوا براون من جامعة واشنطن في سانت لويس بولاية ميسوري في مقابلة إن منطقة المخ المعروفة بالقشرة الداخلية الطوقية تطلق بالفعل الانذار بشأن الأخطار التي لا تستطيع النفاذ إلى المخ الواعي . وتقع القشرة الداخلية الطوقية قرب قمة الفصوص الأمامية وإلى جانب الفواصل التي تفصل بين قسمي المخ الأيسر والأيمن . واستخدم براون برنامج كمبيوتر يحتاج شباب أصحاء للرد على نشاط على جهاز متابعة وقياس نشاط أمخاخمهم على فترات كل ٢,٥ ثانية بجهاز أشعة الرنين المغناطيسي . وقال براون إن النتائج أظهرت أن أمخاخمنا تلتقط إشارات التحذيرات بشكل أفضل مما كان يعتقد في الماضي .

الزيتون يخفض الكوليسترول ويحمي القلب

ذكرت دراسة طبية أن الزيتون الذي يتصدر إلى معظم موائد الشعوب الشرق أوسطية يخفض كوليسترول الدم ويحمي القلب بسبب احتوائه على مواد مضادة للأكسدة .

أضافت أن فوائد الزيتون وزيت الزيتون معروفة منذ قرون . مشيرة الى أن مشتقات هذه المادة الغذائية التي عرفها الإنسان منذ قرون طويلة تستخدم الآن في صناعة الأصباغ والكرات وحتى المشروبات .

إلى ذلك قالت الاختصاصية في التغذية بريجيت إيسبيت من مؤسسة التغذية البريطانية لصحيفة الدايلي مايل نعلم منذ وقت طويل أن زيت الزيتون مفيد للقلب . مضيفة أنه مصدر ممتاز ضد الأكسدة التي تهمي القلب .

أضافت أن الدراسة التي أجريت على الزيتون و زيت الزيتون أخيراً أظهرت أن بإمكانه حماية الإنسان من مرض السرطان .



فريق طبي أردني يتوصل لطريقة لعلاج إصابات الحبل الشوكي

قال أطباء أردنيون أنهم توصلوا إلى طريقة لتحسين حالة المصابين بالشلل النصفي الناجمة عن إصابة النخاع الشوكي .

ونقلت وكالة الأنباء الأردنية عن فريق طبي أردني عمل بدعم من مراكز بحثية في الجامعات والمستشفيات الخاصة الأردنية قوله إنه « تمكن من تطوير طريقة لتحسين حالة المصابين بالشلل النصفي الناجمة عن إصابة النخاع الشوكي جراء كسور شديدة في العمود الفقري » .

وقال مستشار جراحة العمود الفقري عضو الفريق الطبي الدكتور زياد الزعبي إن الطريقة الجديدة « ستسهم في معالجة المصابين من خلال الحصول على خلايا جذعية عالية النقاوة يمكن أن تتحول إلى خلايا عصبية تستطيع توصيل المؤثرات العصبية التي تعرضت للقطع بسبب ضعف الخلايا العصبية أو قطع الحبل الشوكي » .

وأضاف أنه تم « اختبار هذه الطريقة في كل من « بيت حيوانات التجارب » في جامعة العلوم والتكنولوجيا ومختبرات الجامعة الأردنية والمركز الوطني للسكري وعدد من المستشفيات الخاصة » وفقاً لوكالة «بترا» .



إذا كنت ممن يغمعون ساق

على ساق .. معلومة تهيك !

وضع الساق على الساق هو عادة متأصلة عند معظم النساء وبعض الرجال وإذا كنت تعاني من الدوالي فأول شيء ينبغي أن تتعلمه هو أن تنزل الساق عن الساق الأخرى . لماذا ؟

لأن وضع الساق على الساق على الساق يبطئ تدفق الدم إلى أعلى ويزيد ضغط الدم داخل العروق . ولا يهم إذا كان تقاطع الساقين عند مستوى الركبة أو الكاحل فكلاهما سيئ مع أن التقاطع عند الركبة يفرض ضغطاً أكبر على شبكة الأوعية والشرابين .

الإعجاز العلمي في غذاء

الرسول محمد ﷺ

بدأ الغرب بهذه الاتجاهات قبل العرب والمسلمين فبدأ العلماء الغربيون يهتمون بالطب الوقائي والعلاج بالغذاء.

وكان من الطبيعي أن يتوجه هؤلاء إلى ما ورد في القرآن والسنة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تدل البشرية إلى ما فيه الخير لهم في كل شيء حتى في طعامهم وشرابهم، واكتشف العلماء، من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، من الحقائق العلمية ما جعلهم يدرجونه تحت بند الإعجاز النبوي، فيما يتعلق بالغذاء من خلال نتائج البحث العلمي الحديث ومطابقتها لما ورد في بعض الأحاديث النبوية وكيفية الوقاية من الأمراض عبر نظام غذائي رباني سوي وسليم اختاره لسيد الأنام محمد ﷺ.

بدأ الطب الحديث خلال العقدين الأخيرين يعود بقوة إلى الجذور في العلاج، بعد الاعتماد شبه الكلي على وسائل العلاج الكيميائي الدوائي التي لم تثبت كفاءتها بالقدر المطلوب، فاتجه نظر الجميع إلى الطب النبوي والنصائح النبوية، في أسلوب الغذاء والعلاج من الأمراض، فصدرت كتب عديدة تهتم بالعلاج النبوي والتغذية النبوية مقتدين فيها بالنبي وقد

طبيعة غذاء الرسول ﷺ وكيفية الوقاية من الأمراض

كان النبي صلى الله عليه وسلم حينما يستيقظ من نومه وبعد فراغه من الصلاة وذكر الله عز وجل يتناول كوباً من الماء مذاباً فيه ملعقة من عسل النحل ويذيبها إذابة جيدة، لأنه ثبت علمياً أن الماء يكتسب خواص المادة المذابة فيه، بمعنى أن جزيئات الماء تترتب حسب جزيئات العسل.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عليكم بشارب العسل» وهذا إنما يدل على الفوائد العظيمة لشارب العسل أي الماء المذاب فيه العسل. فقد اكتشف الطب الحديث أن شراب العسل حينما يتناوله الإنسان ينبه الجهاز الهضمي للعمل بكفاءة عن طريق زيادة قدرة عمل الحركة الدورية للأمعاء، وبعدها يعمل العسل كمادة غذائية متكاملة بسبب احتوائه على السكريات الأحادية التي تُمتَّ مباشرة ولا يجري عليها هضم، وتتولد مركبات يسمونها أدونزين ثلاثي الفوسفات وهو ما يطلق عليه «وقود العضلات» وهذا ما جعل علماء التغذية يأخذون الماء ويكسبوه طاقة وهو ما يطلق عليه الآن في أوروبا اسم «العلاج بالماء» لأن الماء يكتسب صفات ما يضاف عليه من مواد ولذلك فإن الطب في أوروبا أكثر تقدماً حتى أعمارهم أطول لأنهم يتبعون في أساليب التغذية الخاصة بهم نهج الطب النبوي الذي ثبت أنه أصلح وسيلة لجسم حي وسليم.

وما زال الطب الحديث حتى الآن يبحث في أسرار الغذاء الذي كان يتناوله النبي وكيف أن هذا الغذاء لم يكن جزافاً بل له أسس وقواعد علمية ما زال الطب الحديث يستكشف ويبحث في أسرارها حتى الآن. وهذا من أسرار الإعجاز الإلهي التي اصطفى بها النبي صلى الله عليه وسلم في يومه.



الإشطار الرسول ﷺ

وسلم وقد بحث العلماء في جامعة الملك عبد العزيز وجامعة القاهرة وتوصلوا لنفس النتائج. من أن العمال الذين يعملون بالمناجم وبالرصاص وبالمواد السامة، أي الأكثر عرضة للسموم، عندما يتناولون سبع تمرات يومياً يتوقف تأثير المواد السامة تماماً، وهذا ما نشره العالم اليهودي اندريا ويل «الذي أعلن إسلامه بعد ذلك» في بحثه تحت عنوان «سبع تمرات كافية» الذي أثبت فيه أن سبع تمرات تعد علاجاً للتسمم ونصح جميع العاملين المعرضين للتسمم بتناولها يومياً .

وهذا ما يثبته حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الترمذي في سننه من أن « التمر من الجنة وفيه شفاء من السم » والدليل من القرآن يساقط عليك رطباً جنياً .. وهذا ما أيده العالم اندريا ويل في كتابه «الصحة المثلى» واستشهد فيه بأحاديث النبي عن التمر وفوائده العظيمة للصحة وللإنسان وكيفية الوقاية من الأمراض .



بتضييق هذا الاتساع ويحافظ على المسافات بين الخلايا. وهنا تتجلى قدرة الله عز وجل في انتقائه لغذاء نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكان النبي يغمس كسرة الخبز بالخل وزيت الزيتون ويأكل .

وقد اكتشف العلم الحديث أن الخل الناتج من هضم المواد الكربوهيدراتية في الجسم هو مركب خلي اسمه «أسيتو أستيت» والدهون تتحول إلى أسيتو أستيت ويبقى المركب الوسطي للدهون والكربوهيدرات والبروتين هو الخل فعند تناول الخل وحدث أي نقص من هذه المواد يعطيك الخل تعويضاً لهذا النقص. وتبين بالعلم الحديث أن زيت الزيتون مع الخل يقومان كمركب بإذابة الدهون عالية الكثافة التي تترسب في الشرايين مسببة تصلبها. لذلك أطلق العلماء على الخل مع زيت الزيتون «بلدورز الشرايين» لأنه يقوم بتنظيف الشرايين من الدهون عالية الكثافة التي قد تؤدي إلى تصلب الشرايين .

وليس مهمة الخل فحسب القيام بإذابة الدهون، بل يقوم مع الزيتون كمركب بتحويل الدهون المذابة إلى دهون بسيطة يسهل دخولها في التمثيل الغذائي ليستفيد الجسم منها. ثم بعد أن يتناول النبي صلى الله عليه وسلم غداءه كان يتناول جزرة حمراء من التي كانت تنبت في شبه الجزيرة العربية، وقد أثبت العلم الحديث بالدليل والتجربة أن الجزر الأحمر يوجد به «أنتوكسيدات» وهي من الأشياء التي تثبط عمل مسببات السرطان. كما أثبت الطب الحديث أن الجزر يساعد على نمو الحامض النووي والعوامل الوراثية، وهذا من الإعجاز الإلهي، لذلك فإن الكثير من الأطباء ينصحون بتناول الجزر كمصدر لفيتامين أ ومصدر لتجدد العوامل الوراثية بالحامض النووي، كما أنه يؤخر ظهور الشيب .

بعدما يتناول النبي شراب العسل يتكئ قليلاً وبعد العبادة المهجورة التي كان يؤديها - صلوات الله وتسليمه عليه - وهي التفكير في طاعة الله وبعد صلاة الضحى - يتناول النبي سبع تمرات مغموسة في كوب لبن كما روي عنه وحده النبي الجرعة بسبع تمرات في حديثه الذي رواه أبو نعيم وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تصبّح بسبع تمرات لا يصيبه في هذا اليوم سم ولا سحر».

وقد ثبت بالدليل العلمي أن هناك إنزماً يرتفع أدائه في حالة التسمم، وعندما يتم تناول سبع تمرات لمدة شهر يومياً نلاحظ أن هذا الإنزيم قد بدأ في الهبوط والعودة لوضعه الطبيعي، وهذا من الإعجاز الإلهي الذي حُص به النبي صلى الله عليه

غذاء الرسول ﷺ

بعد تناول النبي صلى الله عليه وسلم لوجبة الإفطار التي ذكرناها سابقاً، يظل حتى يفرغ من صلاة العصر، ثم يأخذ ملء السقاية «تقريباً ملء ملعقة» من زيت الزيتون وعليها نقطنا خل مع كسرة خبز شعير، أي ما يعادل كف اليد .

وقد ذكرت بعض الآيات القرآنية بعض الفوائد لزيت الزيتون ، وقد أثبت العلم الحديث أن هناك أنواعاً عديدة من السرطان، مثل سرطان العظم «سرcoma»، استخدم زيت الزيتون لعلاجها وهي ما قال فيها الله عز وجل ... وصبغ للأكلين فكلمة صبغ للأكلين تعني، كما فسرهما ابن كثير والقرطبي وكل التفاسير، أنها تصبغ الجسم أي لها صفة الصبغة .

وقد أيد الطب الحديث في اكتشافاته أن زيت الزيتون يحتوي على أحماض دهنية وحيدة التشبع يعني غير مشبعة، ولذلك يقول العالم أندريا ويل: إنه وجد بالتجربة أن زيت الزيتون يذيب الدهون وهذا من قدرة الله، دهن يذيب الدهون، فهو يعالج الدهون مع أنه دهن لأنه يحتوي في تركيبه على «أوميغا ٣» بعدد كبير وأوميغا ٣ تعالج الدهون .

كما ثبت علمياً أن زيت الزيتون يحمي من أمراض تصلب الشرايين والزهايمر وهو مرض الخرف وضعف الذاكرة ويضع المخ، واستطاع العالم أندريا ويل أن يثبت كيف يقوم زيت الزيتون بالتدخل في الخلية المصابة بالسرطان ويعالجها ويؤثر فيها، ووصف كلمة صبغ للأكلين التي جاءت في القرآن على أنها الصبغيات «الكرموسومات» ووصف السرطان بأنه اتساع بين الخلايا الواحدة بعض الشيء، وثبت أن زيت الزيتون يقوم

حشاء النبي ﷺ

ومشربه وملبسه. كان قدوةً ومعلماً للبشرية. فقد أعجز بعلمه العلماء. وفاقت فصاحته البلغاء والأدباء. فكان إذا حدث صدق وما ينطق عن الهوى... ولو تأملنا جيداً أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الطعام لوجدنا أنه أخبرنا من آلاف السنين بما لم يستطع العلم الحديث اكتشافه. وقد قام عدد من العلماء الباحثين في هذا المجال بتأليف كتب عديدة تحمل أسرار الغذاء النبوي والوقاية من الأمراض عن طريق السنة. مثل « الطب النبوي » و (تأملات في حياة الرسول) .. وغيرهما من الكتب التي قامت بالتحليل والتفصيل لهذا الجانب من حياة سيد الأنام محمد .. وسيظل العلم الحديث يستكشف في هذه الأسرار النبوية إلى أن تقوم الساعة .

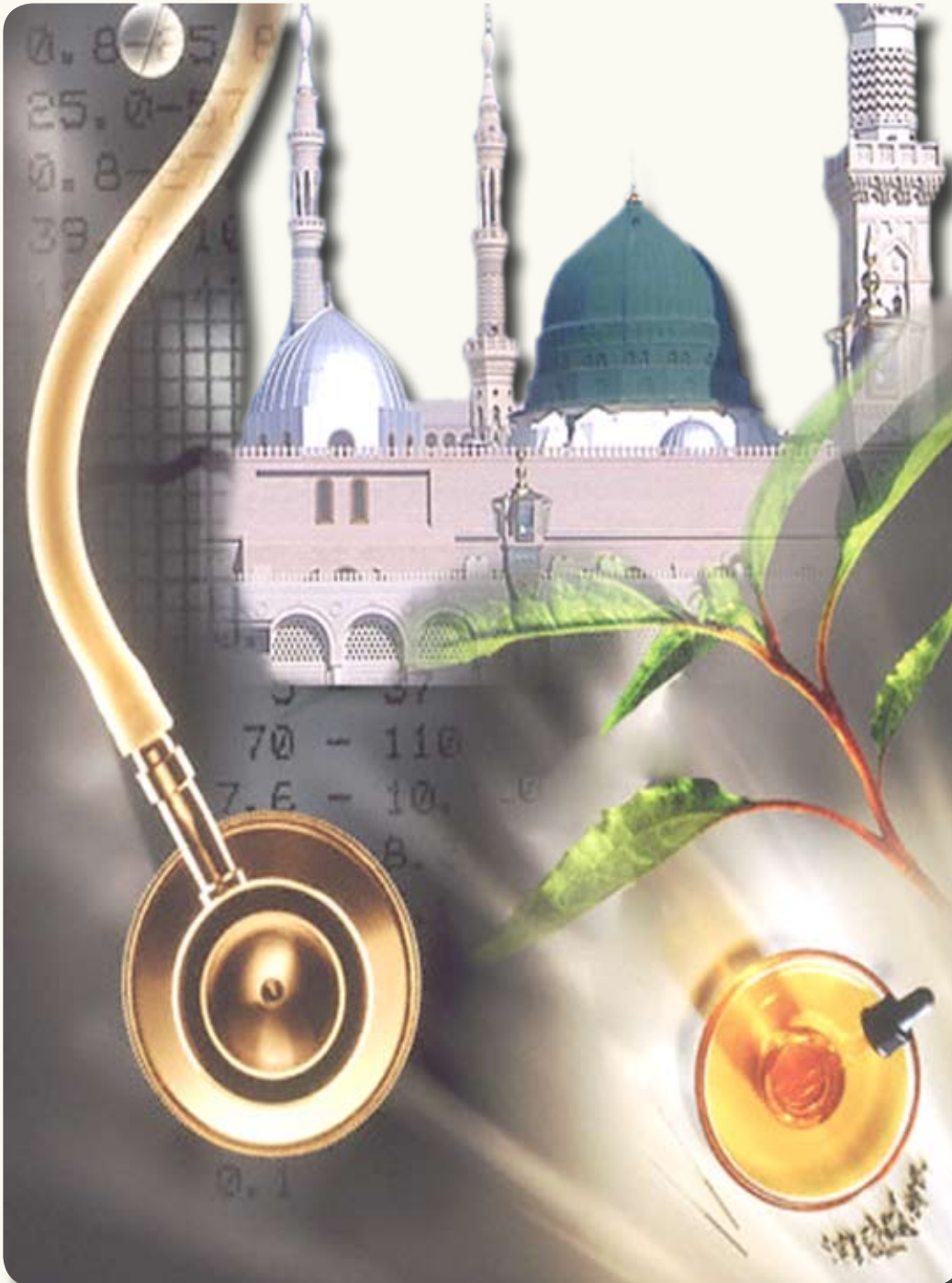
كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن ينتهي من صلاة العشاء والنوافل والوتر وقبل أن يدخل في قيام الليل. كان يتناول وجبته الثالثة في اليوم وهي وجبة العشاء. وكانت تحتوي على اللبن الرائب مع كسرة من خبز الشعير .

وقد أثبت العلم الحديث أن تناول كوب من اللبن الرائب في العشاء يعمل على إذابة الفضلات المتبقية في المصراغ الغليظ. ويقوم بتحليلها إلى مركبات بسيطة يسهل الاستفادة منها ومن الفيتامينات الموجودة بها .

وقد جرت بعض الدراسات العلمية. قام بها عدد من خبراء التغذية في الغرب وأيضاً الدراسات التي أجريت في جامعة القاهرة وجامعة الملك عبد العزيز. بينت فوائد اللبن الرائب عند تناوله ليلاً. فهو يجعل الترسيبات غير المرغوب فيها تتفتت ويستفيد منها الجسم. وهذا من الإعجاز في تناول النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الوجبة ليلاً كوجبة عشاء هامة وضرورية وسريعة الهضم. وتجعل الجهاز الهضمي يعمل بكفاءة. لذلك هناك عدد من الأطباء دائماً يصفون لمرضاهم اللبن الرائب ليلاً في وجبة العشاء لأنه مريح للقولون ولا يسبب تقلصات في المعدة. وأكدت هذه المعلومات الطبية الدراسة التي أجراها الدكتور عبد الباسط سيد محمد في كتابه «الاستشفاء بطعام النبي» الذي أوضح فيه أن معظم طعام النبي له جانبان من الفائدة. جانب القيمة الغذائية التي يمد بها الجسم وأثبتها العلم الحديث. وجانب الوقاية من الأمراض. وهذا إنما يدل على الإعجاز الإلهي في اختيار رب العالمين لطعام نبيه ومصطفاه سيد الخلق أجمعين .

وفي النهاية نقول...

انطلاقاً من قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...) فلو تأملنا جيداً سنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان خير قدوة لنا في ماكله



البيئة في

القرآن الكريم



د. إبراهيم أوزدي

تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم: ٤١) بقضايا البيئة، إذ من المعلوم أن أكثر ما يفسد التوازن في الطبيعة هو الاستهلاك الزائد والإسراف وهدر المصادر الطبيعية بشكل مفرغ.

النظرة القرآنية نحو البيئة

لقد غيّر القرآن على مدى ثلاثة وعشرين عاماً - وهي الفترة التي تنزل فيها - نظرة مخاطبيه نحو العالم، وشكل فكرياً كونياً جديداً أساسه التوحيد. فالطبيعة التي كانت بالنسبة للناس، تبدو كشيء مهمل بلا فائدة، قد عرفها القرآن من جديد بأنها آية من آيات الله، وبالتالي فإن أحد الشروط الواجبة للوصول إلى الإيمان الحقيقي هو التأمل والتفكير في الطبيعة كشاهد لنعمة الله على الإنسان.

إن أول أمر في القرآن هو «اقرأ». وليس المقصود من هذا الأمر قراءة نص مكتوب أو شيء محفوظ فحسب، بل هي قراءة من شتى النواحي؛ فالعالم الذي كان - حسب التصور الجاهلي - بلا روح ومعنى، اكتسب بهذه القراءة مفهوماً جديداً، وهو أنه يذكر الله ويسبحه. فكل الذرات التي في هذا الكون

مشكلة البيئة من أهم القضايا التي يواجهها الإنسان في العصر الحديث، فهذه المشكلة لا تهدد الإنسان فحسب، بل تهدد حق الأجيال القادمة في عيشهم ضمن مناخ صحي. وبصفتها تلك تظهر أمامنا كقضية عالمية. والإنسان المعاصر الذي شهد اكتشافات مذهلة في مجال العلم والتكنولوجيا لم يستطع التعامل مع الطبيعة بشكل متوازن.

ونعني بـ - البيئة - كل الظروف الطبيعية التي نعيش فيها مع الكائنات الأخرى. فكما أن منزل الإنسان وحديقته والهواء الذي يستنشقه والماء الذي يشربه والمدينة التي يعيش فيها والناس الذين يعيش معهم تشكل جزء من بيئته؛ فإن الغابات والجبال والأنهار والبحار التي يشترك فيها الناس هي الأخرى جزء من بيئته. ونعني بقضايا البيئة فساد المناخ في عالم الطبيعة الذي يحيط بنا، وانقراض أنواع الحيوانات، والاستهلاك الزائد، وتلوث الطبيعة، علاوة على التلوث الاجتماعي في البيئة كالفقر والجوع والهجرة والقهر والقمع والأطفال المشردين في الشوارع وإدمان المخدرات وغيرها من القضايا. وعندما يُنظر إلى أساس تلك المشاكل، يظهر أن غالبيتها العظمى ذات مصدر إنساني. ولهذا يربط كثير من المسلمين قوله

الذي هو أهم ضرورات الإنسان الحياتية منذ أن كان طيناً ، نعمة في حد ذاته ، كما أنه سبب ظهور كثير من النعم .

ج- البحار والمحيطات

إن الله تعالى يقول : « هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (النحل: ١٤) . وينبها الله إلى الفائدة التي تحققها البحار للإنسان : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ وَزَوَّجْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » (الإسراء: ٦٦) .

د- السحب والمطر

عندما طلب أهل مكة من الرسول صلى الله عليه وسلم المعجزات نزلت آية « إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » (البقرة: ١٦٤) . وهذا يعني أن أكبر معجزات الله وأدومها هي العالم الذي حولنا ويحيط بنا ، إذ يوجد فيه دلائل لا حصر لها على وجود الله ووحدانيته ومن ضمنها المطر ، قال تعالى : « وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نَخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (الأعراف: ٥٧) .

والقرآن عند الحديث عن المطر يوجه النظر إلى الكائنات بروية كلية ويصور العالم كأنه منزل : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (البقرة: ٢٢) . فالأرض التي هي جزء من هذا الكون تم تمهيدها للإنسان وأقيمت وفق نظام معين ، وتم تزويد الأرض بالماء لتنمو الكائنات الحية وتعيش .

هـ- الرعد والبرق

الرعد والبرق والصواعق -من منظور قرآني- مخلوقة لله ، تذكره وتسبحه ؛ فالقرآن الكريم قرنهما بالملانكة « وَيَسْبِغُ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ

الفسيح تتوجه إلى الله بمشاعر العبودية وتنزهه عن كل نقص كأنها قلب واحد مرصود لذكر الله . فالله تعالى يعرفنا بنفسه ، ويجعلنا نشعر بوجوده مع كل شيء في هذا العالم ، وكل ما في الوجود هو انعكاس لقدرته وعلمه وجلاله وجماله .

عناصر البينة في القرآن

أ - خلق الكون

أول برهان يربط القرآن بالكون هو حقيقة أنه خلق من عدم : « بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (الأنعام: ١٠١) ، إلا أن هذا الخلق لم يكن بالصدفة ، بل بعلم الخالق وقدرته وإرادته . ومفهوم الخلق هو أحد المفاهيم الأساسية في التصور الإسلامي .

وقوله تعالى : « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ » (الرحمن: ٥-٨) يشد الانتباه إلى التوازن الموجود في الطبيعة ، ويعلن أن الحفاظ على التوازن من القواعد الكونية التي يجب علينا مراعاتها .

وعندما يتحدث القرآن عن الكون يعلن أنه مسلم « أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » (آل عمران: ٨٣) . بمعنى أن كل الوجود أسلم لإرادة الله بشكل مطلق . فكل الوجود الذي نسميه الطبيعة ، كأنه جنود تسمع وتطيع ، وتنفذ واجباتها الفطرية ؛ أما المتوقع من المسلم ، فهو التسليم بإرادته الحرة للإرادة الإلهية في جو من التوافق والتناغم مع الكون .

ب- الماء كمصدر للحياة

يؤكد القرآن على أن الماء مصدر الحياة « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ » (الأنبياء: ٣٠) . والمطر ينزل من السماء بقياس وقدر معلوم ، يقول تعالى : « وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ » (المؤمنون: ١٨) ، والماء



البيئة في

القرآن الكريم



يُحْشَرُونَ ﴿الأنعام: ٣٨﴾. أي أن الحيوانات مثل الإنسان؛ خلقت في بادئ أمرها من تراب، وأخذت مظهر الحياة، وتم تحديد أرزاقها وأجالها، حسب تقدير معين، وهي تعيش مجتمعة مثلكم، وتتقارب أو تتباعد من بعضها البعض وفق قوانين حكمة ونظم خاصة في دائرة التقدير الإلهي، وهي في خصائصها المرئية والخفية تعد أمما أمثالكم.

والقرآن الكريم يريد من العرب وهم أول المخاطبين أن ينظروا بدقة وتفحص إلى الإبل التي عرفوها جيداً وهي جزء لا ينفصل عن حياتهم اليومية، فيقول: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية: ١٨). والمخاطبون بالقرآن الكريم كانوا يرون بكل تأكيد إبلهم، ولكن القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى أن ينظر إلى الطبيعة وكل ما تحويه بعين جديدة بإصرار وإطراد كإشارات على وجوده سبحانه وتعالى.

وحينما يوبخ الله تعالى الكافرين يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (يس: ٧١-٧٣).

والواقع أن الشيء الذي يريده المولى تعالى في مقابل إنعامه على الإنسان بتلك الحيوانات ما هو إلا شيء بسيط يستطيع أي إنسان أن يقوم به. وذلك بأن يذكره جل وعلا ويشكره ويقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا

مِنْ خَيْفَتِهِ﴾ (الرعد: ١٣). فهذا الرعد الذي يكون مع البرق ويُسمع بعده مدويًا في الفضاء كأنما ينزع القلوب من مكانها.. وهذا الانشقاق والصوت الرهيب المتجاوب من أفق إلى أفق آخر يسبح الله ويعظمه معلناً نعمته ورحمته وعظمته وكبريائه.

و- الجبال

إن الذي خلق الكائنات وخلق السماوات بغير عمد هو الذي خلق الجبال أيضاً وأرساها على الأرض لئلا يتضرر الإنسان ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا﴾ (الرعد: ٣). وأيضاً فالجبال كانت تسبح الله مع داود عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبا: ١٠). فكانه يصل أثناء التسبيح إلى درجة القرب إلى الله والبعد عن نفسه حتى أن كل الحجب التي بينه وبين الكون تزول، وتستكمل خواصه بخصائص الكون وتتحد تسبيحاته بتسبيحاته، ونتيجة هذا تردد الطيور والجبال تسبيحه.

ز- الأنعام:

وينبه القرآن الكريم إلى أن الحيوانات هي أجزاء هامة في المنظومة الكونية المتكاملة، وأنها أمر أمثالنا ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ

هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ (الزخرف: ١٢-١٣). وبلغت القرآن النظر إلى الخيل أيضاً فهي مخلوقات أصلية وهامة حيث يقسم بها المولى عز وجل : « وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا » (العواديات: ١-٥).

وفي سياق قصة سيدنا سليمان يشير إلى وجود تواصل بين النمل والإنسان وبين النمل وبعضه البعض؛ فإنه عليه السلام كان يتقدم بجيشه من الجن والإنس والطير، وكان النمل يتجه نحو واد به حشد كبير من النمل على رأسه نملة، فقالت بلغة مقبولة ومتداولة فيما بينها من خلال تواصل وتخاطر خاص : « يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » (النمل: ١٨). ففهم سيدنا سليمان ما قالتها النملة، وتيسر وشكر ربه على تلك النعمة التي أنعم بها عليه حيث علمه لغة الحيوانات. والقرآن الكريم قد ذكر في كثير من الآيات الطيور أيضاً؛ إنه يتعجب من أولئك الذين يطلبون من النبي إثبات وجود الله تعالى، فيتساءل : « أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ »، ثم يضيف : « مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ » (الملك: ١٩).

المخلوقات أمانة الله لدى الإنسان فأساس مفهوم الطبيعة الذي بينه القرآن، يعتمد على أن جميع الكائنات (الحية وغير الحية) بما فيها الإنسان مخلوقة لله سبحانه؛ فالإنسان والطبيعة بهذا المفهوم ليسا عنصرين منفصلين أو غريبين عن بعضهما البعض، بل هما أمة خلقت من قبل الخالق نفسه. ويجب على الإنسان أن يتعامل مع الطبيعة والمخلوقات التي فيها بالمسؤولية وعدم الإسراف.

وقد قام إسماعيل ر. فاروق بتلخيص جميل لمحاورة علاقة الإنسان بالطبيعة كالتالي :

- إن الطبيعة ليست ملكاً للإنسان، وإنما هي ملك لله تعالى .
- إن الطبيعة مسخرة للإنسان ويمكنه أن يتصرف فيها، ولكن من خلال قواعد واضحة .
- لا بد للإنسان أن يتصرف مع الطبيعة بصورة أخلاقية لدى استفادته منها واستخدامه لها .
- على الإنسان أن يبحث في العلوم الطبيعية والنظام العام لها ويحاول فهم القوانين الدقيقة الرائعة المودعة فيها .

والسبب في كل هذا هو أن « الأمانة » (خلافة الله في الأرض) عرضت على السماوات والأرض والجبال « فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » (الأحزاب: ٧٢). وإفساد التوازن البيئي جريمة تتناقض مع مفهوم خلافة تفسد وتدمر نظام الطبيعة، لأن الخليفة يعني الوكيل، والوكيل لا يجوز له أن يخون أمانة الموكل الذي قام بخلق نظام متكامل لهذا العالم وجعله يمثل هذا التناغم والتناسق . والذي يقوم بتخريب وإفساد هذا النظام والتناغم لا شك أنه وكيل سيء . فالإنسان له حق الاستفادة من الطبيعة، ولكن لا يعني ذلك استخدامها

بصورة غير لائقة . وعليه أن لا ينسى أنه -بمقتضى الأمانة التي يحملها- مسؤول عما يفعله وأنه سيحاسب يوماً ما على ما اقترفه تجاه غيره من كل المخلوقات « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (الزلزلة: ٧-٨). كما أن رسولنا الكريم قد نبه إلى ذلك بقوله : « لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » (رواه مسلم).

إسراف مصادر الطبيعة إثم ومن هذه الزاوية فإنه يتضح أن الله تعالى هو الذي قدر النعم كلها وأن الشكر عليها هي مسؤولية أخلاقية . والقرآن الكريم يلوم الذين لا يرون نعم الله كأي من آياته، ولا يتفكرون فيها أو لا يعتبرون بها، وفي النهاية يكفرون بنعم الله بدلا من أن يشكروها .

إن الإسراف ليس مجرد هدر للمصادر فحسب، بل هو في الوقت ذاته عدم احترام للخالق سبحانه والذي هو صاحب كل هذه النعم وخالقها . والإسراف لا يؤثر علينا فحسب، بل على الأجيال القادمة أيضاً. وقول الله تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » (القمر: ٤٩) ينبه إلى أن على الإنسان الحفاظ على هذا (قدر) وعدم الإخلال به .

فجميع الكائنات مخلوقة لله تعالى؛ فالله تعالى هو الذي زين السماوات بالشمس والقمر والنجوم، وزين الأرض بمختلف الأزهار والأشجار والحدائق وغيرها، وهو الذي يجري الماء على الأرض ويمسك السماء بغير عمد وينزل الغيث، وهو الذي أوجد النباتات والحيوانات أزواجاً وحقق لها التكاثر، وفوق كل ذلك هو الذي خلق بني الإنسان .

إن الطبيعة ملك للمولى عز وجل، ونحن أمناء وخلفاء لله على وجه الأرض، ولنا ما لئلين لها حتى نتصرف فيها بما نشاء وبدون ضوابط .. وكل شيء فيها هو آية على وجوده تعالى.

وعلى حين ينبهنا القرآن الكريم باستمرار إلى ذلك البعد الرباني للطبيعة فإنه يعود ويؤكد على أن الإنسان الذي هو خليفة ومسؤول عن كل أعماله الحسنة منها والسيئة سوف يحاسب يوم القيامة عن كل تصرفاته حيال هذه الأمانة.

إن يوم الدين لن يكون للحساب على العلاقة بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان والمجتمع وحسب؛ بل وعلى العلاقة بين الإنسان والطبيعة أيضاً . وخلاصة القول : إن المسلم الحقيقي يهتم بحماية البيئة وحباها وكل ما بها من أحياء، لأنها ملك الله؛ فهو الذي خلقها وهو الذي انتمنا عليها، إنه التزام واهتمام أخلاقي أكثر من كونه التزاماً قانونياً .

وأما الحيوانات الموجودة في هذا العالم فهي أمر مثلاً. وكل ما في هذا العالم يسبح لله بلسانه الخاص به، ويتحرك نحو تنفيذ أوامر الله تعالى .

وقوانين الطبيعة ما هي إلا تنفيذ لأوامر الله تعالى .

إن الإنسان بصفته خليفة الله له الحق في أن يستفيد من الطبيعة بشرط خضوعه لله تعالى، وطالما خضع لله، خضعت له المخلوقات .

روح الحضارة الإسلامية

أ.د. محمد عمارة

الدولة الإسلامية - وهي المدينة المنورة - قد فتحها المسلمون بالقرآن الكريم .

وبعد إجاز الصياغة الإسلامية - بالترية- للإنسان. جاءت كل الإجازات والفتوحات. في ميادين الحضارة وعلومها والثقافة وآدابها وفنونها. فكانت تجسيدا لهذا الذي سبق وتم إجازته في نفس الإنسان.. جاءت جميعها مصاغة بمعايير الإسلام. التي سبق وصاغت نفوس وعقول وقلوب الذين اهتموا بهدي الإسلام .

إن الدعوة الدينية في الإسلام لم تقف عند حدود تدين الإنسان. وتحقيق عبوديته لله بالشعائر المعبرة عن الإيمان القلبي. والمفصحة عن علاقته بالسماء.. وإنما امتدت هذه الدعوة لتحقيق انتلاف هذا الإنسان بالأمة والمجتمع والكون. فتوحدت في نفس هذا الإنسان عوالم الغيب والشهادة. واثلت فيها وتوازنت علاقات الفرد بالمجموع. والخاص بالعام؛ فتدينت الدنيا. مع بقائها دنيا. عندما صاغ الإسلام نفس الإنسان المسلم ووجدانه وعقله تلك الصياغة التي اثلثت فيها وتوازنت آيات الله في الوحي السماوي بأياته في الأنفس والأفاق .

إن دين الإسلام لا يقوم ولا يقام بالتبتل الفردي والخلاص الذاتي. وإنما لا بد لإقامته وتحقيق كامل فرائضه من أمة ووطن واجتماع ومجتمع. وفروض اجتماعية. يتوجه الخطاب فيها والتكليف بها للأمة. وهذه الفروض الاجتماعية أهم وأكد من الفروض الفردية. بدليل أن إثم التخلف عن الفريضة الفردية يقع على الفرد وحده. بينما إثم التخلف عن الفريضة الاجتماعية يقع على الأمة جمعاء .

لقد كانت الصناعة الثقيلة التي بدأت الدعوة الإسلامية فأقامتها. منذ المرحلة المكية. هي صناعة الصياغة الإسلامية للإنسان الذي تدين بدين الإسلام..

وكانت «دار الأرقم بن أبي الأرقم» في مرحلة سيرة الدعوة الإسلامية. أي منذ فجر تلك الدعوة هي أولى المؤسسات التربوية التي أقامها رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام.

وقبل فتح المسلمين للمدائن والأمصار والأقطار. وقبل إقامة الدولة. وتغيير الواقع وتطبيق القانون وبلورة العلاقات الدولية كان الفتح الإسلامي للقلوب والعقول بهدي القرآن الكريم. ذلك الذي أصبح خلق سلوك وممارسات. وسجية للحياة التي يحياها المسلمون. بل إن أولى المدن التي فتحها المسلمون قبل الهجرة النبوية وقبل



وفي دين الإسلام، اقترنت الهجرة في سبيل الله بتأسيس الدولة، وإقامة المجتمع، وتطبيق القانون، وإقامة نسيج اجتماعي بين الرعية يحقق المؤاخاة، لا في الحقوق الدينية المجردة فقط، وإنما في أمور المعاش الدنيوية أيضاً؛ بل لقد امتد هذا النسيج بمعايير المواطنة، وحق الاختلاف حتى في الدين، إلى حيث ضم هذا النسيج غير المسلمين مع المسلمين .

فالهجرة إلى الله ليست رهبانية، تخلص فيها وبها الذات، بمعزل عن الحياة والناس.. بل إن رهبانية الأمة الإسلامية هي الجهاد، الذي هو فريضة اجتماعية تستلزم وجود الأمة والوطن والاجتماع .

لقد أحدثت الدعوة الدينية الإسلامية أثراً تكوينياً تربوياً في شخصية الفرد المسلم، أصبح عاملاً نفسانياً، حقق ائتلاف العناصر الفردية في المجتمع الإسلامي، الطبيعي منها والشرعي، المدني منها والديني، العقلي منها والنقلي، المادي منها والمجرد.. فكان ذلك الائتلاف حضارة إسلامية، أبدعها الإنسان الذي صاغته الدعوة الإسلامية، وتلك خصيصة من خصائص الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية؛ فالرسالات الدينية التي سبقت رسالة الإسلام الخاتمة، إما أنها تزامنت مع حضارات غير متدينة، فتعايشت معها، دون أن تغيرها وتصبغها بصبغتها؛ بسبب وقوف تلك الرسالات عند حدود خالص الدين، وإما أن تلك الحضارات السابقة على الحضارة الإسلامية قد عاشت في أزمنة الفترة التي خلت من رسالات الدين..

بينما تميز الإسلام بكونه ديناً فجر حضارة، وصاغ مدنية، وأثمر اجتماعاً إنسانياً، وألف في نفس الإنسان -بالمنهاج التربوي الشامل- ذلك الائتلاف المتوازن، الذي جعل هذا الإنسان يبدع الحضارة المصطبغة بصبغة الدين، لقد حقق الدين الإسلامي

الائتلاف والتوازن والأمن في نفس الإنسان المسلم، فجاء الإبداع المدني لهذا الإنسان -أي الحضارة الإسلامية- ثمرة مجسدة لهذا الذي أحدثه الدين في نفس هذا الإنسان.. فلما حدث وبعثت هذه الحضارة وثقافتها عن هذه الصبغة كان هذا الخلل الذي نشكو منه، والذي حدث منذ قرون، والذي تطبّ لدائه كل دعوات وحركات الإصلاح في أمة الإسلام .

وإذا كان الإسلام هو سبب تقدم المسلمين، ونهوضهم الحضاري، وازدهارهم الثقافي.. فما سبب التخلف الذي أصاب المسلمين، مع بقاء الإسلام كما هو، على حاله الذي كان عليه عندما فجر ينابيع التقدم في الحياة الإسلامية؟!

إن السبب هو غيبة «الروح» (روح الدين الإسلامي) عن الحضارة (الحضارة الإسلامية)، هو انقطاع الاتصال بين الإسلام وحضارة المسلمين.. هذه الروح التي جعلت الحضارة إسلامية، بل والتي فجرتها وصبغتها بصبغة الإسلام..

لقد جلس الحسن البصري إلى واعظ من الوعاظ، فلم يتأثر قلبه بموعظته، فسأل الحسن الواعظ: «يا أخي، أبغضت مرض أم بقلبي؟». إن انقطاع الاتصال، لغيبة الروح، هو سبب المرض والمأزق الحضاري، الذي تطب له وتبحث عن علاجه مختلف مدارس الإصلاح .

فما هذه الروح التي جعلت الإسلام -دون الديانات الأخرى- يصنع حضارة وثقافة، ولا يقف عند مجرد الدين؟! وأين موطن الخلل الذي عطل الفعل الإسلامي في الحضارة والثقافة؛ فتراجعت الحضارة الإسلامية، وضمرت الثقافة الإسلامية، مع بقاء الإسلام «الدين» كما هو، وبقاء الإيمان به والاستمسك بعراه؟!

لقد عرض الشيخ محمد الفاضل بن عاشور لهذه القضية الحورية عندما تحدث عن الأمور التالية :



بناء الحضارة والثقافة

تميز الإسلام «الدين» بإفراز الحضارة. وبناء الثقافة: «فإذا كان الإسلام، باعتباره ديناً، يشترك مع غيره من الأديان في القضايا التي هي موضوع الديانات عامة، فإن للإسلام نواحي ينفرد بها عن تلك الديانات، التي اشترك معها في القضايا الدينية بصفة عامة، إذ تكون له جهات اتصال بالثقافات والحضارات ليست لغيره من الأديان الأخرى.. فهذه التي نسميها الحضارة الإسلامية، أو تلك التي نسميها الثقافة الإسلامية، إنما هي سلاسل من الأحداث والأوضاع والكيفيات الاجتماعية والذهنية. كان الإسلام مبدأ نشأتها وسبب تكوينها. فلم يقف الإسلام عند التعايش مع العلم، وإنما أصبح كل موضوع علمي ذا صلة بالعقيدة الدينية، وصار الارتباط بين الدين والمعرفة العقلية، أو بين علم الطبيعة وعلم ما وراءها ارتباط التفاعل والتمازج. ونشأ من ذلك اتجاه نحو الحياة والسلوك فيها. يدفع به العامل الديني الاعتقادي في كل وجه من وجوهه، وسبيل من سبله: فصار الداعي الديني يتجلى فيما يصنع العالم، وما ينتج الأديب، وما يصوغ صاحب الفن. وصارت المعرفة العلمية سنداً لكلام المتكلم، وفقه الفقيه، وتصوف الصوفي، على الصورة التي ربطت عناصر المعرفة، وأخرجت كتب العقيدة الإسلامية جامعة للمعارف الطبيعية والرياضية والإنسانية، مع الحقائق الاعتقادية: يتجانس فيها العلم مع الدين، ويتساند العقلي والنقلي. لقد تكوّن المجتمع الإسلامي بإثر دعوة دينية، إنه مجتمع ديني بالمعنى الأخص، كان الدين فيه العامل الأول المباشر. ومن دعوة الدين، والإيمان بها، اكتسب الشعب الذي استجاب لتلك الدعوة وامتاز بذلك الإيمان خلافاً نفسية جديدة. لم يستفد علماء ولا صناعة ولا قوة مادية، ولكن الذين اكتسبوه من خلال طووع العلم والصناعة والقوة المادية: فكانت المدارك الدينية وحدها هي التي فتحت أمام نظر المسلم آفاق الكون للتأمل والاعتبار، والمعرفة والإيمان.

فالحقيقة الاعتقادية الإلهية، هي الأساس لكل ما بنت الحضارة الإسلامية من هياكل حسية ومعنوية، وإنسان هذه الحضارة، بالدين فكّر، وبالدين تحضّر، وبالدين أنتج آثار حضارته، وبالدين أقام الدولة الصائنة للمجتمع وحضارته. وكذلك استمرت مظاهر الحضارة متصلة في نفسه بالدين، وعوامل الدين فعالة في مظاهر الحضارة.

النوازن والانسجام

يتناقض مع الحاصل من طريق مدرك آخر، إلا أن بعض ما يقصر عن الإحاطة به أحد هاتيك الطريق، يمكن أن يتصل به طريق آخر منها، حتى تنتهي إلى الإذعان للمدركات الحاصلة بالطريق الخارق للعادة، وهو طريق الوحي. فعقل الإنسان وعقيدته، وحسه المادي، وعواطفه الغريزية، كلها متجانسة متعاونة، لا يخشى بعضها بعضاً، ولا يقطع أحد سبيل الآخر. لقد كانت الحضارة الإسلامية من أثر إنسان اكتسب وضعاً منسجماً في ذاته، آمناً إلى نفسه، فصنع على مثال نفسه حضارة أكسبها ما اكتسب، وأفاء عليها ما أفاء الله عليه، حتى فاقت بما فيها من انسجام غيرها من الحضارات.

كذلك امتازت هذه الحضارة الإسلامية وثقافتها بالتوازن والانسجام؛ لأنها ثمرة لامتياز الإسلام بتحقيق التكامل والتوازن والانسجام في مصادر المعرفة الإنسانية: «فكل الحقائق، المتصلة بالمادة والمتصلة بما وراءها، هي في متناول الإنسان، يستطيع أن يتوصل إليها بمدركه العديدة المدرّجة، المستند بعضها إلى بعض، في غير تنافر ولا تدابر ولا تناقض. فالمدركات الغريزية، وراءها المدركات الحسية، ثم المدركات العقلية، وراءها المدركات العقلية، ثم المدركات العقلية، تؤدي إلى المقدمات المفضية إلى تلقي المدركات الغيبية، الآتية من طريق الوحي، وإلى التسليم بها، والإذعان لها، وتبقى هذه المدركات كذلك متعاونة متساندة، لا يمكن أن يحصل بطريق واحد منها ما

ما أسباب النخلف؟

لكن ما الذي حدث حتى تخلفت الحضارة الإسلامية وتهللت ثقافتها. مع بقاء الإسلام -الذي صنعهما وحقق لهما الازدهار الذي دام لعدة قرون. كانا فيه منارة للعالمين- على ما هو عليه؟! «لم يكن المصاب العزيز هو الإسلام. وإنما كان الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية. وكانا تتطلعان إلى الإسلام بذاته. خنان إليه. وترجوان شفاءهما عنده. وكان القريب والبعيد يدركون أن ما نزل بالمجتمع الإسلامي. في حضارته وثقافته. ليس إلا أمراً آتياً من انحراف عن الأصل. وانقلاب في الوضع. وانفلات عن العامل التربوي الأصلي الذي لزم الأصول. وأحكم الأوضاع؛ فلقد أصاب الحضارة والثقافة ما عزلها عن صدق الاستمداد من الإسلام. وميتين الاعتماد عليه. حتى مال عمادها. واضطربت أوتادها..»

فالخلل لم يحدث في ذات الإسلام؛ وإنما في توقف عقيدة الإسلام عن أن تكون روح الحضارة. وانكماش الإرادة الاعتقادية البناءة للحضارة. وغربة الحضاري عن الديني. وتفكيك الدين عن الدنيا: «وإن تبين الناحية التي أصابتها العلة من العقيدة. هو الذي يكشف عن الأسباب التي قضت بضعف الحضارة وتهللها. إن الذي حدث في العقيدة الدينية. وقضى بتضعف الحضارة. إنما هو انكماش صدها عن أن تخلع من روحها على الحضارة. فأصبحت الحضارة خائرة جامدة. لا تتقدم. وما كان ذلك الانكماش إلا أثراً من آثار الضعف. الذي أصاب العقيدة في جوهرها. إن الإرادة الاعتقادية البناءة هي التي خارت وضعفت؛ فأصبحت الأوضاع الاجتماعية. والآثار المدنية تصدر عن غير ما كانت تصدر عنه. فصارت هي في واد والعقيدة الدينية في واد. وبقي المسلم وفيّاً لعقيدته الدينية. غيورا عليها. من جهة. متقبلاً لحياته

العملية. مطمئناً إلى واقعها من جهة أخرى. حتى أصبح المبدأ النظري والواقع العملي عنده متباينين. وتولدت من ذلك نظرية تفكيك الدين عن الدنيا. باعتبار أن الدين خيرٌ غير واقع. والدنيا شر واقع. وأن العبد المسلم يحمل بين جنبيه ديناً لا يؤثر فيه إلا لماماً. ويعيش في دنيا لا يعرف فيها إلا كل ما يبعد به عن الدين. ثم هجمت عليه في حياته العملية مدنيات أجنبية عنه. فيها العلم. وفيها الصناعة. وفيها القوة. وفيها الحكمة؛ فلم يجد من إرادته الدينية ما يتناول به هذه المدنية. كما تناول المدنية التي احتك بها من قبل. يوم كانت إرادته الدينية قوية سليمة. فوقف أمامها جامداً. واعتبرها من جملة صور الحياة التي كان من قبل آمن بانفكاكها عن الدين..».

ذلك هو موطن الخلل الذي كان ابن خلدون من أفضل من أدركه. وحلله.. «لقد حلل ابن خلدون المشكلة تحليلاً دقيقاً. عندما جعل شؤون السياسة والعمران والصناعة والعلم في الدولة الإسلامية. تبعاً لشأن الدين. وجعل الحقيقة الأولى للدين. التي هي العقيدة الفردية أصلاً وأساساً لذلك كله. فأخذ يدرس مشكلة فساد الدولة. وركود العمران -في عصور الإسلام اللاحقة عن عصوره السابقة- وانتقاص الصنائع. وتلاشي ملكات العلوم. واختلال طرائق التعليم في الأمصار الإسلامية لعهد. جاعلاً

ذلك كله راجعاً إلى اختلال الحقيقة الأولى للدين. التي هي أساس العمران الناشئ به. والدولة القائمة عليه. أعني العقيدة الدينية. فرد ذلك كله إلى صورة تكوّن الفرد تكوّنًا إيمانياً. يرتبط من جهة بالدين الإسلامي في عقيدته. ويسري منه إلى كل ما انبثق عن تلك العقيدة من مظاهر عمرانية وصناعية وفكرية. وإذا كان الناس يكتفون بأن يمثلوا ما بدا في حياة المجتمع الإسلامي وحضارته من إخلال. بما يرجع إلى نظم الحكم. وصور الدول. وما شاع من فساد الخلق. وتفكك الروابط الاجتماعية. فإن ابن خلدون يطلب لهذه العلل عللاً. ويرد هذه الأسباب إلى أسباب وراءها. فانقلاب الخلافة إلى ملك ليس العلة. وإنما هو عرض لعلّة تغير الوازع الديني إلى مقاصد التغلب والقهر. والتغلب في الشهوات والملاذ. وحلول عصبية الدولة محل عصبية الدين. لقد أرجع ابن خلدون الحضارة الإسلامية إلى أصلها وأساسها. أو بالأوضح روحها. وهو العقيدة الدينية..»

حجم المشكلة



وإذا كانت هذه هي المشكلة، فما هو حجمها؟ وما هو عمرها؟ إن حجم هذه المشكلة ليس بالهين، وعمرها ليس بالقصير. «وإذا كنا لا ننكر أن الحضارة الإسلامية قد تقاصرت وتراجعت وتخلخلت، وأن الثقافة قد ذوت وانكمشت واصفرت، وأوشكت أن تصبح حطاماً، فإن ذلك ليس وليد الأمس، ولا أمسه، ولكنه الأدواء التي استفحلت في القرون الأخيرة، حتى أعضلت، وعز دواؤها، ثم لم تزل تنمو وتشتد وتتفاقم آلامها وأخطارها حتى انتهت إلى الوضع المفزع، الذي ضج قرننا الحاضر منه بالشكوى..».

ما هو الحل؟

وأخيراً وبعد تحديد روح الحضارة الإسلامية، وتشخيص موطن الخلل الذي أصاب حضارتنا وثقافتنا؛ فما هو الحل الحقيقي لهذه المشكلة؟ والمخرج من هذا المأزق الذي يأخذ بخناق الأمة؟ إن الحل هو في العودة إلى الروح التي صنعت الحضارة المزدهرة والثقافة المتألقة، إنه عودة الروح الدينية لتصوغ النهضة الحضارية المتميزة والمستقلة، وهذا هو المعنى الحقيقي لمقولة: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، «فلولا التكوّن



الفردى المكّي، والتكوّن الاجتماعي المدني، لما كانت آثار الحضارة التي تبدت في عواصم الإسلام، فإذا كان الناس اليوم يحنّون إلى عهود ذهبية، ازدهرت بها تلك العواصم، ويترقّون إلى إحيائها وتجديدها، فأجدر بهم أن يعودوا إلى العامل الأصلي الذي ولد تلك العصور الذهبية، والذي بدونه لن تعود زهرة تلك العصور وينعتها، ألا وهو العامل التربوي الإسلامي، الذي كوّن الفرد قبل أن يكوّن المجتمع، ومهد للثقافة طريقها قبل أن يتناول عناصر المعرفة التي ألّفت كيانها».

أما إذا وقفنا عند «استقلال العلم والنشيد»، دون حقيقة «الاستقلال الحضاري»، الذي هو ثمرة للصبغة الإسلامية المتميزة، فلن نخرج من هذا المأزق الذي نعيش فيه. «لقد خرج العالم الإسلامي من تحت حكم الغير، واسترجع سيادته الذاتية، لكن هل هو مستطيع أن يعاود حضارته، ليضطلع بأعبائها من جديد، وليمثل للناس صورة جديدة من الثقافة والحضارة، منطبعة بطابع شخصيته الإسلامية، ومنبثقة عن المبادئ الاعتقادية الإسلامية، التي انبثقت عنها الصورة الماضية التي عرفها التاريخ من ثقافة الإسلام وحضارته؟ إن نهضة اليابان ليست بوزية، ولا نهضة الصين نهضة كونفوشية، ولا نهضة اليونان نهضة بيزنطية، ولا أفلاطونية، ولا أرسطوطاليسية، بل ولا هي يونانية على الحقيقة بأي حال من الأحوال. فهل سيكون شأن الإسلام مقصوراً على هذا الوضع؟ أو أن حضارة إسلامية الروح، وثقافة إسلامية الطابع، ستبدوان من بين ذلك القدر المشترك المؤلف بين شعوب الأمة الإسلامية، الناهضة المستقلة؟ إن روح تلك الحضارة هي الموقع الرئيسي للمشكلة».

تلك بعض من قضايا وأفكار ومحاور المعضلة التي حار ويحار فيها المصلحون، روح الحضارة الإسلامية، التي صنعت وميزت الحضارة والثقافة في عصور النشأة والازدهار، وموطن الخلل الذي جعل الحضارة تتراجع، والثقافة تتهلهل، والحل والمخرج من هذا المأزق الحضاري الذي تعيشه أمة الإسلام.

العنصر والمنبت ، محبوباً على حب
العلم والتقوى ومتحلياً بالأخلاق
الفاضلة وهو في مهده.
ومنذ نعومة أظفاره ، انعكست
على سيماءه الوضاعة بشائر الولاية
والجد والمثابرة والعلامات القطبية
، ولما تفرس فيه والده الكريم تلك
البشائر المشرقة اعتنى به بالغ
الاعتناء واختصه بتربية دينية
صحيحة ، وتعلم القرآن الكريم
والنحو والصرف والفقه وغيره
من العلوم الدينية المتشعبة عند

فِي رَحَابِ سَادَاتِ بِرَزْنَجَةِ الْكَرَامِ

Ḥajjīzā Ḥajjīzā Ḥajjīzā Ḥajjīzā Ḥajjīzā
Ḥajjīzā Ḥajjīzā Ḥajjīzā Ḥajjīzā Ḥajjīzā

والده الأكرم وغيره من جهابذة العلوم آنذاك .
وكان الشيخ الولياني متقد الذهن سريع البداهة بحيث
فاق أقرانه في سرعة الفهم وقوة الإدراك، ونال في مدة وجيزة
مرتبة علمية رفيعة ما لا ينالها غيره بسنوات طويلة .
وتذكر المصادر التاريخية أن السيد الشيخ إسماعيل
الولياني كان منذ طفولته متميزاً في صفاته وإعجاب
الناس به ، وكان والده السيد محمد النودهي المشهور
بالكبريت الأحمر يأتيه الضيوف من كل حذب وصوب وكان
كلما يأتيهم ضيف يدعي أنه سيد من نسل الرسول صلى
الله عليه وسلم فيقول الشيخ محمد :
نادوا على ولدي إسماعيل ، وكان السيد إسماعيل صغيراً
وعندما يصل إلى المجلس ويدخل على والده بكل احترام ،
فيقول له :
يا إسماعيل .. هذا الضيف يقول إنه سيد فماذا تقول :
فيجيب إسماعيل : هذا فلان ابن فلان ويرجعه إلى
أصله ويميزه إن كان سيد حقاً أو دعي .

والسيد الشيخ إسماعيل الولياني بن السيد محمد
النودهي الشهير بالكبريت الأحمر ابن السيد بابا علي
الوندري .

ولد في قرية (نودي) في سنة ١٠٨١ هـ . ولما ولد، تلقته
يد الكرامة، وحَفَّ بالتوفيق من كل جانب ، ولم يزل
متربياً في بيت أسس على التقوى والكرم ، متغذياً بلبان
النعم، ونشأ في حضن والده الجليل ، حبر الأمة ومربي
الثقلين، الشيخ محمد أمين النودهي وترعرع في الوسط
العامر بالزهد والورع وانفتحت عيناه على دراسة القرآن
الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وتعوّد على سماع
العلوم الإسلامية بأنواعها المختلفة التي يتلقاها الطلبة
عند والده الأجد ليل نهار فكان من الطبيعي أن يكون
هذا الوليد المبارك سليل أقطاب العلم والمعرفة ، كرم





وبعد أن استوى وتبحر في العلوم كلها أخذ الإجازة العلمية من والده وأصبح عالماً متضلعا ، سالكاً طريق التصوف ، خائضاً لججه ، غير مكترث لوعرة الطريق ومخاطرها، بل واجه المصاعب بغية تزكية النفس وترويضها والإطاحة بالأفكار المتحجرة وإيقاظ العقول الهالعة التي لا ترى في هذا الوجود سوى ما تفضل به عليها العيون المتجردة من التفكير والتأمل .

وبدأ بالسياحة والتجوال ، حتى استقر في منطقة قرداغ واتخذ خلوة في (كسنزان) وأخرى في (وليان) وهما باقيتان حتى الآن يزورهما الناس . وقد سمي بالولياني نسبة إلى إقامته بهذه الخلوة ، كما سمي بجاسوس القلوب لكثرة خوارق عاداته وكشفه

للمغيبات وكلما كانت تجول فكرة في خاطر أحد الجلوس كان يخبره بها والفترة التي قضاها في هاتين الخلوتين تتراوح بين سبع وثمانين سنوات .

وفي هذه الفترة حُبب إليه الخلوة وأراد أن يعيش منزوياً عن الناس ، متفرغاً للعبادة ، مستصغراً هذه الحياة الزائلة لأنه كان باحثاً عن عالم يوائم ما في قلبه من الأشواق المتلعة والأهداف السامية ، وليطلق روحه الطاهرة متحررة من قيود الجسد وقيود النواميس المادية ، وعلى الرغم مما ناله من العلوم في تلك الخلوات إلا أنه كان يشعر بعطش روحي واستعداد فطري لأن يستقبل المزيد منه . وهذا دفعه للسفر إلى بغداد ، فزار الشيخ أحمد الإحسائي رحمه الله مرشد العصر آنذاك وبايعه وسلك على يده الطريقة القادرية .

وروي عن الشيخ الإحسائي رحمه الله بعد أن تقدم به العمر كثيراً قال :

إنني في انتظار مَنْ أسلمه أمانة الرسول ﷺ ، فلما التقى الشيخ إسماعيل الولياني ، قال : الحمد لله الذي مكّني من توصيل هذه الأمانة .

وبعد أن قضى السيد إسماعيل الولياني عدة أربعينات في الخلوة والعبادة وأكمل الرياضات الروحية بإشراف شيخه عاد إلى كردستان العراق ومعه الطريقة القادرية التي لم تكن منتشرة آنذاك في كردستان ، ويعتبره الباني الحقيقي للطريقة القادرية في كردستان وأول شيخ قام بنشرها هناك بشكل واسع وكانت مقتصرة على الخواص والمتتبع لسيرة كبار السادة البرزخية الأجلاء يجد أن معظمهم سافر إلى بغداد وأخذ الطريقة القادرية من مرشدي العصر

على الرغم من وجود عدة طرق صوفية أخرى كانت منتشرة في أرجاء كردستان مثل الطريقة النوريخشية والعلوية . ومن صحب الشيخ الولياني رحمه الله وأخذ عهد الطريقة منه هو الشيخ مصطفى الخوشناوي المعروف بالشامي ولازمه في قرية (قازان قاية) في قرداغ، مستفيداً منه علوم الطريقة والمعارف الروحية سالكاً المقامات إلى أن بلغ الذروة في الطريقة، فاستجاز، وصار من خلفائه ، ثم طلب الرخصة ورجع إلى منطقة (خوشناو) و(كوي)، فاجتمع عليه الناس من تلك المنطقة ما بين العلماء والخواص والعوام وتسلكوا على يده وصاروا من مريديه ، ثم قصد الشام فتبعه خلق كثير من أفاضل العلماء وغيرهم ، منهم الشيخ عبد الغني النابلسي مع رفعة مقامه في العلم والتقوى ، تمسك به وبايعه واخذ الطريقة من يده .

أما الشيخ الولياني رحمه الله ، فمكث في (قازان قاية) فتوافد عليه الناس من الأطراف والأكناف ، وتبعه القسم الأعظم من علماء كردستان، فشاعت كراماته في الأفاق، وطار صيت ولايته، واستولت عليه الروحانية والألطف الإلهية ، وظهرت عليه خوارق وكرامات كثيرة لا تحصى .

زاره الأمير (أحمد بك الزنكنة) المؤيد من جانب السلطان العثماني فأعطاه قرية (وليان) كما أعطى أخاه الشيخ حسن (قرية كله زرده) .

أصبح بحر الطريقة وإمام المشايخ في وقته وصاحب الكرامات الباهرة والكشفوفات الزاهرة ، وكان مشهوراً بالزهد والورع وكان ذا لباس بسيط مكون من اللباد ، وكان مرشداً مشهوراً ، وكثير السياحة متنقلاً من منطقة

الشيخ محي الدين الذي يقول :
(قلت يوماً لعمي وأستاذي الشيخ إسماعيل ، أرني القطب
فأشار إلى نفسه .. فلم أعتقد ذلك في نفسي .
ثم رأيت ليلة من الليالي ناداني هاتف قائلاً : يا محيي
الدين اذهب إلى مشرق الشمس ، فوصلت إليه في أدنى
زمان فكان هناك أول الفجر الصادق ، فقال رجل يا محيي
الدين توضاً للصلاة وصل خلف القطب ، فتوضأت في قصر



له بابان يدخل الماء من باب ويخرج من آخر ، فقال الرجل:
هذا قصر عمك وهو قطب المشرق ، وفي كل صلاة يؤم
الأولياء في هذا المكان ، وبعد ذلك رأيت ثلاثة صفوف من
الأولياء واقفين للصلاة يقتدون بالشيخ الولياني وموضعي
كان خالياً في الصف الأخير ، فصلينا ومكثت فيه حتى
ارتفاع الشمس ، ثم رجعت إلى منزلي فكان عندنا وقت

إلى أخرى في سبيل الإرشاد والتوجيه ، وكراماته كثيرة
ومنها :
أنه كان يرى في مجلسه في أشكال مختلفة ، شاباً مرة ،
وشيحاً كبيراً في السن مرة أخرى ، كما يرى في لباس
الملوك طوراً ، وفي زي العلماء طوراً آخر ، وكان صاحب نظرات
روحانية ، بحيث يوصل المريد بنظرة واحدة إلى أعلى درجات
الولاية .

ويقول الشيخ محيي الدين كركوكي شاهدت منه خوارق
كثيرة منها : نصب الحكام وعزلهم ، والمشي على الماء ،
وإحضار الفواكة في غير وقتها ، ورؤية سيدنا الخضر .
ومن كراماته أيضاً : روي أن لون يده يتغير إلى السواد عند
إعطاء البيعة للمريدين الجدد ، وبعدما ينتهي من ذلك ،
يطلب من خادمه الماء فيغسل يده فتعود كما كانت بيضاء
ناصعة ، وكان الخادم يتردد في سؤال شيخه عن ذلك السواد
فعلم الشيخ بخواطر خادمه ، فناده وقال له :

يا بني ، هذا السواد الذي تراه هو أثر ذنوب المريد ، نأخذها
منه ونظهره لأن الطريقة تجب ما قبلها .

وروي أيضاً أن الشيخ إسماعيل الولياني رحمه الله زار قرية لأحد
الوجهاء في إيران على سبيل الإرشاد فرأته ابنة هذا الوجه
ماراً أمام منزلها بملابسه الصوفية البسيطة فخطر في
بالها : (كيف ترضى فتاة بالتزوج من هذا الرجل ؟) ،
فرمقها بنظرة ثم تركها ومضى في سبيله .

وأما الفتاة فأصابها الجنون والخرق على أثر ذلك الخاطر ، ولما
حار أهلها في علاجها ، توجهوا إليه وطلبوا منه معالجتها
فرضي بشرط أخذهم البيعة ، فرضوا بذلك فلقنها وأهلها
بيعة الطريقة ، فعادت إلى حالتها الأولى ثم تزوجها وأجبت
منها ، وأصبحت المعين له في نشر الطريقة والإرشاد .

أما محبيه وخلفاءه :

فللسيد الولياني آلاف من المريدين والمحبين ، والكثير من
الخلفاء منهم :

الشيخ مؤمن السازاني ، الشيخ عبد الله عبدلاني ، الشيخ
عبد الغني النابلسي ، والشيخ مصطفى خوشناوي
والشيخ فقي مچه (مصطفى) جاف ، الشيخ علي
سوسي ، كلهم من أفاضل العلماء ومشايخ الطريقة .

ومن خلفائه أيضاً أخيه الشيخ علي الدولبموي الذي كان
عالماً فاضلاً ومرشداً لامعاً في الطريقة القادرية ، ومتصفاً
بالكرامات والأحوال الباهرة ، وكان أستاذاً للعلامة الشيخ
معروف النودهدي .

ومن خلفائه أيضاً أخيه الشيخ حسن كله زردة ، وولده
الشيخ محي الدين كركوكي الذي لازم خدمة الشيخ
الولياني طويلاً حتى استخلفه على مشيخة الطريقة من
بعده لذلك نرى أن أكثر ما روي عن الولياني يأتي عن طريق

الفجر الكاذب ، فلما أصبحت، ذهبت إلى عمي فقلت له :
أرني القطب فقال لي عمي :
من لم يصل خلف القطب لا يعرفه فاعتقدت أنه قطب
المشرق ، ثم طلبت منه أذن الأوراد والأدعية، فأذن لي .
ويقول الشيخ محي الدين ؒ : ما علمت من معاني
القرآن وخصائصه وما كتبت من تصنيفاتي كلها كان
من بركات عمي الشيخ الولياني ؒ لأنها اقتبست من



ومضات فيوضاته السامية .
والشيخ إسماعيل الولياني ؒ جد لسادات: القازان قاية ،
والكسنزانية ، وخاوي ، ودليزة ، وكاني كاوة ، وكوبته به ،
وقرة جيوار، وهشنة زيني ، وكاني خاكي .
أما إنتقاله : فيقول أخيه الشيخ حسن الكلزدي عن وفاته
زارني أخي الشيخ إسماعيل وقال تشرفت برؤية جدنا فخر

الكائنات حضرة محمد ﷺ في الرؤيا فقال : « قَرَبَ مجيئك
إلينا ، وأنت تتوفى في الغربة » ، وأوصاني بترك الدعاء الذي
علمني إياه سيدنا الخضر ، وكنت أقرأه لمدة ٢٣ عاماً .
ثم سافر إلى منطقة بادينان للإرشاد وزيارة مريديه، فمرض
وتوفي في مدينة الموصل ونقل جسده الشريف بواسطة
مريديه إلى قرية (روفية) عام ١١٥٨ هـ .
وقد كتب الوزير المرحوم الحاج حسين باشا الجليلي صاحب
الموصل على مقامه هذا الشعر :

إمامٌ بأنوارِ الطريقةِ قد سما
وبحرٍ بأنوارِ الحقيقةِ قد طمى
فيا حبذا خير ويا حبذا هدى
ويا حبذا فضل به الله أنعماً
سمي ذبيح الله أرخت مادحاً
لفقدك إسماعيلُ قد بكى السما
٥٤ ٢٣٤ ٢١٢ ١٠٤ ٤٢٢ ١٣٢ = ١١٥٨

وقد قام السيد الشيخ محمد الكسنزان الحسيني بإعمار
وأكساء المرقد الشريف بحلة ذهبية وقد استقدم لهذا
المشروع الذي استمر عدة أشهر أمهر وأبدع خطاطي بغداد
وأوكل فن صياغة المرقد لأمهر العاملين في فن الصياغة
في أصفهان وقد تم ذلك المشروع الكبير في عام ١٤٢٧ هـ .
ترك الغوث الولياني بعده من الأولاد أعلاماً بارزين حملوا
الرسالة القادرية الجليلة إلى كافة أرجاء المعمورة وخاصة
ولده عبد الكريم الخاوي الذي بقيت الطريقة في أحفاده من
العائلة الكسنزانية والتي أصبحت الآن هي المنهل الصافي
والوحيد الذي ينهل منه العالم المباديء الحققة للتصوف
وهم :

الشيخ رضا ، وهو من كبار أولياء الله في عصره الشهير
في كردستان باسم الشيخ رضا "دليزة" كان كريم الخلق
ومعروفاً بمجاهدات النفس والخوض فيها وظهرت منه
الكرامات والخوارق والأحوال السامية .
الشيخ رسول وأولاده في قرية دريند سوتاو .
الشيخ عبد السلام وأولاده في قرية دريند سوتاو .
الشيخ المعروف الشهير في كردستان بـ (شيخ مافه) .
الشيخ يحيى .

الشيخ عبد الرزاق دي ليزة : ولد في ١١٢٣ هـ وأخذ الطريقة
القادرية من والده الغوث الولياني وكان دأبه مجاهدة النفس
ومكث حوالي سنة يأكل كل يوم زبينة واحدة حتى لصقت
بطنه بظهره توفي في (دليزة) في سنة ١١٨٣ هـ .
الشيخ محمود كليسة وسكن في قازان قاية ومن أولاده :
(حسن ، حسين قازان قاية) .
حسن وقد أعقب أحمد ، وقد أعقب أحمد كل من :



واقفاً بخدمة والده فقال له :
يا شيخ .. ضيوفنا يشتهون العنب ؟ فقال :
نعم اذهب اجلبه لهم
فما لبث دقائق حتى أتى به ، فأصابته الدهشة
والذهول جميع الضيوف حتى عجزوا من مدّ
يدهم نحو العنب ، لاحظ الشيخ عبد الكريم
ذلك فضحك وقال لماذا لا تأكلون ؟ ألا يعجبكم
العنب ؟
قالوا بلى ، ولكن ليس هذا موسمه ولا مكانه
وهذه كرامتان :
أولاً : عرف الشيخ حسن ما اشتهينا في
قلوبنا .

والثاني : حصوله على هذا العنب وتقديمه لنا .
توفي في عام ١١٩٩ هـ وخلف بعده خمسة أولاد
مصطفى عبد الرحمن ، عبد العزيز ، عبد الله ، وحسين .
وأشهرهم السيد الشيخ حسين ، ولد في ١١٥٠ عام هـ ،
وكان ذو إطلاع كبير على مختلف العلوم وكان كثير العبادة
وكان غالباً ما يذهب للعبادة في خلوة الشيخ إسماعيل
الولياني وكان له مريدون كثروا وكان صاحب كرامات مشهورة
ومنها :

كان له مرید اسمه (زوراب) وكان یذهب إلى محكمة في اسطنبول لحضور الجلسات . وخلال الجلسة سمع القاضي كلاماً من المرید وهو یستمد من حضرة الشيخ حسین وعندما استفسر منه عما قاله ، علم منه إن الشيخ حسین هو من الصالحین والمشايخ العارفين ، فطلب منه أن یأتی له بهدية تبرکاً من شیخه .

وعندما حان موعد الجلسة التالية ، أرسل الشيخ حسين مع زوراب قطعة من (القاو) وهي التي تستخرج من ساق شجرة البلوط المعمر وفتحها بالسكين ووضع في داخلها جمرة من نار وضمها ثانية وذهب بها إلى اسطنبول وبعد انتهاء الجلسة سأله القاضي : هل جلبت لي تبركاً من شيخك ؟

قال زوراب : نعم وأعطاه قطعة القاو . ولما فتحها وجد داخلها الجمرة واحترق القاو منها . فقال القاضي : إن شيخك هو حقاً من الأولياء الصالحين لأن الجمرة لم تحرق القاو طيلة هذه الفترة من سفرك .

توفى وترك من الأولاد : علي ، محيي الدين ، حسن ، محمد
والشيخ عبد الكريم .

(محمود - ومصطفی) .

والشيخ حسين قازان قاية ﷺ وهو شيخ الطريقة القادرية في وقته وقد أعقب ولده الشيخ عبد القادر قازان قاية ﷺ الذي خلفه على سجادة مشيخة الطريقة القادرية وأخته هي والدة السيد الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان . وكان صاحب مكاشفات كثيرة . توفي في ١٢٩٢ هـ . وقد أعقب الشيخ عبد القادر كل من : (محمد صالح ، وعبد الكريم) .

وقد أعقب عبد الكريم من الأولاد : (الشيخ حسن قرة جوار
والشيخ حسين ، والشيخ محي الدين) .

السيد الشيخ عبد الكريم الخاوي ولد في سنة ١١١٢ هـ .
نال علومه على يد والده الغوث إسماعيل الولياني . تزوج
بنت الشيخ محمد تراته وند بن علي الدوليموي . كان
عالم عصره ومرشد وقته ، وكان كثير الرؤيا لحضرة الرسول
الأعظم ﷺ .

توفي في عام ١٢١١ هـ وأعقب ثلاثة أولاد هم :

(السيد حسن ، والسيدان محمد شوق ومحمود وقد توفيا ولم يعقبا) .

السيد حسن الخاوي ، ولد عام (١١٣١ هـ) ، كان صاحب علوم روحية ومكاشفات مشهورة ومنها :

جاء ضيوف لزيارة والده الشيخ عبد الكريم وكان بعض الضيوف قد تكلموا فيما بينهم قبل دخولهم مجلس الشيخ عبد الكريم ، بصنف من العنب لم يكن آنذاك موسمه ، ثم دار في خواطرهم حديث العنب فاشتبهوه وهم في مجلس الشيخ عبد الكريم وكان الشيخ حسن

طاقة الخشوع

بقلم عبد الدائم كحيل

ربما تعجب عزيزي القارئ أن الخشوع هو أفضل علاج لكثير من الأمراض، وأن المؤمن عندما يمارس عبادة الخشوع يمتلك طاقة كبيرة في كل المجالات... لنقرأ.....
(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) [الحديد: ١٦]. هذه آية عظيمة تخاطب كل مؤمن لتذكره بأهمية الخشوع لله تعالى، ولو تأملنا آيات القرآن نلاحظ أنه يعطي أهمية كبيرة لهذا الأمر، فما السر في ذلك؟ لنأمل هذه الحقائق العلمية والقرآنية.

هل للخشوع طاقة؟

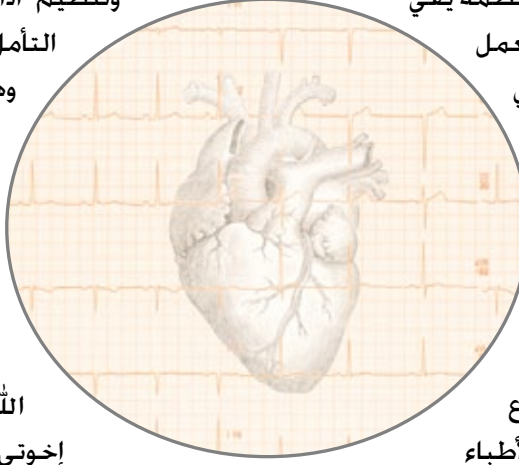


يظن المؤمن أحياناً أن الله أمرنا بالخشوع فقط لتتقرب إليه. ولكن الدراسات العلمية أظهرت شيئاً جديداً حول ما يسميه العلماء «التأمل». ولكن هذا التأمل هو مجرد أن يجلس المرء ويحدّق في جبل أو شجرة أو حركة ودون تفكير. ووجدوا أن هذا التأمل ذو فائدة كبيرة في معالجة الأمراض وتقوية الذاكرة وزيادة الإبداع والصبر وغير ذلك.

ولكن القرآن لم يقتصر على التأمل المجرد. بل قرنه بالتفكير والتدبر وأخذ العبرة والتركيز على الهدف. وسماه «الخشوع» وكان الخشوع من أهم العبادات وأصعبها لأنه يحتاج لتركيز كبير. وهكذا فإن كلمة «الخشوع» تدل على أقصى درجات التأمل مع التفكير العميق. وهذا الخشوع ليس مجرد عبادة بل له فوائد مادية في علاج الأمراض واكتساب قدرات هائلة ومتجددة.

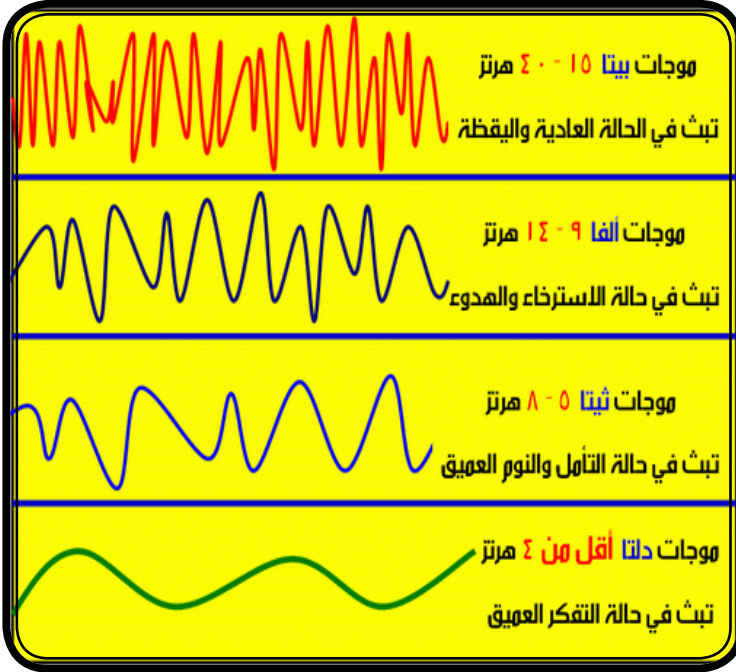
الخشوع والقلب

عمل القلب. ومن هنا ندرك أهمية الخشوع في استقرار وتنظيم أداء القلب إن الدراسات تثبت اليوم أن التأمل يعالج الاكتئاب والقلق والإحباط. وهي أمراض العصر التي تنتشر بكثافة اليوم. ليس هذا فحسب بل وجدوا أن التأمل المنتظم يعطي للإنسان ثقة أكثر بالنفس ويجعله أكثر صبراً وخملاً لمشاكل وهموم الحياة. يقول تبارك وتعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨]. وهكذا إخواني وأخواتي! إذا أردتم أن تبعدوا عنكم اضطرابات القلب فعليكم بالخشوع ولو للحظات كل يوم .



أظهرت دراسة جديدة نشرتها مجلة جمعية القلب الأمريكية أن التأمل لفترات طويلة ومنتظمة يقي القلب من الاحتشاء أو الاضطراب. ويعمل التأمل على علاج ضغط الدم العالي وبالتالي تخفيف الإجهاد عن القلب. ولذلك قال تعالى مخاطباً المؤمنين: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) [الحديد: ١٦]. كما أظهرت هذه الدراسة أن للقلب عملاً مهماً وليس مجرد مضخة. وتؤكد الدراسات أهمية التأمل والخشوع في استقرار عمل القلب. ويقول الأطباء اليوم إن أمراض القلب هي السبب الأول للموت في العالم. وسبب هذه الأمراض هو وجود اضطراب في نظام

الخشوع وعلاقته بالموجات التي يطلقها الدماغ



لقد وجد العلماء أن دماغ الإنسان يصدر ترددات كهربائية باستمرار. ولكن قيمة الترددات تتغير حسب نشاط الإنسان. ففي حالة التنبيه والنشاط والعمل والتركيز يطلق موجات اسمها «بيتا» وهي ذبذبات يتراوح ترددها من ١٥ إلى ٤٠ ذبذبة في الثانية (هرتز). وفي حالة الاسترخاء والتأمل العادي يطلق الدماغ موجات «ألفا» ويتراوح ترددها من ٩ إلى ١٤ ذبذبة في الثانية. أما في حالة النوم والأحلام والتأمل العميق فيعمل الدماغ على موجات «ثيتا» وهي من ٥-٨ هرتز. وأخيراً وفي حالات النوم العميق بلا أحلام يطلق الدماغ موجات «دلتا» وقيمتها أقل من ٤ هرتز .

نستطيع أن نستنتج أن الإنسان كلما كان في حالة خشوع فإن الموجات تصبح أقل ذبذبة. وهذا يريح الدماغ ويقوّيه ويساعد على إصلاح الخلل الذي أصابه نتيجة مرض أو اضطراب نفسي مثلاً. لذلك يعتقد بعض الباحثين أن الانفعالات تزهق الدماغ وبالتالي يقصر العمر. بينما التأمل يريح الدماغ ويطوّل العمر!

إن أهم موجات يبتها الدماغ هي تلك الموجات ذات التردد المنخفض. والتي تعتبر وسيلة شفاء للجسد بسبب تأثيرها على خلايا الجسم والنظام المناعي. وبالتالي فإن التأمل

وبكلمة أخرى «الخشوع» يعتبر وسيلة فعالة لتوليد هذه الموجات والتي تؤثر إيجابياً على خلايا الدماغ وتعيد برمجته وتصحيح الخلل الحاصل في برنامج عمل الدماغ. إن ممارسة الخشوع يعتبر بمثابة تهيئة وتنظيم وتقوية لعمل الدماغ .

الخشوع يزيد حجم الدماغ

قام باحثون من كلية هارفارد الطبية حديثاً بدراسة التأثير المحتمل للتأمل على الدماغ فوجدوا أن حجم دماغ الإنسان الذي يُكثر من التأمل أكبر من حجم دماغ الإنسان العادي الذي لم يعتد التأمل أو الخشوع. ولذلك هناك اعتقاد بأن التأمل يزيد من حجم الدماغ أي يزيد من قدرات الإنسان على الإبداع والحياة السليمة والسعادة . فقد وجدوا أن قشرة الدماغ في مناطق محددة تصبح أكثر سمكاً بسبب التأمل. وتتجلى أهمية هذه الظاهرة إذا علمنا أن قشرة الدماغ تتناقص كلما تقدمنا في السن. وبالتالي يمكن القول: إن التأمل يطيل العمر أو يبطئ تقدم الهرم!

كما أظهرت هذه الدراسة (William J. Cromie, Harvard University) أنه كلما كانت مدة التأمل أكبر كان التأثير أوضح على الدماغ من حيث الحجم واستقرار عمل الدماغ. أي أن هناك علاقة بين التأمل وحجم وسلامة الدماغ. طبعاً هذا التأثير على الدماغ يحدث بفعل التأمل فقط. ولكن الخشوع يعطي نتائج أكبر. ولكن للأسف لا توجد تجارب إسلامية في هذا المجال!



الخشوع يخفف الآلام

بعد فشل الطب الكيميائي في علاج بعض الأمراض المستعصية، لجأ بعض الباحثين إلى العلاج بالتأمل بعدما لاحظوا أن التأمل المنتظم يساعد على تخفيف الإحساس بالألم. وكذلك يساعد على تقوية جهاز المناعة .

وفي دراسة جديدة تبين أن التأمل يعالج الآلام المزمنة. فقد قام بعض الباحثين بدراسة الدماغ لدى أشخاص طُلب منهم أن يغمسوا أيديهم في الماء الساخن جداً. وقد تم رصد نشاط الدماغ نتيجة الألم الذي شعروا به. وبعد ذلك تم إعادة التجربة مع أناس تعودوا على التأمل المنتظم. فكان الدماغ لا يستجيب للألم. أي أن التأمل سبب تأثيراً عصبياً منع الألم من إثارة الدماغ .

وهكذا نستطيع أن نستنتج أن الخشوع يساعد الإنسان على تحمل الألم بل وتخفيفه بدرجة كبيرة. وهو أفضل وسيلة لتعلم الصبر. وعلاج فعال للانفعالات. فإذا كان لديكم مشكلة نفسية مهما كان نوعها. فما عليكم إلا أن تتأملوا كل يوم بمعجزة من معجزات القرآن مثلاً. أو تستمعوا لآيات من القرآن بشيء من التدبر. أي تعيشوا في جو الآيات. عندما تسمعون آية عذاب تتخيلون نار جهنم وحرّها. وعندما تستمعون لآية نعيم تتخيلون الجنة وما فيها من نعيم. وهكذا كانت قراءة النبي عليه الصلاة والسلام للقرآن .

يحوي دماغ الإنسان أكثر من عشرة آلاف تريليون وصلة عصبية. وهذه الوصلات تصل أكثر من تريليون خلية بعضها ببعض. وتعمل كأعقد جهاز على وجه الأرض. ويقول العلماء إن خلايا الدماغ تحتاج للتأمل والتفكير دائماً لتستعيد نشاطها بل لتصبح أكثر فاعلية. وإن الأشخاص الذين تعودوا على التفكير



العميق في الكون مثلاً هو الأكثر إبداعاً!! وهنا ندرك أهمية قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

الخشوع والعاطفة

لاحظ بعض العلماء عندما أجروا مسحاً للدماغ بالرنين المغناطيسي الوظيفي fMRI أن الإنسان الذي يتعود على التأمل، يكون أكثر قدرة على التحكم بعواطفه وأكثر قدرة على التحكم بانفعالاته وبالنتيجة أكثر قدرة على السعادة من غيره! بل بيّنت التجارب أن التأمل يساعد على التحكم بالغريزة الجنسية لدى الجنسين كذلك فإن التأمل يؤدي إلى تنظيم عاطفة الإنسان وعدم الإسراف أو التهور في قراراته لأن التأمل ينشط المناطق الحساسة في الدماغ تنشطاً إيجابياً بحيث يزيل التراكمات السلبية والخلل الذي أصاب هذه الأجزاء نتيجة الأحداث التي مر بها الإنسان .



الخشوع لعلاج الأمراض المستعصية

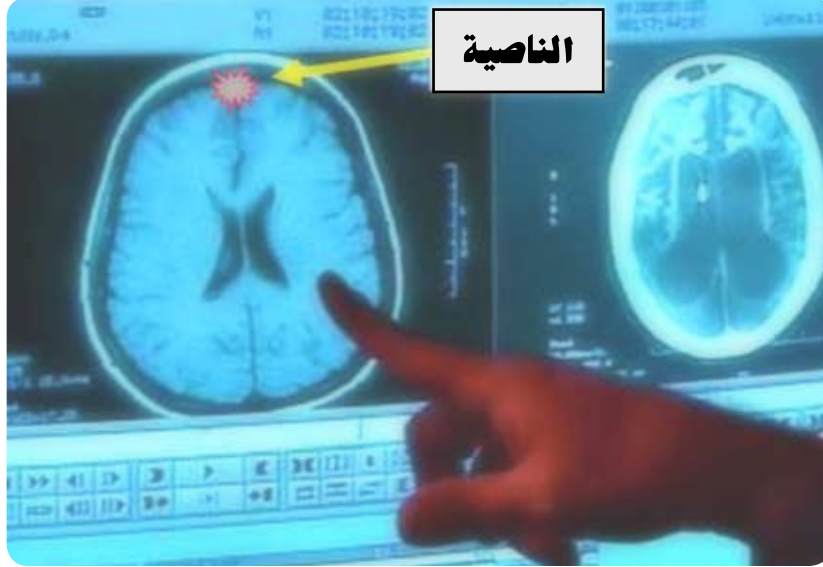
هناك مراكز خاصة في الغرب تعالج المرضى بالتأمل، ويقولون إن التأمل يشفي من بعض الأمراض التي عجز الطب عنها، ولذلك جدد اليوم إقبالاً كبيراً. وكلمنا قرأت عن مثل هذه المراكز أقول سبحان الله! ألسنا نحن أولى منهم بهذا العلاج، لأن القرآن جعل الخشوع والتأمل والتفكير في خلق الله عبادة عظيمة، وانظروا معي كيف مدح الله عباده المتقين فقال: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] .**

ولذلك يا إخوتي إذا كان لدى أحدكم مرضاً مستعصياً أو مزمناً، فما عليه إلا أن يجلس كل يوم لمدة ساعة مع معجزة من معجزات القرآن في الفلك أو الطب أو الجبال والبحار وغير ذلك ويحاول أن يتعمق في خلق الله وفي عظمة هذا القرآن، وهذه الطريقة أعالج بها نفسي من بعض الأمراض وكذلك من أي مشكلة نفسية، ولذلك أنصح كل مؤمن أن يلجأ إلى هذه الطريقة في العلاج .



الخشوع والناصية

وهي المنطقة المشار إليها باللون الأحمر وهي في مقدمة الدماغ أو (الناصية) وهي مسؤولة عن اتخاذ القرارات الهامة ومسؤولة عن التوجه والسلوك. وهذه المنطقة هي ذاتها المسؤولة عن الإبداع والخشوع عند الإنسان. وبالتالي يمكن القول إن المؤمن عندما يمارس الخشوع في عباداته وفي عمله وفي تفكيره وتدبره لكتاب ربه، وحتى في علاقاته الاجتماعية. فإن هذه المنطقة أي الناصية تنشط وتصبح أكثر قدرة على الإبداع وعلى توجيه الجسد وعلى اتخاذ القرارات الصحيحة. وبالتالي على درء الكذب. إذن الخشوع يساعد على الصدق!! وهذا ما أشار إليه القرآن في آياته. مثلاً دعاء سيدنا هود عليه السلام: (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).



وجد العلماء أن ناصية الإنسان أي الجزء الأمامي من الدماغ تنشط بشكل كبير أثناء التأمل والتفكير العميق والإبداع. هذه المنطقة من الدماغ هي مركز القيادة أيضاً لدى الإنسان ومركز اتخاذ القرارات المهمة والمصيرية. ولهذا الجزء من الدماغ أثر كبير على سلوكنا وعواطفنا واستمرار حياتنا .

ولذلك نجد أن النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام ركّز على هذا

الجزء في دعائه لربه فكان يقول: (ناصيتي بيدك) أي يا رب لقد أسلمتك ناصيتي وهي مركز القيادة والقرارات والسلوك. وأنت توجهها كيف تشاء. كذلك فإن أحد أساليب العلاج بالقرآن أن تضع يدك على منطقة الناصية ثم تقرأ آيات من القرآن بخشوع فيكون لها تأثير أكبر .

وهذا شكل يبين المنطقة المسؤولة عن الكذب والخطأ في الدماغ

الخشوع والفصام

عندما درس بعض الباحثين أدمغة لأناس أصيبوا بالفصام (schizophrenia) وجدوا أن الفص الأمامي للدماغ يكون أصغر من الشخص السوي. واستنتجوا الأثر الكبير للنشاط الذي يتم في هذه المنطقة الحساسة من الدماغ أي منطقة الناصية على مثل هذا المرض .

ولذلك يمكننا القول أن الخشوع يعالج الانفصام في الشخصية بشكل أكثر فعالية من أي دواء كيميائي. لأن الخشوع والتفكير ينشط هذا الجزء بشكل كبير ويعدل الخلل الحاصل فيه . إذن انفصام في الشخصية يمكن أن يسبب خسارة في خلايا الدماغ تصل إلى ١٠٪ من حجمه. ويمكن تعويض هذه الخسارة بقليل من الخشوع كل يوم!



الخشوع والوسواس

وجد الدكتور Newberg بعد إجراء العديد من التجارب على رهبان بوذيين يتأملون كل يوم لمدة ساعة، أن المنطقة الأمامية من دماغهم تنشط أثناء التأمل. أما المناطق الخلفية من الدماغ فلا تقوم بأي نشاط يذكر. ويجدر الإشارة إلى أن المنطقة المسؤولة عن الوسواس موجودة في الجانب الخلفي للدماغ. وبالتالي يمكن الاستنتاج بأن التأمل والخشوع يعالج الوسواس. كذلك فإن الإحساس بالتوجه المكاني ينخفض عند الذي يمارس التأمل. وهذا يقودنا للاستنتاج بأن

الخشوع يؤدي إلى تخفيف الشعور بالبيئة المحيطة وبالتالي فإن أي خلل نفسي سببه البيئة (مثل الأصدقاء أو الأهل أو المجتمع) سوف يزول بتكرار التأمل. كما تبين من بعض الدراسات الحديثة أن التأمل يزيد الذاكرة ويقوي الانتباه عند الإنسان. ولذلك فقد يكون هذا الأسلوب مفيداً لأولئك الذين يعانون من ضعف الذاكرة .

الخشوع والصلاة



يؤكد القرآن على الدور الكبير للخشوع في المحافظة على الصلاة. لأن كثيراً من المسلمين لا يلتزمون بالصلاة على الرغم من محاولاتهم المتكررة إلا أنهم يفشلون في المحافظة عليها لأنهم فقدوا الخشوع. ولذلك يقول تعالى: (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) [البقرة: ٤٥]. وهكذا يتبين الدور الكبير للخشوع في الصلاة. ولذلك ربط القرآن بين الصلاة والخشوع. والعجيب أن القرآن في هذه الآية ربط بين الصبر والخشوع. وقد وجد العلماء بالفعل أن التأمل يزيد قدرة الإنسان على التحمل والصبر ومواجهة الظروف الصعبة!

هناك بعض العلماء الأمريكيين أجروا تجارب على أناس يصلّون (على طريقتهم طبعاً) فوجدوا أن الصلاة لها أثر كبير على علاج اضطرابات القلب. وعلى استقرار عمل الدماغ. ولذلك نجد أن القرآن جمع لنا كلا الشفاءين «الصلاة والخشوع» فقال: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) [المؤمنون: ٢-١].

كيف نمارس الخشوع في حياتنا اليومية؟

ولذلك فإن الخشوع هو نتيجة العمل الصالح والدعاء والمسارة في الخيرات. فإذا أردت أن يرزقك الله نعمة الخشوع وأن تكون مستجاب الدعوة كما استجاب الله لأبيائه وهم في أصعب الظروف. فعليك أن تبحث عن الخيرات وتسارع فيها. لا تنتظر حتى يأتي إليك من يحتاج المال لتعطيه. بل اذهب أنت وسارع للإنفاق. وهكذا. وأن تذكر هذه الآية وحفظها مثل اسمك لتردها كل يوم. بل في كل موقف: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: ٩٠].

ولذلك يا أحبتير وأخيراً

ربما بعد هذه الحقائق نعلم لماذا ألهم الله نبيه وحبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم قبل البعثة الشريفة أن يذهب إلى غار حراء ويخلو بنفسه. ليتأمل في خلق هذا الكون ويتفكر في عظمة الخالق تبارك وتعالى. لأن هذه المرحلة ضرورية جداً لتعطيه القدرة على الصبر والتحمل ليحمل أعباء أعظم رسالة على وجه الأرض.

وربما ندرك أيضاً لماذا كانت عبادة الحج تطهر الإنسان فيرجع كيوم ولدته أمه نقياً. لأن عبادة الحج قائمة أساساً على التأمل والخشوع والتفكير في خلق الله وبخاصة الوقوف بعرفة وهو الركن الأساسي لعبادة الحج. لأن رحلة الحج هي فترة للنقاهة والعلاج بالنسبة للمؤمن إذا عرف كيف يستثمر كل لحظة في طاعة الله تعالى.

وربما ندرك لماذا كان الأنبياء أكثر الناس صبراً. لأنهم كانوا يمارسون عبادة الخشوع في كل شيء. طبعاً هذا في الدنيا ولكن في الآخرة هناك من الأجر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. يقول تعالى: (وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ...) ماذا أعد الله لهم؟ يقول تعالى: (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) [الأحزاب: ٣٥].

إنه القرآن! هو الوسيلة الرائعة لممارسة الخشوع لله تعالى. وهنا ينبغي أن نصصح الفكرة السائدة أن الخشوع يكون في الصلاة فقط أو في قراءة القرآن. والصواب أن الخشوع هو منهج يعيشه المؤمن كل لحظة كما كان أنبياء الله يفعلون. فإذا تأملنا حياة الأنبياء عليهم السلام نلاحظ أنها مليئة بالخشوع. بل كانوا في حالة خشوع دائم. وهذا ما أعانهم على التحمل والصبر على الأذى والاستهزاء وكان هذا الخشوع سبباً في استجابة دعائهم. ولذلك قال تعالى عنهم: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: ٩٠]. وتأملوا معي عبارة (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) فهي توحى بأن هؤلاء الأنبياء الكرام كانوا في حالة خشوع دائم. ولذلك لابد أن نقتدي بهم في حياتنا. ولكن كيف ذلك؟

فالمؤمن الحقيقي يكون في حالة خشوع في صلاته وعندما يتصدق جده يتفكر في هذه الصدقة وعندما يزور مريضاً يفكر في أهمية هذه الزيارة فيطلب من الله أن يبعد عنه الأمراض. وعندما يتعامل مع الناس في بيع وشراء وتجارة يحس بأن الله يراقبه ويراه فلا يغش ولا يكذب ويكون صدوقاً ليحشر يوم القيامة مع الصديقين.

عندما يتعرض الشاب المؤمن لفتنة أو يكون على وشك أن ينظر إلى ما حرم الله. يتذكر على الفور أن الله يراه ولا يرضى عن ذلك. فيبتعد عن هذه المعصية ابتغاء وجه الله. ويحس وقتها بنوع من لذة وحلاوة الإيمان.

عندما يرى المؤمن شيئاً يكرهه من زوجته أو العكس ويدرك أن الله يأمره أن يعاشرها بالمعروف ولا يؤذيها وأن النبي عليه الصلاة والسلام أمره أن يستوصي بها خيراً. عند ذلك يبتعد عن إيذاها ويكون أكثر صبراً عليها. فهذا هو الخشوع.

عندما يتعرض المؤمن لمرض أو لظروف صعبة. أول شيء يقوم به هو الدعاء واللجوء إلى الله تعالى. ويدرك أن الله تعالى هو الذي ينفع ويضر وهو الذي بيده الخير هو الذي يشفي وهو الذي يرزق هو الذي بيده مفاتيح الخير كلها. هذا هو الخشوع الحقيقي...

في إجابة القاصدين نداء الحق

بعد استماعهم له

ما قاله شيخ الشيوخ شرف الدين أبو القاسم الجنيد قدس الله سره : اعلّموا معاشر القاصدين إليه أن الله تعالى في كل ساعة نظرة إلى قلوب الأصفياء وأهل الوداد . ولهم في كل ساعة نظرة إلى الله تعالى بعين الفؤاد . ولا يزال المولى يدعو أحبائه إلى نفسه . ويقول : أصفياي وأحبائي إني أنا الله لا إله إلا أنا . هلموا إلى مصاحبتي . وتهيئوا إلى مؤانستي . وبادروا إلى قربي وصلتي . فإني لكم حبيب في الدارين جليسا وأنيسا وهم يجيبونه بلسان الافتقار . ويقولون : لبيك اللهم لبيك . لبيك يا منان القلوب . لبيك لبيك لبيك يا سرور القلوب . لبيك لبيك من الدارين لبيك . لبيك بدعوتك إليك من كل ما سواك لبيك . وإليك بل منك إليك لبيك . لبيك بمصاحبتك والقرب منك لبيك . لبيك يا دليل القاصدين إليك لبيك . لبيك لبيك . يا مراد المردين وأنيس المستأنسين إليك لبيك . لبيك لبيك يا قرة عين العارفين . وثمره فؤاد المحبين لبيك . لبيك يا سيد السادات . ومولاي ومنتهى رغبتى . وغاية أملى لبيك . لبيك . أبد الأبد لبيك . لبيك كما أنت أهله لبيك . لا ملجأ ولا منجا ولا مفر منك إلا إليك . أنت كما أئنيت على نفسك . لا أحصي ثناء عليك . اللهم أنت شفيعي منك . وأنت دليلي منك إليك . وأنت معيني فيك لديك . يا حبيب القلوب والأنيس الأكبر بك عليك أن لا تحبني

لعين نظرت منك إليك . وبكت فيك إليك . وقفلت عن كل ما سواك إليك . إلهي كيف تبكي عين ضحكت منك إليك . أم كيف لا تبكي خشية أن تكون يوماً حسرة عليك . إلهي ضحكي من حيث بكائي وبكائي من حيث ضحكي . وسروري من حيث غمومي . وغمومي من حيث سروري . إلهي دائي من حيث دوائي . ودوائي من حيث دائي . إلهي كيف أبكي وقد عرفتك ؟ أم كيف أضحك وقد جفوتك ؟ إلهي كيف أحزن وأنت كما أنت الحبيب المحبوب ؟ أم كيف أفرح وأنا كما أنا الخسيس المعيوب ؟ إلهي كيف يفتقر من أنت من الدارين حظه ؟ أم كيف يفتقر من أنت غاية أمله ؟ إلهي كيف يكون غريباً من أنت غاية أمله . ومن الدارين نصيبه ؟ إلهي منك ضحكي ومنك أيضاً بكائي . أنت دائي وأنت أيضاً دوائي . إلهي فيك عزي وفيك أيضاً هواني . حسبي من سؤالي علمك بحالي . حسبي من دوائي علمك بدائي . حسبي من حياتي علمك بجفائي . حسبي منك وداً أني لم أجد منك بداً حسبي منك حسرة إن بقيت منك منفرداً مبعداً مطروداً فرداً . إلهي بك أنت افتخاري . إذا نظرت منك إليك وأنت أنيسي . إذا نزلت منك عليك وأنت سروري . إذا أتيت منك لديك . إلهي لسانك تمام ما أغنيت وتحقيق ما أرعيت وتدويم ما أعطيت وأعوذ بك منك

بك عنك . يا أقرب من كل قريب . وبك عليك أن لا تبعدني منك . يا غاية أملى سلام على الدارين بما فيها لدعوتك . سبحانك سبحانك سبحانك عجباً مني ومنك ما أشد توددك لي منك . وما أكثر الدلال مني إليك . سبحانك سبحانك عجباً للخليقة كيف أرادوا بك بدلاً ؟ أم كيف اختاروا عليك كفياً ؟ أم كيف أثروا سواك دليلاً ؟ سبحانك سبحانك ما أطيب وما ألد اتفاق الإلهام منك على خطرات القلوب . وما أحلى المشي إليك بالأوهام في طرقات الغيوب سبحانك سبحانك ما أدق ما لا يمكن للخلق وصفه . وما أخفى ما لا يمكن عن الخلق كشفه . وما أظهر ما لا يمكن عن الحق كتمه . سبحانك سبحانك ما أطول غم ما لم يكن للوصال أهلاً وما أقل سرور ما لم يكن له من محبتك نصيباً . إلهي بك أقسمت عليك أن لا تبتليني بغم الإبعاد منك بعدما زينتنى بسرور القرب منك . ولا تضريني بسيف الهجران بعدما أحييتني بروح الوصال إليك . إلهي طوبى لعبد قام بين يديك . وانقطع قلبه إليك . وأكتفى بك منك لديك . طوبى لبدن انتصب لك لديك . وقصد بك إليك . واعتمد بك عليك . طوبى

التصوف التساعي

التَّصَوُّفُ التَّسَاعِيُّ للشيخ ابن عربي (قدس الله سره)

عن مخطوط مكتبة سموحة / موقع الدكتور يوسف زيدان .

قال رضي الله عنه وأرضاه : بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة
الحمد لله الذي أمطر من سحائب رحمته على قلوب أوليائه مياه
الحكم، وأنبت في أرض عقولهم أطوار الوجود و محق العدم ،
ففرقوا بنور البصيرة بين الجُسوم والنَّسم، والحدوث والِقَدَم، فله
الحمد على سوايق النِّعم، ومتواصل الجود والكرم، وصلى الله
على من أوتي جوامع الكلم محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .. أما
بعد فإنه قد سألتني بعض الإخوان الكرام علي، المحسنين بحسن
أخلاقهم إليّ أن أقيد له ترتيب التصوف التساعي، المبني على
الآية العزيزة الجامعة لأطوار التصوف ، وسبيل التعرف وهي
قوله تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين » فبدأ بالتائبين وهم الذين انتبهوا من
رقدة الغفلة ، وتخلصوا من ورطة الفترة ، واستيقظوا من نوم
الجهالة ، وظهرت لهم بنور التنبيه في ظلمة غيبة النفوس آفات
عيوبهم ، وقبح ذنوبهم، فأقلعوا في الحال ، وندموا على الماضي
وعزموا على أن لا يعودوا في المستقبل ، وبحثوا على خفي من
دسائس النفس ، واستعدوا للمنازلة بالسياسة ، وتشمروا للمعاملة
بالصحة والإخلاص ، وعزموا على المجاهدة بالصدق ، فهدوا
إلى سبيل العبادة ظاهراً ، بالأعمال الصالحات ، وباطناً بالأخلاق
الفاضلة ، ويقال لأهل هذا الوجه الفقهاء (والجه...وية) والنقباء ،
وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر نفساً
عدة أهل بدر، فحد التصوف عندهم الأسبقية على الرتب ، والتوجه
بالإخلاص لمرضاة الرب ، وقد يقال : التخلص من قيد النفس ،
والتوجه للحق بالعقل والحس ، وقد يقال : الخروج من كل خلق
دني والتخلق بكل خلق سني ، وعمدة أعمالهم عشرة وهي اليقظة ،
والتوبة، والمحاسبة، والإنابة، والتفكر، والتذكر، والاعتصام،
والرياضة، والسماع، والفرار . وتعلقهم بالاسم الثواب والغفور،
فيذا أحكم النقيب مراسم هذا الوجه، توجه بالعبادة لطلب العادة .
الوجه الثاني: وهو وجه ((العابدون))، وهم المعالجون أعمالهم،
المطرحون إلى الله تعالى بمآلهم ، وهم أربعون نفساً، ويقال لهم
النجباء ، (والشكورون) والمتكلمون ، وهم مشغولون بحمل أثقال
الخلق - لايتصرفون بحق الغير - بالخدمة والدعاء وما يشبه ذلك،
وحد التصوف عندهم التوجه بالعبادة لنيل الحسنى والزيادة، وقد
يقال: الصدق والإخلاص لطلب الاختصاص، ويقال: استكمال
آداب الطريقة ظاهراً وباطناً، وكلامهم في متابعة الأصول
بالمقول والمعقول، وحفظ الأخبار واللغات ، والأخذ من كل

علم بطوق، لأن الأصل في هذا الوجه أصل مشاركته، وهذه غاية المتكلم الحاذق، ومقاماتهم المقيمون بها عشر وهي: الحزن، والخوف، والإشفاق والخشوع، والإخبات، والزهد، والورع، والتبتل، والرجاء، والرغبة، ويتعلقون بالحسيب والرفيق، فإذا أحكم النجيب مراسم أمر هذا المقام على الوقار والتمام، وظهرت له في باطنه وظاهره أنواع المنن، وسوابغ النعم، بحمد الله الذي علمه ما لم يكن يعلم. (الوجه الثالث) وهو وجه ((الحامدون))، وهم أرباب الأذكار، المستعدون للطائف الأنوار، ويقال لهم: الأفراد الواصلون، والحكماء، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «سبق المفردون»، قيل: من المفردون يا رسول الله؟ قال: «هم المستهترون بذكر الله، محا الذكر عنهم أوزارهم فيأتوا يوم القيامة خفافاً»، وهم لا يحصرهم عدد، لهم وصول خاص لا يدخلون به تحت نظر القطب، بل يستترون في مقام يقال له المخدع، فلا يدان للقطب بهم، ولا يطلع على مقامهم، وشيخ هذا المقام الخضر عليه السلام، ولقد قال لموسى عليه السلام وهو قطب عصره: إني على علم من علم الله لا تعلمه أنت... الحديث؛ فلا اطلاع للأقطاب على شيء من أحوال الأفراد، وكلام أهل هذا الوجه في مراتب الأذكار، وخواص الأسماء، وعددهم في الإنسان، فمن ذاكر باللسان، وذاكر بالنفوس، وذاكر بالقلب، وذاكر بالعقل، وذاكر بالسر، وذاكر هو عين المذكور، وفي معناه أنشدوا:

ذكرتك لا أني رأيتك غائباً

ولا أنت ممن ذكره غير ذاته

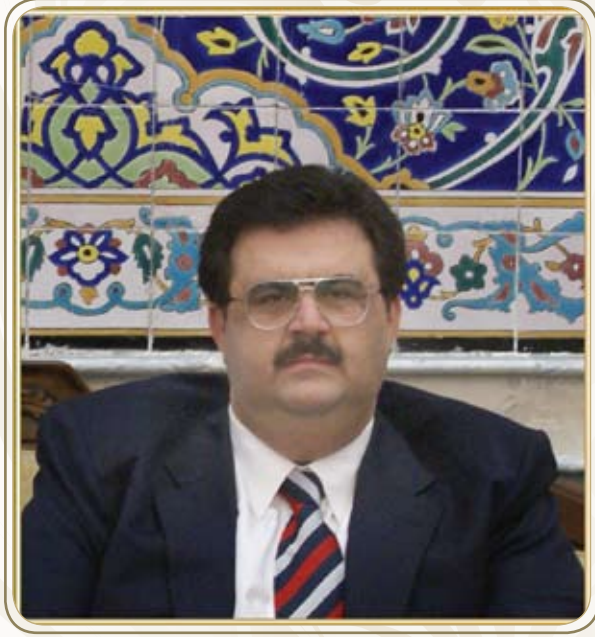
لأنك ذكر الذاكرين وعينهم

إذ المرء فإن عن جميع صفاته

ويقولون إن للذكر بداية وتوسط ونهاية، فبدايته توجه صادق، وتوسطه نور طارق، ونهايته حال حارق، وإن للذكر أصلاً وفرعاً وشرطاً وبساطاً وخاصة، فأصله الصفاء، وفرعه الوفاء، وشرطه الحضور، وبساطه العمل الصالح، وخاصيته الفتح المبين، وحد التصوف عندهم صفاء المعاملة بتحقيق المنزلة، وقد يقال صفاء الأفكار بدوام الازدكار، وكان أويس القرني رحمه الله ذكره في فكره، وهو أرفع هذا المقام، وعمدة أعمالهم عشرة: الصبر، والرجاء، والذكر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخلق، والتواضع، والفتوة، والانبساط. ويتعلقون بالشكور، والحميد، والصمد، والنور، فإذا أحكموا مراسم هذا المقام، يأنسوا بالمذكور ويتوحشوا من سواه، فاخترأوا السياحة والخلو، ورغبوا في الأماكن الخالية والفلوات. يتبع إن شاء الله ولا قوة إلا بالله فأينما تولوا فثم وجه الله.

التصوف التساعي

الميزان



الدكتور نهره الشيخ محمد الكسبي الحسيني

أن يكون الإنسان ولياً من أولياء الله تعالى هو من أسمى الغايات التي تدعو لها الرسالة الإسلامية، بل لعلها الغاية الأسمى في الدين على وجه الإطلاق، ومعنى أن يكون الإنسان ولياً لله تعالى هو أن تتوازن عنده كفتي (الإيمان والعمل والصالح) في كل تفصيطة من تفاصيل حياته الروحية والاجتماعية، أي أن حياته الروحية المتمثلة بعلاقته الباطنية مع الله تعالى تمد حياته الظاهرية المتمثلة بعلاقته مع المجتمع بما يجعلها فعالة وإيجابية، وبالمقابل فإن حياته الاجتماعية بما فيها من ممارسات صالحة ومبدعة تؤجج مشاعر الإيمان وتزيد من استلهاهم القوة الروحية لديمومتها وتواصلها.

إن محل الإيمان في الإنسان هو القلب لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ لذا فإن كلمة المؤمن تعني من الإنسان أول ما تعنيه هو قلبه ثم يمتد معناها ليعم كل ملكاته الباطنة وجوارحه الظاهرة، وأما محل العمل الصالح فهو سائر جسم الإنسان.

فإذا كانت القضايا الإيمانية ذاتية تربط الإنسان بالله تعالى روحياً فإن أعمال الإنسان لها علاقة بالمجتمع الذي يحيا فيه تأثيراً أو تأثراً والأساس الذي تقوم عليه عقيدة الولاية في الإسلام هو تعميق رابطة الإيمان بالله تعالى من جهة واستحضار كمالاته القدسية تعالى قلبياً للتفاعل مع العمل الذي يقوم به المرء في حياته الدنيا من جهة أخرى وبهذا يصبح الإنسان وكأنه واسطة لتحقيق مراد الحق في الخلق.

ومعنى هذا إنه لا فصل بين الجانب الروحي والجانب الظاهري في عقيدة الولاية الإسلامية على اختلاف مستويات هذين البعدين، قال ﷺ: ﴿إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى﴾ في إشارة منه ﷺ إلى ضرورة

الترابط بين باطن العبد وظاهره في أقواله وأفعاله. إن التناسق بين الجوانب الإيمانية التي محلها (القلب) وبين الأعمال الصالحة التي محلها (الجسم) يرتقي بالإنسان إلى مراتب الاستقامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فقولهم: (ربنا الله) يدل على الإيمان، والاستقامة تدل على العمل الصالح ومن يفعل ذلك فجزاءه أن لا خوف عليه ولا هو يحزن وهذه هي مرتبة الولاية في الإسلام لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. والإنسان في هذه المرتبة يصبح مع الحق من جهة ومع الخلق من جهة أخرى فلا تتعطل عنده الظواهر كما هو الحال في الرهينة ولا تنطمس عنده الروحانية كما هو الحال عند من تتغلب عليهم المظاهر المادية.

كان حضرة الرسول ﷺ الأستاذ الأعظم في مجال الروحانيات بلا خلاف وكان حضرته ﷺ في الوقت نفسه السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي.. وقد عقل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم ذلك عن رسول الله ﷺ عقل وعاية ورعاية ولهذا استمرت بعد رسول الله ﷺ دولة الخلافة الراشدة تبث في الأرجاء هذا النهج التكاملي للشخصية الإنسانية، وكان من الصحابة الكرام القادة والولاة والحكماء.. وكان أكابرهم ينبهون على هذه الموازنة، يقول حذيفة بن اليمان ؓ: «ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للأخرة، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا، ولكن الذين يتناولون من كل» فأثمر لهم هذا النهج القرب من

الله تعالى والقرب من الناس ، فأحبوا الله تعالى وأحبوا بعضهم بعضاً وأحبوا الخير لأنفسهم وللناس أجمعين فكان ذلك تجسيدا واقعيا للرحمة المهداة التي زرعها الله تعالى في قلوبهم ..

وعلى أثرهم قال الصوفية بضرورة الجمع بين الاعتقاد والعمل ، فقد أثر عن الشيخ الحسن البصري رحمه الله أنه قال : « ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوماً خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم وقالوا : نحن نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » ، بهذه الصورة يؤكد الصوفية على تمسكهم بشقي الإيمان والعمل الصالح دونما أي فصل بينهما فالإيمان الذي يكرم الله به المؤمن وينجيه من النار عندهم ليس مجرد كلمة يقولها بلسانه دون عمل ، وليس أمنية يتمناها ترفع بها درجته عند ربه ، فما أهون الكلام المجرد عن عمل يصدقه ، وما أكثر الأمانى عند المفلسين من كنز العمل الصالح وهذا يلتقي مع الحديث الشريف « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » .

كان أبو جعفر الحداد شيخ الجنيد البغدادي رضي الله تعالى عنهما يخفي توكله عشرين سنة من خلال كسبه في السوق كما قال ، وكان ينفق ما يحصل عليه إلا ما يسد الرمق .

لقد أدرك أهل الطريقة ما للمعيشة وضنكها من تأثير على نفس الإنسان وقد صنف سفيان الثوري المردود السلبي لهذا الضنك إلى أصناف فقال : العالم إذا لم يكن له معيشة صار وكيلا للظلمة ، والعابد إذا لم تكن له معيشة أكل بدنه ، والجاهل إذا لم تكن له معيشة كان سفيراً للفساق . الأمر الذي يلزم بضرورة العمل والكسب جنباً إلى جنب الإيمان ولهذا فإن حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله كان يحرص على أن يبتعد المريد عن كل ما من شأنه أن ينزل من مكانته الاجتماعية كالبطالة وسؤال الناس ، فكان يحث مريديه على الاشتغال بالكسب والتجارة بشرط أن يراعوا قواعد الأخلاق والأمانة .

وهو ما أكد عليه مشايخ الطريقة في كل زمان ، يقول حضرة السيد الشيخ عبد الكريم

الكسنزان رحمه الله : « على المريد أن يستغل وقت الفراغ من العمل ليشغل بالأوراد والأذكار ، فالمرید عامل وذاكر ، طالب وذاكر ، موظف وذاكر فلاح وذاكر ، أي يجب أن يتقيد بالمهنة الدنيوية والأعمال الأخروية معاً » .

إن مرتبة الكمال في الرسالة المحمدية تتحقق في الإنسان الذي يستطيع التوفيق بين الإيمان بما يتضمنه من أبعاد روحية وقلبية وبين العمل الدنيوي الذي يريد من وراءه صلاح نفسه ورفي مجتمعه . وصيغة هذا التوفيق يوضحه بشكل جلي حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله : « الدنيا في اليد يجوز ، في الجيب يجوز ، ادخارها بنية صالحة يجوز أما في القلب فلا يجوز » والنية الصالحة التي تبرر ادخار الدنيا هي أن تستخدم للإنفاق على الفقراء أو « لصالح عيال الحق عز وجل » وبهذا يتحدد التصور الصوفي لغرض إصلاح القلب وسلامته من الشواغل التي تحجبه عن الله تعالى ويتحدد معه الإصلاح الاجتماعي الذي يستهدف محاربة الفقر والاحتكار والترفع ويعمل على إنصاف الفقراء ، ففي القادرية أن لا يلتفت قلبه إلى الدنيا ، وهو يأخذ منها لينفق على الفقراء ومنهم نفسه « من أخذ من الدنيا على هذه الصفة لا تضره بل يسلم منها ويصفو له أقسامه من نقتن كدرها ، فحينئذ يعطي لكل ذي حق حقه بين يديه » ، ومن هنا قال حضرة الشيخ محمد الكسنزان رحمه الله (أحد أوجه الكمال : أن تملك كل شيء ولا يملكك شيء) .

إن مرتبة إعطاء كل ذي حق حقه هي مرتبة الإنسان الكامل المؤهل لخلافة الله تعالى في الأرض وهي الغاية العظمى التي جاء الإسلام لتحقيقها في دنيا البشر ، وقد اجتهد أهل الطريقة في اتباع حضرة الرسول الأعظم ﷺ والإقتداء بالصحاب الكرام للوصول والتحقيق بهذه الغاية ما أمكنهم ذلك ، ولا زالت قوافلهم تجتاز الأقطار والأمصار ، ليلتحق بها من كتبت له السلامة من يوم الندامة ، ولات حين مندم .



عرض لكتاب موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان

محمد سالار الكسنزاني

حسين الكسنزان الملقب بالسلطان حسين مبيناً مواقف وطنية خالدة لأقطاب الطريقة القادرية الكسنزانية خصوصاً للسيد السلطان حسين .

والجدير بالذكر أن هذه الموسوعة متكونة من أربعة وعشرين مجلداً جُدت فيها ما لا يتصور من المعلومات القيمة التي استنبطت من أمهات المصادر الموثوقة والمخطوطات الفريدة بحيث تسر الناظرين وتغنيهم عن معظم الكتب والمعاجم والمصادر التي ألفت عن التصوف والصوفية .

إن الموسوعة تلقي الضوء على المصطلحات الصوفية بصورة مسهبة ومرتبطة وبأسلوب سلس بعيداً عن التعقيد مبيناً أسلوب الصوفية في استعمال المفردات اللغوية في غير معانيها الحقيقية وهذا شيء لا بد منه لأن المعاني المتلاطمة التي تجيش في أعماق الصوفية لا تسعها المفردات في أنماطها التركيبية المعروفة بل لا بد من كسر قيود اللغة وخرق مألوفاتها والانعتاق حتى من الأساليب البلاغية التي يراها الصوفي أحياناً غير قادرة على استيعاب تجربته والنفاذ إلى جوهرها كما أشار إلى ذلك بعض أقطاب التصوف منهم الشيخ عبد الجبار النفري الذي قال (كلما اتسع المعنى ضاقت العبارة) .

كما تلقي الضوء على المراحل التاريخية التي مر بها تدوين المصطلحات الصوفية وهذه اللوحة التاريخية تشمل القرن

هذه الموسوعة من تأليف السيد الشيخ محمد الكسنزان البرزنجي رئيس الطريقة القادرية الكسنزانية في العالم وتعتبر أعظم موسوعة صوفية في العالم من حيث حجمها ونوعيتها ومحتواها وأنها احتوت على جميع المصطلحات الصوفية وكل ما يتعلق بها من مباحث ودراسات وأنها ثمرة طيبة وفريدة منقطعة النظير . استغرق تأليفها أكثر من سبع سنوات من العمل الدؤوب الجاد . يبدأ الكتاب بترجمة حياة المؤلف ويلقي الضوء على ولادته ونشأته وكيفية تلقيه الطريقة القادرية من والده الأمام والأستاذ الكامل الشيخ عبد الكريم الكسنزان ؑ . مشيراً إلى سلسلة السادات البرزنجية المباركة التي تنتمي إليها شجرة نسب سادات الكسنزان والتي تتصل بالقطب حضرة الشيخ عيسى الكوراني البرزنجي (قدس الله سره) كما يشير إلى حياة بعض أقطابها بالذات السيد الشيخ إسماعيل الولياني البرزنجي الملقب بالغوث الثاني باني الطريقة القادرية في كردستان العراق والشيخ عبد الكريم الكسنزان الشهير بشاه الكسنزان وابنه الزاهد الشيخ عبد القادر الكسنزان الملقب بالقطب المهاجر والسيد الشيخ



الهجري الأول والقرن الهجري الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس إلى عصرنا الحالي والجدير بالإشارة أن المؤلف علق على المصطلحات قرناً بعد قرن مبيناً في كل قرن أقطاب التصوف وفرسانه الذين اشتهروا فيه وكذلك الكتب والمصادر التي ألقت فيه مثلاً في القرن الثاني للهجرة أورد المؤلف اسم الشيخ الحسن البصري وإبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري وفي القرن الثالث ذكر الشيخ الحارث المحاسبي وذا النون المصري والشيخ البسطامي (ت ٢٦١ هـ) والجنيّد البغدادي (ت ٢٦١ هـ) والسهل التستري (ت ٢٨٣ هـ) والحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩ هـ) مشيراً إلى ما ظهر من المفاهيم والأفكار والمقولات التي أدت إلى ظهور مصطلحات وتعابير خاصة في غاية الأهمية فقد قام بعض من جهابذة تصوف هذا العهد مثل ذو النون المصري والبسطامي والجنيّد البغدادي وغيرهم بالتعبير عن هذه المفاهيم والأفكار بمصطلحات مختلفة انعكست فيها قليلاً أو كثيراً كالفناء عن عبادة السوى والفناء عن شهود السوى أو بكلمة أوضح (وحدة الشهود) كما بين المؤلف أن هذا التغيير في الألفاظ والمصطلحات والمنهج لفت لنظر الناس إلى أفكار الصوفية وأقوالهم وسلوكهم ولا سيما مجموعة من الفقهاء الذين عدوا أن هذه الأقوال والمصطلحات خطراً على الإسلام والمسلمين . ونتيجة لذلك بدأ كبار المتصوفة بالاستدلال والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية دفاعاً عن أنفسهم بالقلم بعد أن كان علم التصوف في السابق وقفاً على القول المقرون بالعمل وكذلك تلقى الموسوعة الضوء على التغييرات التي طرأت على المصطلحات الصوفية في القرن الهجري الرابع مبيناً أن التوجه الصوفي في هذا العصر كان منصّباً على تعاليم السير والسلوك وتعيين المقامات التي يجب أن يسلكها السالك وقوانينها وأصولها مع مراعاة أصول الشرع فكان توجهها يكشف الجانب الشرعي للتصوف من خلال شرح الإصطلاحات وكشف خفايا الرموز والتعابير الخاصة وكان ذلك بفضل رجال مثل السراج الطوسي الذي صنف كتابه (اللمع) وأبو طالب المكي في كتابيه (قوت القلوب وعلم القلوب) مشيراً إلى أن أهم ما يلفت النظر في هذا العهد هو أن التصوف أعطى التفكير والتدبر وإمعان النظر أهمية كبيرة أكثر من القيام بالرياضات الشاقة التي التزمت بها صوفية القرن الثاني وقسم من صوفية القرن الثالث الذين حققوا بأن العبادة والطاعة والزهد وترك الدنيا إنما هو وسيلة لا غاية . وكذلك يسلط النور على التطور الذي مرت به المصطلحات الصوفية في القرن الهجري الخامس موضحاً فيه ما بذله أقطاب التصوف لجمع المصطلحات الصوفية وتدوينها وشرحها كما نوه الكتاب إلى الدور الريادي لحضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني (قدس سره) الذي يعتبر ما حققه في هذا المجال حداً فاصلاً بين مرحلتين كبيرتين في عالم الاصطلاح الصوفي فقد جمع في مواعظه وخطبه وأقواله وأشعاره ومقالاته كل ما سبق إليه من المتقدمين كما تضمن نتاجه ذاك إشارات ورموز تعد مفاتيح لما عرف فيما بعد بالإصطلاح الصوفي لم يعرف بعده أوسع وأشمل وأعمق منه كما أورد في المعجم أسماء أشهر المشايخ في هذا المجال منهم :

الشيخ الأكبر ابن عربي (٥١٠ - ٦٣٨ هـ)

السهروزي المقتول (ت ٥٨٦ هـ)

الشيخ صدر الدين القونوي (٦٧٣ هـ)

الشيخ عبد الحق ابن سبعين (٦١٤ - ٦١٧ هـ)

وبفضل هؤلاء الشيوخ أصبح لدى الصوفية ثروة هائلة وكم لا يكاد يحصر من المصطلحات والألفاظ والمفاهيم الصوفية ولقد دونت معظم هذه الثروة ما جعلها صعبة الحصر على كل الباحثين والدارسين والمستشرقين الذين حالوا أن يتبعوها بالكشف والتوضيح ويكفي القارئ الكريم أن يطلع على مصادر هذه الفترة في الموسوعة ليتحقق من ذلك .

كما أن الكتاب يفصل القول في اللغة الصوفية مبيناً أنها تتميز بأمور يطول شرحها منها :

أن الغالب عليها الرمز والإشارة والتلويح وقد وردت مفردات هذه اللغة بأساليب مختلفة منها :

- أسلوب التفسير الصوفي أو الإرشادي .

- الشعر الصوفي على اختلاف أوزانه وقوافيه .

- الحكم والمواعظ والأحاديث والإشارات الإصطلاحية .

- القصص والحكايات الرمزية .

- النثر الصوفي الذي لا تكاد تحصر تنوعاته .

هكذا ويشير إلى الخصائص الفنية التي تفردت بها المصطلحات الصوفية وميزتها عن جميع المصطلحات الدينية أو العلمية الأخرى منها :

خاصية المعرفة القلبية . خاصة التكثر في الألفاظ والمعاني خاصة التعريف الجامع المانع للتصوف والتجربة الصوفية . وذلك لأن التجربة الصوفية تجربة فردية لا تخضع للمختبر العلمي لأنها تجربة باطنية خارجة عن مفاهيم العلم والفلسفة والمنطق وأن هذه التجربة خاصة جداً بحيث يختلف انعكاسها من شخص إلى آخر تبعاً لاستعداد الشخص وقوته وتلقيه لما يمر به الأحوال والمقامات والجدير بالذكر أن الموسوعة بينت وجه تسمية (كسنزان) :

(كسنزان) كلمة كردية تعني الشخص الذي لا يعلم حقيقته أحد وسبب إطلاق هذا اللقب على هذا الشيخ الجليل المبارك (الشيخ عبد الكريم الأول) ﷺ هو انقطاعه عن الناس لمدة أربع سنوات متفرغاً لعبادة الله تعالى في خلواته التي اتخذها في جبل (سكرمه) أحد جبال (قرداغ) في ضواحي مدينة السلیمانیه وحينما كان يسأل أحد الناس عن الشيخ يقول (كسنزان) فجرى هذا اللفظ لقباً على هذا السيد المبجل ومن ثم على أبنائه وأحفاده كما أن هذا اللقب جرى على ألسنة الخلق علماً (للمطبعة العلمية القادرية الكسنزانية) .

وفي الختام نقول : لا نستطيع أن نظهر عشر معشار ما احتوته هذه الموسوعة وهذا العرض المتواضع ليس إلا غيضاً من فيض ولكن كما قالوا (ما لا يدرك كله لا يترك كله) وهذه الموسوعة تجد بين طياتها كل المفردات الصوفية مصطلحاتها وألفاظها وملاحقاتها من بداية ظهور التجربة الصوفية إلى قمة اللغة الصوفية وانتهاؤها بعصرنا الحاضر من الشرح والتعليق على بعض منها حسب ما يقتضيه الأمر .



التوكل

صفحات من موسوعة الكسزان

في اللفظة

« توكل الشخص : قبل الوكالة .
توكل الشخص بالأمر : ضمن القيام به .
توكل الشخص في الأمر : أظهر العجز واعتمد على غيره فيه .
توكل على الله : استسلم إليه » .

في القرآن الكريم

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم (٧٠) مرة باشتقاقاتها المختلفة ، منها قوله تعالى : « **إِن الْحُكْمُ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** » .

في الاصطلاح الصوفي

الشيخ حمدون القصار
« التوكل : هو الاعتصام بالله » .
الشيخ سهل بن عبد الله التستري
« التوكل : هو طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية والتبري من الحول والقوة » .
الشيخ إبراهيم الخواص
« التوكل : هو أخذ السبب من الله » .
الشيخ أبو الحسين النوري
« التوكل : هو أن تفني تدبيرك في تدبيره ، وترضى بالله وكيلاً ومديراً
ونصيراً ، قال الله تعالى : « **وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** » .
الشيخ الجنيد البغدادي
يقول : « التوكل : هو أن تكون مع الحق الآن كما كنت معه أولاً قبل وجودك ، فيكون معك باللفظ والتدبير كما كان سابقاً . ففي السابق لم يكن لك اختيار ولا تدبير فكن الآن كذلك تكن متوكلاً ويكون مولك حسبك ، أي : كافيك وناصرك ، وناهيك بذلك » .
الشيخ ابن عطاء الأدي
« التوكل : هو أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب من شدة فافتك إليها ، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها » .
الشيخ أبو بكر الشبلي
« التوكل : هو أن تكون لله كما لم تكن ، فيكون الله لك كما لم يزل » .
الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي
« قال بعضهم : التوكل : هو السكون في حالي المنع والعطاء » .

الشيخ الحسن البصري
« التوكل : هو الرضا » .
الإمام جعفر الصادق عليه السلام
« التوكل : هو أن لا تتقدم على مقامك ، ولا تتأخر ، وألق عن قلبك ذكر ما مضى وما هو آت » .
الشيخ شقيق البلخي
« التوكل : هو أن يطمئن قلبك بموعد الله » .
الإمام أحمد بن حنبل
« التوكل : هو عمل القلب » .
الشيخ أبو تراب النخشي
« التوكل : هو طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والانقطاع إلى الله بالكلية . فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر ، راضياً وموافقاً للقدر » .
الشيخ ذو النون المصري
« التوكل : هو انقطاع المطامع مع انهمال المدايع » .
الشيخ السري السقطي
« التوكل : هو الانخلاع عن الحول والقوة » .
الشيخ أبو يزيد البسطامي
« التوكل : هو أن تفني تدبيرك في تدبيره ، وترضى بالله وكيلاً ومديراً » .

الإمام القشيري

و « التوكل : هو زوال الاستشراف ، وسقوط الطمع ، وفراغ القلب من تعب الانتظار » .

الإمام أبو حامد الغزالي

« التوكل : هو عبارة عن حالة القلب في الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات إلى غيره » .

الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني

« التوكل : هو الخروج من الحول والقوة ، مع السكون إلى رب الأرباب تعالى » .

الشيخ أبو مدين المغربي

« التوكل : هو وقوفك بالمضمون ، واستبدال الحركة بالسكون » .

الشيخ شهاب الدين السهروردي

« التوكل : هو دوم حسن ملاحظة القضاء والقدر في جميع الحوادث دون اقتصار النظر على الأسباب الطبيعية » .

الشيخ نجم الدين الكبري

« التوكل : هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة ، ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحكمة » .

الشيخ الأكبر ابن عربي

« التوكل : هو اعتماد القلب على الله تعالى مع عدم الاضطراب عند فقد الأسباب الموضوعة في العالم من شأن النفوس أن تركز إليها ، فإن اضطرب فليس بمتوكل ، وهو من صفات المؤمنين ، فما ظنك بالعلماء من المؤمنين » .

الشيخ أبو الحسن الشاذلي

« التوكل : هو صرف القلب عن كل شيء سوى الله » .

الشيخ أحمد بن عجيبة

« التوكل : هو ثقة القلب بالله حتى لا يعتمد على شيء سواه ، أو التعلق بالله والتعويل عليه في كل شيء ، علما بأنه عالم بكل شيء ، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك » .

الشيخ محمد المجذوب

« التوكل : وهو اعتماد القلب على الله بـ (لا حول ولا قوة الا بالله) » .

في اصطلاح الكسنزان

التوكل : هو إيمان بقدرة الله تعالى على إدارة الأمور ، وتوجيهها ، والتصرف بالعبد كيفما يشاء سبحانه ، وعند ذلك يسلم العبد الأمور لله ويوكّلها إليه ، وهو أول المقامات في الطريقة الكسنزانية ، فبدون التوكل لا يدخل المرید ولا يعد سالكا في طريق القوم .

مسألة - ٢ : في حقيقة التوكل

يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) :

« حقيقة التوكل : عبارة عن حالة يصدر عن التوحيد ، ويظهر أثرها على الأعمال » .

ويقول الشيخ سهل بن عبد الله التستري :

« حقيقة التوكل : هي الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد » .

ويقول الشيخ ابن عطاء الأدي :

« حقيقة التوكل : هي أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فافتك إليها ، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها » .

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي :

« حقيقة التوكل : هي عبارة عن حالة التوحيد ويظهر أثرها على الأعمال » .

ويقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني :

« حقيقة التوكل : هي قطع الأسباب والأرباب ، والخروج من حولك وقوتك من حيث قلبك وسرك » .

و « حقيقة التوكل : هي تفويض الأمور إلى الله بـ (لا حول ولا قوة الا بالله) والتنفّي عن ظلمات الاختيار ، والتدبير والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير ، فيقطع العبد أن لا تبديل للقسمته ، فما قسم له لا يفتوته ، وما لم يقدر له لا يناله ، فيسكن قلبه إلى ذلك ، ويطمئن إلى وعد مولاه ، فيأخذ من مولاه » .

ويقول الشيخ أبو الحسن الشاذلي :

« حقيقة التوكل : هي أن تدع التدبير عن خلقك . وحقيقته نسيان كل شيء سواه . وسره : وجود الحق دون كل شيء يلقاه . وسريره : ملك وتمليك لما يحبه ويرضاه » .

ويقول الشيخ محمد بن وفا الشاذلي :

« حقيقته [التوكل] : هي إسقاط رؤية الأسباب بملاحظة السوابق » .

مسألة - ٦ : في علامة التوكل

يقول الشيخ ذو النون المصري :

« علامة التوكل : انقطاع المطامع » .

مسألة - ٩ : في مراتب التوكل

يقول الإمام القشيري :

« يقال : التوكل تحقق ثم تخلق ثم توثق ثم تملق . تحقق في العقيدة .

وتخلق باقامة الشريعة .

وتوثق بالمقسوم من القضية .

وتملق بين يديه بحسن العبودية .

ويقال : التوكل : تحقق وتعلق وتخلق .

تحقق بالله ، وتعلق بالله ، ثم تخلق بأوامر الله » .

مسألة - ١٦ : في غاية التوكل

يقول الشيخ محمد بن وفا الشاذلي :

« غاية التوكل : تحقق النفس بالعجز في كل وجه ، مع الثقة بصلاح القدرة للقيام بمصالح الخلق ، وتبليغ المنح ما في قوة الاجتهاد » .

مسألة - ١٧ : في محل التوكل

يقول الإمام القشيري :

« التوكل محله : القلب ، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى . وإن تعسر شيء فبتقديره ، وإن اتفق شيء فبتيسيره » .

مسألة - ١٨ : في آثار التوكل في القلب

يقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني :
« التوكل يصحح القلب ويقويه ويهذه ويهديه ويريه العجائب ».

مسألة - ٢١ : في عدم التعارض بين التوكل والعمل بالأسباب

يقول الشيخ الحارث بن أسد المحاسبي :
« إن هناك أقواماً كثيرة يزعمون أن السعي للرزق يتعارض مع التوكل ، وهم في الواقع إنما جهلوا حقيقة السنة وسر الأنبياء في كل زمان مما يرويه لنا القرآن » .
ويقول الشيخ سهل بن عبد الله التستري :
« من طعن في الكسب فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان ».

مقارنة - ١ : في الفرق بين التوكل والتسليم والتفويض

يقول الشيخ الحارث بن أسد المحاسبي :
« التوكل : هو الاعتقاد بأن لا شيء يكون إلا بإرادة الله .
والتفويض : هو جوهر التوكل ، أي أظهر ما يجد العبد في الثقة بالله .
والتوكل : مبعثه الثقة بالله ، فإذا ما عمر قلب العبد به انتهى إلى التفويض .
ويحل بالعبد من التفويض خير كثير في الدنيا والآخرة .
فمن وهبه الله ذلك زالت عنه هموم الدنيا ، والخوف من العباد والطمع فيما في أيديهم ، وترك النظر من المؤمن إلى حياته .
فهذه راحة للقلوب ، وفراغ منها لطاعة الله ، ويدل على ذلك قول المصطفى لرجلين : (فوضا أمركما إلى الله تستريحا) .
والتفويض عمل نية ، لا مؤنة له على القلب والبدن ، بل فيه الراحة للقلب والبدن » .

ويقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني :

« المتوكل يسكن إلى وعد ربه .

وصاحب التسليم يكتفي بعلمه .

وصاحب التفويض يرضى بحكمه .

وقيل : التوكل بداية .

والتسليم وسط .

والتفويض نهاية .

وقيل : التوكل صفة المؤمنين .

والتسليم صفة الأولياء .

والتفويض صفة الموحدين .

وقيل : التوكل صفة العوام .

والتسليم صفة الخواص .

والتفويض صفة خواص الخواص .

وقيل : التوكل صفة الأنبياء .

والتسليم صفة إبراهيم .

والتفويض صفة نبينا صلوات الله عليهم أجمعين » .

من أقوال الصوفية :

يقول الشيخ الحسن البصري :

« من توكل وقنع ورضى آتاه الشيء بلا طلب » .

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

« جعل الله التوكل مفتاح إيمان ، والإيمان قفل التوكل .
وحقيقة التوكل الإيثار ، وأصل الإيثار تقديم الشيء بحقه .
ولا ينفك المتوكل في توكله من إثبات أحد الإيثارين ، فإن أثر المعلول وهو الكون حجب به ، وإن أثر المعلل علته التوكل وهو الباري سبحانه وتعالى معه . وإن أردت أن تكون متوكلاً لا متعللاً فكبر على روحك خمس تكبيرات ، ودع أمانيك كلها توديع الموت للحياة . وأدنى حد التوكل ألا تسابق مقدومك بالهمة ، ولا تطالع مقسومك ، ولا تستشرف معدومك فتنتقض بأحدهما عقد إيمانك وأنت لا تشعر » .

يقول الشيخ أبو يزيد البسطامي :

« حسبك من التوكل : أن لا ترى لنفسك ناصراً غيره ، ولا لرزقك رازقاً غيره ، ولا لعلمك شاهداً غيره » .

ويقول الشيخ أبو حمزة البزاز البغدادي :

ويقول الشيخ إبراهيم الخواص :

« من ترك التدبير عاش في راحة التوكل » .

ويقول الشيخ ابن عطاء الأدمي :

« من توكل على الله لغير الله ، لم يتوكل على الله في توكله ، حتى يتوكل على الله بالله لله ، ويكون متوكلاً على الله في توكله لا لسبب آخر » .

ويقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني :

« بالتوكل تخرج الأشياء من قلبك وتتعلق بربك سبحانك ربنا وتتنحى عنك الدنيا والآخرة وما سوى المولى » .

و « الق نفسك في بحر التوكل فتجمع بين السبب والمسبب » .

و « التوكل ليس فيه وقوف مع سبب » .

و « لا تهتموا لأرزاقكم من حيث قلوبكم ، بل اهتموا بها من حيث كسبكم وسعيكم » .

ويقول الشيخ ابن عطاء الله السكندري :

« من علم أن الأمور بيد الله انجمع بالتوكل عليه » .



محسنات

الشريعة والحقيقة متلازمان كتلازم الروح والجسد ، والمؤمن الكامل هو الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة مقتفياً بذلك اثر الرسول الأعظم ﷺ قال تعالى : **﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾** وللولصول إلى هذا المقام الرفيع والإيمان الكامل لا بد من سلوك الطريقة من خلال مجاهدة النفس وتصعيد صفاتها الناقصة إلى صفاتٍ كاملةٍ والترقي في مقامات الكمال بصحبة شيخ عارفٍ مرشدٍ كامل ، فهي أي الطريقة الجسر الموصل من الشريعة إلى الحقيقة .



التغيير هو الحلم الذي يراود المستضعفين ليتخلصوا من الذل والهوان الذي يفرضه المستكبرون . وهو الأمل الذي يتطلع إليه الطامحون إلى التطوير والتحسين والتنافس على درجات المجد والتمكين وقد درج كثير ممن تناولوا هذا الموضوع على إبراز مسؤولية الإنسان ومركزية جهده في إحداث التغيير ، وذلك إستناداً إلى مدلول الآية الكريمة وصياغتها الشرطية (إِنْ لِلّٰهِ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وقد دأب المتحدثون عن التغيير من الإسلاميين على التركيز على الشأن الفكري والثقافي باعتبار أن التغيير الإنساني المطلوب لما بالنفس يتضمن حصراً الأفكار والظنون والعقائد والتصورات ، كما قرر ذلك بشكل صريح الأستاذ جودت سعيد في كتابه الذي عالج فيه هذا الموضوع .

وقد بين الأستاذ جودت في مقدمة الطبعة الرابعة من كتابه (حتى يغيروا ما بأنفسهم) أن موضوع التغيير يشتمل على جوانب، أولها هل التغيير ممكن؟ وإذا كان ممكناً فهل له سنن؟ والثاني كيف أغير أو كيف يحدث التغيير؟ والجانب الثالث ماذا أغير؟ ثم أوضح أن الكتاب والمعالجة التي يتناولها تتوجه إلى الجانب الأول ، أما الجانب الثاني والثالث من التغيير فليسوا القصد المباشر من الحديث إلا ما جاء في ثنايا الأمثلة على الجانب الأول .

النخبير...

محاولة رؤية شاملة

رياض أدهمي

حاولنا ردم الفجوة التي تفصل المسلم عن الفهم المطلوب لعملية التغيير وكيفية التغيير ومراحله وخطواته ومده . و قد استعمل القرآن الكريم الحرف (في) للدلالة على كل ما تضره القلوب وتكنه الصدور في مثل قوله تعالى : (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) ... (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) ... (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) ... (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) . ولكن القرآن الكريم في آيات التغيير الإنساني المطلوب استعمل التعدية بحرف الباء . فهل هناك فرق بين الحرفين في الدلالة والمعنى . و هل لهذا الفرق من دلالة تنعكس على مجال التغيير ومده وعناصره ووسائله ؟ قد يكون من المفيد معرفة استعمالات حرف الباء و معانيها في لغة العرب . والتي قد تفتح باباً من الفهم على مجالات وآفاق التغيير المطلوب . فمن معاني حرف الباء الملابس والإلصاق . وعند التأمل في ما يعكسه استعمال هذا الحرف بهذا المعنى في هذا المقام نرى أن مجال التغيير لا ينحصر بما في النفس من الأفكار والظنون والمفاهيم بل يتعداه ليشمل كل ما يلبس النفس ويلتصق بها . وعند ذلك يصبح كل ما يرتبط بالنفس من عادات التفكير ومهارات العمل والإنجاز وطرق التواصل والتفاهم وآليات الوصول إلى قرار وآليات حل الخلافات والنزاعات وأولويات الإنفاق وعادات الإستهلاك ومعايير الشرف والحظوة والرفعة . وكل ما يتعلق بتذوق الجمال ومزاج الإستمتاع والترويح وعادات النظافة وتوجهات الإدارة والنظام كل ذلك وكثير غيره هو ما يتصل بالنفس ويلابسها ويلتصق بها . و كل ذلك يمثل مجالات للتغيير و المجاهدة ومجالات لتحري الصواب فيها و معرفة مواطن الخلل وانعكاسات الفشل والقصور والتراجع .

وإذا راجعنا تراث سيد قطب (رحمه الله) في هذا الموضوع وخاصة في كتابيه (هذا الدين) و (معالم في الطريق) وجدنا أن الطرح لا يختلف كثيراً في جوهره عما قدمه جودت سعيد . فالجهد البشري هو الطريق لتحقيق المنهج القرآني مع الجدية في الأخذ بالقرآن وأولوية التصور الإعتقادي في عملية التغيير في إطار الجهد الجماعي المتميز عن الجاهلية والجاهليين . وفيما عدا هذه التوجهات الإعتقادية فهناك إichاءات كثيرة بعدم جدوى الحديث أو التفكير في التفاصيل العملية . وفي هذا المقال سأحاول إلقاء بعض الأضواء على هذا الموضوع . وأتناوله من النقطة التي تركه عندها الأستاذ جودت وأمثاله من الرواد . فقد كان اهتمامهم منصباً على بيان إمكانية التغيير لإستنقاذ المسلمين من العطالة والنظرة الجبرية القدرية التي تسلب الإنسان الفعالية والجدية في معالجة عيوبه على المستوى الفردي و الجماعي على حد سواء . و يبدو أن الذين عاجلوا موضوع التغيير من المفكرين والكتّاب قد انطلقوا من افتراض ضمني حدد لهم مجال التفكير والنظر وهو أن مدلول حرف الباء وحرف (في) هو واحد في سياق الآية الكريمة . وكأن المعنى هو: حتى يغيروا ما في أنفسهم . وعندها لا غرابة في أن تأخذ الأفكار والظنون والعقائد والمفاهيم دوراً مركزياً في الحديث عن التغيير ودور الإنسان فيه . وعندما يتم اختزال الشأن الفكري والثقافي في قضية التغيير الإنساني المطلوب إلى ما يسمى العقيدة وعندما تختزل العقيدة إلى مجموعة من الصياغات الحرفية و اللفظية في مسائل شكلت خطوط المواجهة بين الفرق والمدارس والمذاهب . و عندها يغيب في خضم المعارك الكلامية حول الألفاظ والعبارات مدلول العقيدة الذي يزكي القلب ويدفع للعمل و يضبط رعونات النفس تفقد الدعوة إلى التغيير زخمها وإشعاعها وتفقد الدعوة إلى التغيير وبيان مسؤولية الإنسان فيه معناها ومصداقيتها مهما

النفس والروح

يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير جواداً ، وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً له و طبعاً فيتيسر عليه . وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً خُصِّل بهذا الطريق وقد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة ، وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً لتصير طبعاً انتهاءً . وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح - أعني النفس والبدن - فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة . وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه إلى القلب أثر . فمن أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية - حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي حسن الخط ، فيتشبه بالكاتب تكلفاً ، ثم لا يزال عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه ، فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الإبتداء تكلفاً . وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير له طبعاً ، فلا علاج له إلا ذلك . وما سما الإمام الغزالي تكلفاً هو - بلغة العصر - التدريب الواعي المستمر والمحاولة الدائبة لاكتساب المهارات والخبرات الفكرية والعملية لتصبح عادةً و طبعاً أصيلاً في كل ناحية يجد الإنسان فيها من نفسه جهلاً أو عجزاً أو قصوراً في كل مجالات الفعل الفردي والإجتماعي . ويحصل التغيير على المستوى الفردي بشكل مباشر، أما على المستوى الجماعي فلا بد أن يأخذ التغيير المكتسب مداه الإجتماعي وصيغته الجماعية حتى يصل المجتمع في أغلب أفرادها إلى هيئة نفسية راسخة اكتسبت الخبرات والمهارات الفردية واكتسبت كذلك التوجه الجماعي الذي يمكنها من أن تتفاعل مع كل ما حولها من منطلق و مقتضيات الخبرات والمهارات . عند ذلك يحدث التغيير في مجال كل خبرة ومهارة تم خصيلها وإتقانها . ومجالات التغيير وما ينبغي إعادة النظر في طريقة أدائه ووسائل رعايته ليس مجالاً للحدس والظن والتخمين ، فالوسائل تقيّم بنتائجها ، والنتائج هي معيار صحة المقدمات و نجاعة الأسباب . فكل ما يثير الشكوى والتذمر من عسر أو مشقة أو عدم كفاية أو تخلف عن أداء الوظائف ورعاية المصالح لا بد من إعادة النظر في مقدماته ولا بد من امتلاك الخبرات والمهارات اللازمة لتشخيص الحال وإعادة الأمور إلى نصابها فيه ، وذلك في إطار منهجية

إن فهم التغيير بهذا الشكل يقطع الطريق على محاولات الإختزال التي تنشر الوهم بأن أحاد الأفكار أو الآراء أو المفاهيم قادرة على إحداث التغيير بالحجم الذي يرد العافية إلى الأمة التي ضربها الوهن في كل مجال وعلى كل صعيد . ولعل ما يرشح هذا المعنى ويزيده وضوحاً أن معنى النفس في كثير من آيات القرآن الكريم يدل على القلب أو العقل أو الصدر أو ما يمكن أن نعرفه بعنصر الإرادة والفهم والإدراك في الذات الإنسانية وهذا هو المعنى المتبادر للنفس عند استعمال التعدية بالحرف (في) . وهذا هو المعنى للنفس الذي أشار إليه الإمام الغزالي في كتاب عجائب القلب و الذي يشترك مع القلب و العقل للدلالة على اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان . أما عند استعمال النفس مع حروف أخرى أو بدون تعدية ، فللنفس عند ذلك معنى آخر يدل على الذات الجماعية أو الوضع الإجتماعي العام و ما يلبس القوم في شؤون حياتهم و معاشهم . و ليتأمل القارئ قوله تعالى . . رسولاً من أنفسهم . . . ظلموا أنفسهم . . . فلا تزكوا أنفسكم جاهدون بأموالكم و أنفسكم . . . فالنفس في هذه المواضع لا يمكن حمل معناها ليكون موازياً للقلب أو العقل . و على هذا فإن المعنى الذي يترشح من استبعاد حصر معنى النفس في سياق آية التغيير بمعنى العقل أو القلب ، أن التغيير المطلوب يتناول الذات الجماعية بكل عناصرها و الوضع الإجتماعي بكل تدخلاته و ما يلبسه . و يبقى التغيير لما « في » النفس بمعنى عقد العزم وصدق الإرادة وتأكيد النية و خلوص التوجه لإحداث التغيير في كل مجالات ما يتصل بالنفس و المجتمع ، و الإحتراز عن العوائق النفسية والممانعات التي تقاوم التغيير استجابة لضغوط الجهل و الإلف والعادة و استهجان الجديد المخالف . . . يبقى هذا شرطاً لا بد منه لأي تغيير و لكنه لا يتضخم - ليخرج عن كونه شرطاً - ليحل محل التغيير الحقيقي المطلوب في كل مجالات التفكير والعمل و ما يتضمن من المهارات و الخبرات و الوسائل والطرق وتوجهات الإتصال و الإدارة و التنظيم . وفي هذا السياق يصبح كلام الإمام الغزالي في كتاب (الإحياء) متوجهاً ونافعاً ويلقي الضوء على الطريقة العملية لإحداث التغيير في كل المجالات التي يحس الناس بضرورة التحسين والتطوير فيها . ذكر الإمام الغزالي في كتاب عجائب القلب من (الإحياء) أن اكتساب الأخلاق - و مثلها المهارات والخبرات - يكون بالرياضة والمجاهدة ، وذلك يعني حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب . فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود ، فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال ، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى

غيرها لا يمكن تغييرها إلى الكفاية والنظام والنظافة والسعة والأمن والإزدهار بمجرد الوعظ والترغيب بفوائد الأمن والنظافة والعلم . إذ لا بد من أن ينخرط جميع أبناء الأمة في توجهٍ جادٍ لتغيير عادات الإستهلاك وترشيده أولويات الإنفاق وامتلاك المعرفة بطرق الإنتاج ووسائل التنفيذ لمعالجة ما يتوفر في البيئة المحلية من موارد وثروات وإمكانيات . كل ذلك بالتزام صارم بالتخطيط والمتابعة والمحاسبة وكل متطلبات الإدارة الناجحة . وباعتماد التشاور والتناصح والمشاركة لتحديد معالم رؤية للتنمية والتطوير تنطلق من الحاضر وتؤسس لخبرات ومهارات الأداء الفعال وتعتمد على عادات التفكير العلمي المنهجي وآليات الوصول إلى قرار يراعي الحد الأدنى من الكفاية والحد الأعلى من المشاركة للغالبية العظمى من الأمة بعيداً عن الوصاية والإقصاء .

وعندما تنتشر ثقافة التغيير على هذا النحو تبدأ رحلة الألف ميل بخطوة جادة على مستوى كل فرد مهما كان شأنه وعمله ومهنته . حباً للإتقان وإقبالاً على اكتساب الخبرات وتعلّم المهارات وشغفاً بالقراءة والتعلم واستباقاً للخير وتنافساً فيما ينفع الناس والتطلع إلى فضل الله بالتغيير والعزة والتمكين إنطلاقاً من توجيه النبي الكريم (تؤدون الذي عليكم و تسألون الله الذي لكم) . إن هذه التوجهات العملية والفكرية والأخلاقية تمثل البداية التي تضمن تراكم الخير ووضوح الطريق لمعرفة مجالات العمل والبناء والتحسين والتطوير . ويبقى الإهتمام والغيرة على الصالح العام والشأن العام واحترام الفضاء الإجتماعي وحقوق الآخرين هو الإطار الذي يكفل العافية لنمو التوجهات العملية الجماعية بعيداً عن الأنانية والعدوان . إن هذا الفهم لمضمون التغيير وطريقته لا يدع مجالاً لإنتظار ما يحدث بعيداً عن الفرد . فهناك الكثير من المهارات والخبرات يستطيع الفرد أن يكتسبها ليكون كفئاً لسد كفاية من الكفايات . فأكثر الناس لا يتحسسون مواضع عطالتهم وانعدام فعاليتهم فيغري بهم هذا أن يتصوروا أن أي حديث عن التغيير لا يخصهم بل يجب أن يبدأ التغيير من الآخرين أو الظروف والأوضاع . وقد يكون أول ما يجب من العمل في طريق التغيير هو تنمية القدرة على العمل الجماعي وتنسيق الجهود ونشر روح التعاون وتوزيع العمل في إطار أمور لا تعوزنا فيها المهارات الفردية أو الخبرات الشخصية ولكننا لا نحسن وضعها في إطار جامع ينظر إلى الوسائل في إطار الأهداف وينظر إلى التفاصيل ضمن رؤية واضحة للأولويات .

سننية صارمة لا تدع مجالاً للخراقة والتمني والتواكل . وقد تكون الخبرات والمهارات وطريقة خصيلها أو التدريب عليها متيسرة موجودة عند استعراض أحوال وممارسات المجتمعات التي لا تعاني مما يشكو الناس منه و يتذمرون . وعند ذلك لا بد من الاستفادة من تجربتهم وملاحظة أسباب نجاحهم وما استخدموه من وسائل لرعاية المصالح و تحقيق الوظائف . و من ثم إعداد العدة لمباشرة الأسباب وإتقان الوسائل وطرق ممارستها والتدريب على مقتضياتها و متطلباتها ضمن السياق الفكري والعملية والإجتماعي الخاص . ويجب الحذر من الوهم أن نقل الوسائل من بيئات أخرى وسياق حضاري آخر يمكن أن يحدث التغيير المطلوب إذا اهمد الجهد المطلوب للتكيف مع البيئة الخاصة . وعندما يفهم التغيير بهذا الشكل يتوقف التلاوم وإلقاء التبعة والمسؤولية على فئة من الأمة دون أخرى . فالكل مسؤول والكل مطالب بتحديد مجالات القصور و النقص وفهم عواملها وأسبابها كل في مهنته وعمله وما أقامه الله فيه . وهنا لا بد من وجود إطار جماعي وجهد جماعي يتولى إعداد خطة للتدريب وأهداف للإتجاز ومهارات للإكتساب يساهم الفرد فيها ويشترك في تحقيقها بروح عالية من الشعور بالمسؤولية و جدية في تحمل الأعباء والتبعات . وعلى سبيل المثال . فإن الواقع الصحي لاجتماع من المجتمعات يمكن تغييره إلى آفاق راقية عندما ينتشر الإيمان بأن قدر المرض يرد بقدر الدواء والعلاج . وعندما يتولى التعليم نشر ثقافة الوقاية والنظافة ومحاربة العادات السيئة . وعندما يتولى النظام العام نشر ثقافة السلامة والأمان ويفرض تدابير رعايتها و الإلزام بها . ويتولى أصحاب المعرفة الطبية مهمة تحديد أسباب انتشار الأوبئة والأمراض واقتراح المعالجات الطبية المناسبة . ويتولى أصحاب الفكر الإداري و النظر التنظيمي تحييص ما يتوفر من الإمكانيات لإقتراح وتطوير نظام لتأمين الخدمة الطبية لمن يحتاجونها . . . كل ذلك بجهد منظم واع مدروس . يستند إلى معطيات علمية وبشرية ومالية وخطة متدرجة . و بعد ذلك يتلمس الناس التغيير في الواقع الصحي بانخفاض عدد الإصابات وانخفاض عدد الحوادث و القضاء على بعض الأمراض وغير ذلك من النتائج التي لم تكن ممكنة بغير الجهد والمساهمة الواعية لكل فرد من أفراد المجتمع على تفاوت في مقدار المساهمة وأهميتها . وعند التأمل في هذا المثال عن تغيير الواقع الصحي في مجتمع من المجتمعات . نجد أن تغيير أحوال الأمة في كل ما تشكو منه ينطبق إلى حد كبير على هذا المثال . فأزمة السكن ومشكلة البطالة وانتشار الأمية ومشكلة قذارة الأماكن العامة وكثير

تمكين

المرأة غير مرفوض إسلامياً.. بل واجب وممكن

الدكتورة ليلي أحمد الأحذب

يعترض بعض المثقفين على مصطلح (تمكين المرأة) بسبب اعتقادهم أنه مصطلح غربي له تبعاته في المساواة الكلية بين الجنسين ، وهو الحال نفسه بالنسبة لاعتراضهم على مصطلح (تحرير المرأة) مع أن المصطلح الأخير يمكن أن يعني تحريرها من الاضطهاد ورفع الظلم عنها ، وهو ما يرادفه معنى (تمكين المرأة) أي تمكينها من حقوقها ، وكلمة (تمكين) ليست غريبة بحتة لنرفضها ، بل لقد تكرّر ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من مكان ، فهي ليست كلمة وافدة أو جديدة على اللغة العربية ، ولا معناها بغريب عن مفاهيم حقوق الإنسان التي أنزلت الشريعة الإسلامية لحفظها دون أن يحيف الناس بعضهم على بعض ؛ وإذا كان من واجبنا أن نأخذ من مفاهيم حقوق الإنسان الغربية ما يتواءم مع شريعتنا ويتسق مع تعاليم ديننا دون أن يعني ذلك التمتع بالحقوق بشكل فوضوي، فإنه ينبغي أن نطبق كل ما من شأنه مساعدة المرأة على التمكن من حقوقها كاملة غير منقوصة .



هذا يختلف من أسرة لأخرى وحسب نمط التربية الذي تلقاه هؤلاء الإخوة . فمنهم من يفضل أخته على نفسه . ولكن منهم أيضاً من يعتبرها عالة عليه . وبعيداً عن الحد المتطرف في هذه الناحية أو تلك . فإننا لا ننسى تلك المشكلات التي تثار بين الأخت وبين زوجة أخيها . ما يدفع العانس إلى البحث عن ملجأ . بعيداً عن تسلط الإخوة وألسنة زوجاتهم . ومن هنا ظهرت أشكال من سكنى العازبات بشكل منفرد أو مشترك مع أخريات . خاصة عندما تكون إحداهن قادرة على الاستقلال المادي . وهي أشكال لم تكن معروفة في أي مجتمع عربي . ولكنها أصبحت موجودة حتى في المجتمع السعودي رغم ما هو عليه من محافظة .

إذا أتينا إلى موضوع الإنفاق في الأسرة بين الزوج والزوجة فالوضع القائم حالياً هو طمع بعض الأزواج - أو أغلبهم - في مال الزوجة بل إن منهم من يعتبر ما تدخله الزوجة حقاً له لأنها تقطع الوقت المخصص للكسب أو للعمل من الوقت الذي يجب أن تخصصه لخدمته . ولكن الفقهاء مختلفين على خدمة الزوجة لزوجها وهل هي حق مكتسب له أم لا . إذ إن منهم من يراها تفضلاً من الزوجة . وفي المجتمعات الخليجية قد لا تظهر هذه المشكلة بقدر المجتمعات العربية الأخرى حيث تكدح المرأة داخل

نقرأ - ونسمع - كثيراً أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها ورفع مكانتها . ولا ريب أن هذا كلام صحيح . إذا قارنا بما كانت عليه المرأة في الجاهلية قبل الإسلام مع ما نالته في العهد النبوي لكن إذا نظرنا حالياً إلى تطبيق المسلمين لتعاليم الإسلام لرأينا بوناً شاسعاً بينها وبين حال المرأة اليوم في كثير من بقاعنا العربية والإسلامية . فقد تاهت منا كيفية تمكين المرأة من حقوقها بسبب تطاول الفترة بيننا وبين زمان تاريخي مضيء ؛ وليس في الأمر أية مبالغة إذا قلنا أن الانحراف في تطبيق حقوق المرأة أو تمكين المرأة بدأ بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بقليل ويكفي مثالا على ذلك الجدال الذي جرى بين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وبين ابنه الذي سمع أباه يروي حديث: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) فقال: (والله لنمنعهن أو يتخذنه دُعلاً) فسبه أبوه سباً شديداً وقال له: (أقول: قال رسول الله وتقول: والله لنمنعهن) وفي تنمة الحديث أن عبد الله لم يكلم ابنه هذا حتى مات . فمن هذا الحديث يبدو لنا أن غير ابن عبد الله الشديدة - أو ظنّه السيئ بالنساء- جعلته يرفض كلام الرسول عليه الصلاة والسلام . رغم وجود الأب الصالح . فكيف هو الحال إذاً بعد رحيل ابن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة الذين ما فتئوا يبينون الحق للناس . بينما ظل فريق آخر ينكرون هذا الحق أو يغيبونه كله أو بعضه ؟

تختلف حقوق الأنثى في الأسرة عن حقوق أخيها الذكر في شيء واحد هو الإرث حيث يرث الذكر ضعف ما ترثه الأنثى . وذلك لأنه هو المكلف بتقديم المهر والإنفاق على أسرته بعد الزواج . وهذا الإنفاق هو أحد شرطي القوامة التي تجعل عقدة الطلاق بيد الزوج ومن هنا يمكن الاستنتاج أن هذه الأمور أي الإرث والإنفاق والطلاق متعلقة ببعضها بعضاً . لذلك فإن المساواة في شريعة الإرث بحسب مطالب دعاة تمكين المرأة على الطريقة الغربية

سوف يعني إنفاق الزوجة على الأسرة كالزوج وفي هذا إشغالها عن مهامها تجاه الزوج والأولاد . عدا أن تطبيق قانون (من ينفق يشرف) يجعل قوامة الرجل مجروحة إذ تشاركه بها المرأة . كما أن الطلاق بدوره يكون حقاً متساوياً للطرفين . إذا نظرنا بواقعية إلى ما يحدث في الأسر العربية نجد أن العبارة القرآنية: (للذكر مثل حق الأنثيين) قد أصبحت قانوناً عاماً في كثير من الأمور وليس فقط في الإرث . كما نجد أن الإخوة - كلهم أو بعضهم - لا يعرفون من الشرع إلا هذه الآية . بل إن منهم من يخول لنفسه وضع اليد على كل ما تملكه أخته من إرث وغيره . وإذا بحثنا عن إنفاق الأخ على أخته وهو الذي يبرر أن يرث ضعف ما ترثه . فإننا في الواقع نجد بعض الإخوة - وربما أكثرهم - يتبرمون بالإنفاق على أخواتهم . ولنا في وضع العوانس خير مثال . إذ تضطر العانس بعد وفاة والديها أن تعيش في منزل أحد إخوتها . أو أن تنتقل من منزل أحدهم إلى منزل الآخر بشكل دوري . وبالطبع فإن



تأخذ المرأة أصلاً بل كتبته على الرجل كضمان لحقها في الخلع أو طلب الطلاق . وهذا الشكل من المهر يساعد في تخفيف عدد النساء المعلقات أو الراغبات في الطلاق إلى حد كبير .

من موضوع القوامة تأتي إلى موضوع الولاية . فالوصاية على الفتاة القاصر التي لم تبلغ سن الرشد هي غير الولاية على المرأة الراشدة . وهذه الولاية تقتصر على عقد نكاحها . حيث يضمن ولي أمرها حقوقها التي تستحي أن تطالب بها أو بكتابتها في حال تولت عقد نكاح نفسها - والمذهب الحنفي يسمح لها بذلك - ولكن كثيراً ما يتعنت ولي الأمر ويعضل موليته ويحرمها من حقها في الزواج . ومع أن للمرأة الحق أن تشكو وليها للقاضي بحيث يحكم بينهما ويولي عليها من يجده أهلاً لذلك من أرحامها أو يكون هو - أي القاضي - وليها . فإن هذه الحالات التي يتميز بها القاضي بالشجاعة والمسؤولية قليلة جداً ولذا لا ينبغي إغفال الإشارة إليها . وعلى هذا يجب لفت الأنظار إلى حادثة فريدة لشكر القاضي بالحكمة العامة بجدة الذي أسقط ولاية أب عضل ابنته من الزواج . كما يتوجب شكر محكمة التمييز التي رفعت لها الأب دعوى عدم قناعته بالحكم فصّدت المحكمة الحكم وأسقطت ولاية الأب العاضل . وهذه الحادثة دليل على أن تمكين المرأة من حقها واجب ويمكن إذا تعهد كل منا بمسؤولياته ولم يتخل عنها .

البيت وخارجه بسبب عجزها عن حَمْل راتب الخادمة . ومع ذلك فإن المجتمعات العربية تشترك في الكثير من المشكلات ومنها اختلاف الزوجين على أولويات الإنفاق . فإذا اعتبرنا أن مفهوم القوامة يجعل القرار الأخير للرجل في البيت . فما هو الحكم إذا كانت المرأة تنفق مثل الرجل أو أكثر منه ؟ وقد يصاغ السؤال بشكل فقهي للايضاح أكثر : إذا كانت العلة مرتبطة بالحكم كارتباط السبب بالنتيجة . فهل إذا غاب إنفاق الرجل على البيت تغيب قوامته أيضاً ؟

شخصياً لا أرى الإجابة «نعم» مرضية لفطرة الرجل والمرأة . بل من الأفضل أن تبقى القوامة محفوظة للزوج بشرط أن يذكر لزوجته هذا الفضل أو أن يعتبر ما تنفقه ديناً في عنقه برده لها متى استطاع - وقد أشرت في مقالتي حول مدونة الأسرة المغربية كيف استطاع القانون المغربي أن يضمن للطرفين المنفقين حقوقهما - وهذا الرأي درءاً لتصادم سؤال بخصوص عقدة الطلاق: هل تصبح في يد المرأة القوامة مثلاً ؟ وهو سؤال يفرضه واقع كثير من الأسر العربية التي أهملت قول الله تعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم) . بينما يسخر منه الذين لا يرون الخلع حقاً أصيلاً للمرأة مع أنه موجود بنص شرعي في القرآن والسنة كما في الآية الكريمة : (فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) . والحديث الشريف: (ردّي عليه الحديقة وطلّقها تطليقة) أي أن المرأة يمكنها أن ترد المهر وتحصل على الطلاق . وقد خصّصت جريدة الوطن تحقيقاً كاملاً للمصاعب التي تعترض طريق المرأة إذا طلبت الخلع . ودائماً يتكرّر سؤال المرأة التي تريد الطلاق: كيف تردّ المهر الذي ربما أخذه ولي أمرها أو تم صرفه على حفلة هنا وملابس هناك ؟ والمطلقات يتحولن إلى معلقات بسبب الخطأ في فهم الشرع الذي يخول المرأة لا الخلع فحسب . بل طلب الطلاق للضرر . وهو الشكل الذي تستطيع معه المرأة أن تنال الطلاق وتحصل على كامل حقوقها من مهر مؤجل ونفقة المتعة وغيرهما . ولكن - للأسف - هذا الشكل من الطلاق أندر من النادر في

المسلمة . ولا تستطيع على الطلاق إلا بالتنازل عن كافة حقوقها ولذلك يجري التعارف في بعض المجتمعات على وضع القسم الأكبر من المهر تحت مسمى «غير مقبوض» . فيكون كالدين في ذمة الزوج لا تطالب به المرأة إلا عندما يبدأ الرجل اللعب بها وتهديد كيان الأسرة . وعندها يُرغم على واحد من اثنين: إما طلاق المرأة أو دفع هذا المبلغ الذي لم

مجتمعاتنا العربية
المرأة الحصول





البنين

بدعاء رب العالمين

ولكن هذه السعادة لا تكتمل عند المؤمنين إلا بصلاح أبنائهم. بل وذرياتهم من الأجيال الممتدة. وبذلك وصفهم الله تعالى مادحاً لهم في كتابه العزيز. وقد نسبهم إلى نفسه سبحانه فقال : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناَ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)...إلى أن قال عز وجل: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) - الفرقان .

قال ابن عباس رضي الله عنه: (يعنون : من يعمل بطاعة الله فتقرّ به أعينهم في الدنيا والآخرة) .
قال عكرمة رحمه الله: (لم يريدوا صباحة ولا جمالاً ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين) .

إن من أكبر نعم الله تعالى على عباده نعمة البنين. تفرح قلوبنا بهم صغاراً ، ويشدّ الله بهم من أزرنا كباراً. ونرى فيهم امتداداً لنا. فملامح كثيرة من نفوسنا تنطبع على صفحات نفوسهم: فنطرب ونحن نستمع إلى واصفهم يقول: من شابه أباه فما ظلم!!

سحر شعير



وقال ابن جرير رحمه الله: (يعبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر) .

ولقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال: (أن يرى الله تعالى العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمه طاعة الله، لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولداً أو ولد ولد (حفيد) أو أختاً أو حميماً مطيعاً لله عز وجل) .

وكان هذا هو نهج الأنبياء الكرام عليهم صلوات الله وسلامه : والأنبياء عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه هم أعبد الناس للرحمن جل وعلا. لذلك نراهم أكثر الخلق اهتماماً ببيوتهم وأحرصهم على صلاح ذرياتهم. ولأنهم أدركوا دور الدعاء في استقامة الأبناء وعلاج عيوبهم حتى أنهم دعوا الله تعالى من أجلهم قبل أن يولدوا!!

فهذا سيدنا إبراهيم يرفع أكف الضراعة طالباً من الله تعالى أن يرزقه أبناء صالحين مصلحين قال: (رب هب لي من الصالحين)- الصافات ١٠٠ - يعنى ارزقني ولداً صالحاً. فكانت الاستجابة من الله تعالى وآتاه ما سأل: (فبشرناه بغلام عليم). ولقد ظل خليل الله يتعهد أبناءه و ذريته بالدعوات الصالحة طوال حياتهم. قال تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام. رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم . ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون. ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء. الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي سميع الدعاء. رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)-سورة إبراهيم ٣٥: ٤١ .

وعلى نفس الطريق سار سيدنا زكريا عليه السلام. إذ دعا الله تعالى لأبنائه قبل أن يولدوا قائلاً: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) ثم نراه يدعو الله تعالى أن يرزقه ولداً صالحاً مرضياً عند الله وعند الناس. يتحمل معه أعباء النبوة والدعوة إلى توحيد الخالق سبحانه قائلاً: (قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً. وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً. يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً» ولقد استجاب الله تعالى لدعائه. وحملت الملائكة إليه البشرى بالولد والنبي الصالح:

«فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسبوا ونبياً من الصالحين»- آل عمران: ٣٩-

وهدي نبينا صلى الله عليه وسلم من بعدهم هو الدعاء للبنين: فقد كان صلى الله عليه وسلم شديد العناية بالأطفال. دائم الرعاية والتوجيه لهم. يدعو لهم وينهى عن الدعاء عليهم. يدعو لهم في كل وقت حتى من قبل أن يولدوا. فقد روي أنه كان : - يدعو لهم وهم في ألابأبائهم :

وذلك لما رآه المشركون من أهل الطائف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام وآذوه ورموه بالحجارة. أرسل الله إليه ملك الجبال يعرض عليه أن يطبق عليهم الأخشبين (جبلين بمكة) عندها قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً). وقد حقق الله تعالى رجاء نبيه بإسلام أبنائهم .

ويوجه المسلمين إلى الدعاء لأبنائهم منذ إرادة الجماع والولد مازال في علم الغيب مبيناً أن ذلك من أسباب صلاح الولد قائلاً: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله. اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فيولد بينهما ولد. فلا يصيبه الشيطان أبداً) - ويدعو للصغار وهم نطفة في رحم الأم :

فعن عباية بن رفاعة. عن أم سليم رضي الله عنها قالت: توفي ابن لي وزوجي غائب. فقممت فسجيته في ناحية البيت. فقدم زوجي فقممت فتطبيت له فوق علي . ثم أتيته بطعام فجعل يأكل فقلت : ألا أعجبك من جيراننا ؟ قال: وما لهم؟ قلت : أعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال: بئس ما صنعوا. فقلت: هذا ابنك. فقال: لا جرم لا تغلبيني على الصبر الليلة. فلما أصبح غدا على رسول الله فأخبره. فقال: « اللهم بارك لهم في ليلتهم. فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة- يعني من أبنائهم- كلهم قد قرأ القرآن. وذلك ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم .

- ويدعو لهم عند ولادتهم :

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي كان يؤتى بالصبيان - تعني حديثي الولادة- فيحنكهم ويدعو لهم بالبركة .

وفي الصحيحين أن أسماء رضي الله عنها أتت النبي بولود لها.

تقول: حنكته بالتمر ثم دعا له

وبرك عليه». وفي هذا الحديث

بيان لمشروعية الذهاب بالمولود

إلى أهل الصلاح لينال من

دعائهم .

ويدعو لهم أثناء مخالطتهم

تشجيعاً وتثبيتاً لهم على الخير:

فعن أنس رضي الله عنه قال:

جاءت أمي أم أنس إلى رسول



الله صلى الله عليه وسلم وقد آزرّني (ألبستني إزاراً) بنصف خمارها وردّني (ألبستني رداءً) بنصفه فقالت: يا رسول الله. هذا أنيس ابني أتيت بك يخدمك فادع الله له. فقال: (اللهم أكثر ماله وولده) . وفي رواية (وبارك له فيما أعطيته). قال أنس: فو الله إن ولدي وولد ولدي ليتعدّون على نحو المائة اليوم. -صحيح مسلم / كتاب فضائل الصحابة رقم: ٤٥٣١ .

ولنتأمل هنا كيف بنت وأسست أم سليم رضي الله عنها لابنها مستقبله في الدين والدنيا بالدعاء؟! إنه جيل الصحابة الفريد الذين أحسنوا الأخذ والفهم والتطبيق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويكافئ ابن عباس الغلام الصغير على إعداده لوضوء النبي قبل أن يطلبه بأن يدعو له. فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء قال فوضعت له وضوءاً. فقال: من وضع هذا؟ فأخبر. فقال: (اللهم فقهه في الدين) ويستجيب الله تعالى لدعائه لابن عباس ويصير حبر الأمة وترجمان القرآن .

وإذا كان هؤلاء هم قدوتنا وأسوتنا عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه يأمرنا الله تعالى بأن نقتدي بهم . قال تعالى: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .

ويخبرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة لنا في كل أمرنا قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) .

إن علينا أن ننتبه لأمر الدعاء للأبناء ونذكر أهميته كعامل هام جداً في صلاح الولد. ولهذا الجانب مزيد من التفصيل في الحلقة القادمة إن شاء الله .

إذا تأملنا في قول النبي صلى الله عليه وسلم (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) أدركنا أهمية الدعاء والتضرع إلى الله تعالى في صلاح الأبناء. إذ قلوبهم وقلوب العباد جميعاً بين يديه يقلبها كيفما يشاء. وهو سبحانه وحده الذي بيده هداية الخلق إلى صراطه المستقيم. ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يدعو في اليوم الواحد أكثر من سبعين مرة قائلاً: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) .

ولننظر كيف كان الدعاء هو الحل لكثير من المعضلات والمشاكل التربوية عند سلفنا الصالح رضي الله عنهم جميعاً. فلم تكن أمور التربية تسير عندهم بلا مشكلات كما يتصور البعض. ولكن كان لديهم الكثير من الصعاب في عملية التربية ولكنهم ذللوها بالدعاء الذي .

إذا بذلناه للولد صغيراً.. ظهر أثره عليه كبيراً :

فعن معاوية بن قرة قال : (لما ولد لي إياس. دعوت نضراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأطعمتهم. فدعوا. فقلت: إنكم قد دعوتهم. فبارك الله لكم فيما دعوتهم. وإني إن أدعو بدعاء فأمنوا. قال: فدعوت له بدعاء كثير في دينه وعقله وكذا. قال: فإني لأتعرّف فيه دعاء يومئذ) أي أنه يعرف ويجد فيه بعد ما كبر أثر دعائه له في هذا اليوم وهو صغير .

حوّل الدعاء الولد المتمرد المستعصي على التأديب والتربية إلى شاب صالح:

وهو ابن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى (من كبار التابعين وساداتهم) حيث اجتهد والده في تربيته اجتهداً كبيراً . وكان يأمل أن يكون صالحاً ورعاً تقياً ولكن الأمر صعب عليك فدعا الله تعالى قائلاً: (اللهم إني اجتهدت أن أؤدب علياً فلم أقدر على تأديبه. فأدبه لي) .. إنها مشكلة الكثير من الآباء اليوم. أن يبذل الوالد الحاني كل ما يستطيع تقريباً في تربية ولده ولكن لا يحالفه التوفيق. ولكن الفضيل هنا لم يأس ورفع أكف الضراعة لله تعالى . فكان التوفيق منه سبحانه إذ أصبح علي بن الفضيل بن عياض إماماً كابيه في العلم والزهد. فقال عنه



لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين. قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم (قيل في تفسيرها أنه وعدهم أنه سوف يدعو لهم ويستغفر لهم إذا جاء وقت السحر .

الدعاء عليهم على رأس قائمة المنوعات التبريرية :

فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحذير من الدعاء على الولد. فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تدعوا على أنفسكم . ولا تدعوا على أولادكم. ولا تدعوا على خدمكم. ولا تدعوا على أموالكم. لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم)- رواه مسلم/ كتاب الزهد والرقائق رقم: ٥٣٢٨ . وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك يشكو له عقوقه وتمرده. فقال له: هل دعوت عليه؟ قال الرجل: نعم. قال ابن المبارك: أنت أفسدته!.

وأخيراً.. أعزائي الآباء والأمهات :

إن أخطاء أبنائنا تحتاج إلى صبر ودعاء. ولا نقصد بالدعاء أن يكون مرة واحدة أو مرتين. ولكن علينا أن ندعو الله تعالى لهم ليلاً ونهاراً. سراً وجهاراً. ولا نياس من رحمة الله تعالى ولا نستعجل الإجابة. فربما تأتى الإجابة بعد شهور وسنين من الدعاء العريض. روى الإمام الذهبي عن التابعي الجليل مورو العجلي أنه قال: « لقد سألت الله حاجة عشرين سنة. فما شفّعني فيها (يعني ما أعطاني إياها) وما سئمت من الدعاء» إذن علينا أن نقرع أبواب السماء دائماً بالدعاء لأبنائنا والنضرة بلا ملل أو كلل. فإن من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له. ولنعلم أن الدعاء للأبناء يصلح أحوالهم. ويجبر كسرهم. ويعالج أخطائهم. ويحميهم من شرور الدنيا والآخرة. فهيا بنا نرفع أيدينا على الله تعالى نسأله أن يهديهم سواء السبيل وأن يجعلهم قرة أعين لنا في الدنيا والآخرة .

الإمام النسائي: (ثقة مأمون). وقال الحافظ أبوبكر الخطيب: (كان من الورع بمحل عظيم). وقال ابن المبارك : (خير الناس الفضيل بن عياض وخير منه ابنه علي). وعن سفيان ابن عيينة قال: (ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه) وأصبح الفتى عوناً لأبيه على التقى والزهد والورع. يخرجان معاً للصلاة والحج وأعمال الخير. يقيمان الليل ويصومان معاً. وهكذا أصبحت العلاقة بين الابن وأبيه إلى أن جاء اليوم الموعود. وفارق علي بن الفضيل الحياة سنة: ١٨٣ هجرية .

ولقد افتقده والده وحزن عليه كثيراً فها هو يحكي عنه بعد وفاته ويقول: قال لي علي يوماً: أسأل الذي جمعنا في الدنيا أن يجمعنا في الآخرة ثم بكى. فلم يزل منكسر القلب حزناً. ثم بكى الفضيل فقال : حبيبي يا من كان يساعدي على الحزن والبكاء. شكر الله لك ما قد علمه فيك. وهكذا ظل والده حزناً حتى لحق به بعد أربعة أعوام. حيث توفي الفضيل سنة: ١٨٧ هجرية .

بالدعاء نقضي على مشكلات أبنائنا الدراسية:

فقد حكى سليم بن أيوب بن سليم عن طفولته فقال: إنه كان في صغره بالري. وهي مدينة من مدن فارس. وله نحو من عشر سنين. فحضر بعض الشيوخ وهو يلقي (يعني يحفظ الصغار القرآن) فقال لي: تقدم فاقراً. فجهدت أن أقرأ الفاخة فلم أقدر على ذلك لانغلاق لساني (لأنه لم يكن يتكلم اللغة العربية) فقال: لك والد؟ قلت: نعم. قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم. قلت نعم. فرجعت فسألتها الدعاء فدعت لي. ثم إني كبرت ودخلت بغداد وقرأت بها العربية والفقه. ثم عدت إلى الري. فبينما أنا في الجامع أقابل مختصر المزني (يعني يشترك مع غيره في مناظرة حول شرح كتاب مختصر المزني ويتحدثون باللغة العربية) وإذا الشيخ قد حضر وسلم علينا وهو لا يعرفني. فسمع مقابلتنا وهو لا يعلم ماذا نقول. ثم قال: متى يتعلم مثل هذا؟ فأردت أن أقول: إن كانت لك والدة فقل لها تدعو لك. فاستحييت!

فلماذا لا نقتدي بأم سليم بن أيوب في الدعاء لأبنائنا فيم أغلق عليهم فهمه. أو صعب عليهم حفظه من المواد الدراسية ؟ لنجعل الدعاء هو ما نستعين به على صعوبات الدراسة والامتحانات التي يواجهها أبنائنا جميعاً .

دعاء الآباء سبب لغفرة ذنوب الأبناء:

فلقد قصّ علينا القرآن الكريم خبر أبناء يعقوب عليه السلام وما ألوا به من ذنب. فلما تاب الله عليهم وندموا على ما بدر منهم في حق أخيهام يوسف عليه السلام. استعانوا على تمام توبتهم بدعاء أبيهم واستغفاره لهم. قال تعالى: (قالوا يا أبانا استغفر

سليل النور

رجائي فيك يا قلبي كثيرٌ
وحظ سواك في قلبي قليلٌ
فما لي عن هواكم من بديلٍ
وما لي غير منهجكم سبيلٌ
لنا ربَّ حَمَانا في حِمانا
له طوعاً أتى فعل وقيلٌ
لنا عَلمٌ تعز به جِباةٌ
لنا قلمٌ خارب به عقولٌ
لنا من نسل علي إمامٌ
لنا ركن منيع لا يميلٌ
له في القلب حبٌّ ياعذول
تزول الراسيات ولا يزولُ
معاذ الله أن أنسى حبيباً
له في القلب سحبان هطولُ
وأنتم للتقى عزَّ وجاهٌ
وأنتم للعلا باعٌ طويلُ
وأنتم من سكنتم في فؤادي
لكم بين الحشا ظل ظليلُ

وادي حسين صالح

إن كنت

إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك .
وإن كنت في مجالس الناس فاحفظ لسانك .
وإن كنت في بيوت الناس فاحفظ بصرك .
وإن كنت على الطعام فاحفظ معدتك .

محمد عبد الحسين

من كلام الحسن البصري

قال الحسن البصري: «يا عجباً لقوم أمروا بالزاد. ونودوا بالرحيل
وحبس أولهم على آخرهم. وهم ينتظرون الورد على ربهم ثم
هم بعد ذلك في سكرة يعمهون» . (الزهد للحسن البصري ص ١٠) .

غيداء فاضل ناجي

قال حكيم

إن تعبت في البر فإن التعب
يزول والبر يبقى. وإن تلذذت
بالإثم فإن اللذة تزول ويبقى
الإثم .

ود النور الطيب

اثنان

إثنان لاتذكرهما أبداً :
إساءة الناس إليك .
وإحسانك إلى الناس .
وإثنان لاتنساهما أبداً :
الله تعالى .
والدار الآخرة .

حسن الخطيب

مشاركات القراء

السلام على أهل الله السلام على القلوب المجذوبة
للوحد الأوحى .
السلام على الأحبة في الطريقة القادرية الكسنزانية
نشكركم على هذا العمل المزكى المصطفى المعطر
المرقى المنقى .
نفعنا الله والمسلمين ببركة سيدي الجيلاني
والأقطاب .

السيد محمد الحسناني / الجزائر

إن لهذه المجلة في هذه المرحلة التي تمر بها الأمة دور كبير على طريق إحياء
حقيقة الدين التي من أركانها المحبة الصادقة ووحده الصف تمنياتي لكم
ولكل العاملين فيها بالموفقية والنجاح خدمةً لدين سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم تسليماً .

أبو جنيد / العراق

أنت المراد بعزتك وأنا المريد

أرنبوا وصالك يا عظيم فدلني
يا مالكاً روعي فكم تبقى بعيد
الهجر أضناني وأدمى مهجتي
والوجد يحرقني وآهاتي تعيد
سلام حازم

بريد الفتوى

نماذج من استفتاءات القراء الكرام
والتي سيجيب عليها فضيلة مفتي الديار
العراقية في العدد القادم إن شاء الله .

معاملات : ضمان و تحمل البيع على البائع أم على
المشتري ؟

أسرة : زواج الأفلام و المسلسلات هل يقع ؟

عقائد : هل يجوز الصلاة في المساجد التي تتوسطها
قبور الأولياء ؟

طب : وضع اللاصق الطبي الذي يمنع الشعور بالجوع
و العطش هل يخل بالصوم ؟

أخلاق : تغيير اسم العشيرة للحصول على وظيفة
أو النجاة من مهلكة هل يجوز ؟

عبادات : ما حكم دفع الزكاة عن طريق التبرع في المشاريع
الخيرية ؟

انترنت : ما هو حكم بيع المزايدة على الانترنت وبيع
الغائب ؟

الصوفية بين السلوك والمبدأ والكتابة الأدبية بلغتها



إن الفكر والسلوك التصوفي كان يعاني الكثير من الانكار ، بل والاضطهاد في عصور شتى.. بحكم أن الصوفيين لهم طريقتهم الخاصة في الطرح والسلوك والتقييم .. وأن لهم مبدأ ، أو عقيدة ، أو ما يشبه أن يكون عقيدة ، يملك المرء أن يميزها من بقية المعتقدات، حتى الدينية منها .. وللصوفية غريزة الولع بالمجهول ، أو غريزة الحنين إلى النائيات والأعالي .. وهذه الغريزة هي التي اكتشفت القارات البعيدة.. واكتشفت الكواكب ..

وليس من قبيل المبالغة أن يقال بأن التصوف ثورة بالفعل.. انه ثورة الاعماق على السطوح، أو ثورة ما هو اصلي في الانسان على الابتدال والتلون وسخف الواقع المادي البشع.. وافتقاره إلى ما ينعش ويوصل..

فالصوفية هي رد الفعل الذاتي ، أو الوجداني ، على مدن أصابها التخمّة فما عادت تصلح لاستضافة الروح ، لأنها منخورة بالفساد الاجتماعي، فليس من الصدفة أن يتشرد رجال التصوف في البراري .. وأن يعتكفوا في بيوتهم أو في زواياهم، متوارين عن الناس ، محجّمين عن الالتقاء بهم .. ففي المدن الكبرى يتكالب الناس على الثروات تكالبا ينتقص من إنسانيتهم، فضلاً عن انه يحيلهم جميعاً إلى عبدة .. وأن هناك شهاً كبيراً بين الصوفية والرومانسية ، إذ كلتاهما تمجد الوجدان على حساب العقل، وتمجد الطبيعة على حساب المجتمع.. وللصوفية لغتهم التي هي عصاره روح .. فالنسق في اللغة الصوفية قد يشابه نسق اللغة الفقهية أو اللغة الكلامية .. إلا انه يفترق عن اللغة الأدبية .. كما تفترق هذه اللغات جميعاً عن اللغة الفلسفية .

فلا يكاد المتصوف يقطع مسافة في منازل السائرين حتى تتعشق روحه العزلة ، وتتجافى عن المخالطة، ويعيش رحلته الوجدانية الحاصلة في عمق وحدته، وهذه الوحدة أو العزلة لها مردودان الأول أنها تمكن الصوفي من اكتشاف طريقه الخاص، ومن عيش تجربته الفردية .. والمردود الثاني للعزلة هو تفرد الصوفي في لغته الخاصة الناتجة عن تجربته المخصوصة لذلك قلما نجد صوفياً يرث تجربة أو لغة صوفي آخر، بل الكل يعبر عن حاله الخاص وعن تجربته الخاصة ، ولم يطالعنا في التاريخ الطويل للتصوف ، إلا ورثان فقط للغة ولتجربة، هما : الغزالي وابن عربي .. والأول ورث لغة المعاملة، أي أعمال القلوب

.. والثاني ورث لغة المكاشفة .. وقد اختلف الناس حول محيي الدين بن عربي.. وما أحرى أن يختلف الناس حول مثل هذا الصوفي البارز الذي كان يطرق تخوماً غير مسبوقه .. ويجتهد في أن يعبر فيها في ومفازات شبه مجهولة .. على طريق الوصول إلى المعرفة كما ينشدها وكما تهيات له عقلية .. وتهيأ له وجدانه .. ولا شك أن الصوفية ومنهم ابن عربي يستطيعون أن يهيمنون في مسالك الوجود وإذ يشغفون حباً بالله تعالى إذ يغوصون في بحار معرفة الوجود ..

فليس من قبيل الصدفة أن يكون أول كتاب صوفي كتاباً أخلاقياً وروحياً وذات لغة خاصة .. وهو كتاب (الرعايا لحقوق الله) الذي ألفه الحارث بن أسد المحاسبي ، أستاذ الجنيد .. وقد سمي بالمحاسبي لأنه اعتاد على محاسبة نفسه.. ودعا الناس إلى هذه المحاسبة .. أما لغة التعري وخطابه فانه يختلف كثيراً عن الموروث الصوفي العام وهو حوار بين طرفين، أولهما مطلق وثانيهما محدود .. فهو يكتب ما يشبه أن يكون ملحمة،

الصوفية بين السلوك والإبداع والكتابة الأدبية بلغتها



أو مسرحية ، تجري في داخل الوجدان وحده، فالنفري يأنف من العالم الخارجي، بل هو يمتك كل ما ينزع إلى التجسيد... وبفضل هذه المهمة الجليلة جاء الأسلوب مهيبا وقورا بأهله روح أرستقراطي رفيع ..

والنفري فريد من نوعه، لا يشبه أحدا ، ولا يشبه أحد من الكتاب الصوفيين الذين سبقوه أو عاصروه.. فلغته خاصة به وحده.. وحتى ثقافته لا تشبه ثقافة أخرى . إلا أن تكون من ثقافات منتهية أو مكتومة.. وأن أسلوبه النادر هو نتائج لخبرة حدسية وعملية باللغة العربية.. رغم تشكي النفري من قصور اللغة.. ومن عجزها عن أن تقول .. (كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة) .. (وقال لي: لا تقف في رؤيتي حتى تخرج من الحرف والمحروف) .. وقال: (لن تعرف من تسمع منه حتى يتعرف إليك بلا نطق) .. أن الرؤيا خروج من اللغة وما تؤشر إليه . وإلى ما لا يقال.. وإذا ما قيل لم يعد هو هو.. هل يستطيع الأديب أن يخرج عن مفردات قاموسه الخاص به ...؟ وإذا استطاع أن يكتب بلغة الصوفية ، هل يستطيع أن يهجر عالمه الخاص؟ ..

ويقطع العلائق عن متع الحياة..؟ وكيف يصرف الهواجس التي تدعوه إلى المسرة على ترك اللذات ..؟ وهل يعيش بعد حياته الصاخبة في فراغ وعزلة ..؟ وكيف يستأصل هموم الدنيا وشواغلها ..؟ لا شك أن اتخاذ مبدأ والكتابة عنه غير توظيف لغته .. وهذا ما جعل الكثير من الأدباء وخاصة الشعراء من توظيف اللغة الصوفية ، وتقمص شخصياتها .. ومن هؤلاء ادونيس وصلاح عبد الصبور والبياتي ويوسف القعيد وعادل عبد الله وحמיד المختار.. وادونيس تأثر بالتوحيدي صاحب الاشارات الالهية.. وخاصة رسالته (يا) التي تتحدث عن الغربة والغريب.. وعبد الصبور كتب مسرحية وظف الكثير فيها عن العلاج.. ويوسف القعيد أخذ الكثير من تراث الصوفية فلا تجد قصة من قصصه القصيرة تخلو من لغتهم.. وعبد الوهاب البياتي وظف الصوفية للثورية في دواوينه الأولى .. أما الأخير فالنفس الصوفي طاغ في أكثر قصائده.. بل هناك عبارات كاملة نقلها عن الجنيد ومنها: (وجهك في المرأة وجهان.. لا تكذب فان الله يراك في المرأة)، وقد سألته عندما زارنا في المكتبة الأدبية.. عن نقل هذه العبارة كاملة من الجنيد .. قال كنت معجبا جدا بها .. أما الشاعر عادل عبد الله ، فله أكثر من قصيدة وخاصة في ديوانه (بمناسبة وجودي حيا)، مكتوبة بالنفس الصوفي الفلسفي .. إلا انه أسقط عليها الكثير من

الأحداث المعاصرة.. ومن هذه القصائد: النفري ، محي الدين بن عربي ، مقام ، رؤيا .. نتأمل هذا المقطع من قصيدة النفري : (لا تكن في مريّة مما رأيت .. ولا تطع اسما دعاك.. فأن أطعت تكسرت مرآة نفسك في يديك)، فهو يتمسك بمبدأ أخلاقي لا يتنازل عنه .. ونقرأ في قصيدة محيي الدين هذه الأبيات التي تشبه الدعاء .. (لبيك ربي ما ظننت به عليها كرة معصية كما ظنت بظني.. بل خوف أن تردى النفوس فلا يغاث مقرب إن صاح بالافى اغثني ..)، ورغم أن حميد المختار عرف قاصا مبدعا منذ السبعينيات .. إلا أن قصيدته، (أيها الملاك هذه ترانيم أرواحنا) المنشورة في صحيفة الصباح العدد (٤٣٣) كشفت عن شعرية باذخة وذات نفس ولغة صوفية خالصة.. وقد كتبها في جمل قصيرة ومجزأة، تكاد تكون متساوية في الطول .. إلا أن كل واحدة منها تحمل معنى خاصا بها .. يقول في الترنيمة الأولى: (واسفاه الظلمة طردتني عنك.. وفي جوارك ضيائي ..)، وفي السادسة يقول: (ما فقدت الرؤية إذا امتنعت.. ولكنني أصبحت على حافة لا يجدي معها الاحتراق ..) وفي الرابع عشرة يقول: (اللهم امدد لي حبال التدلي.. فقلبي محاصر باقواس لا حدود لها.. لا شك ان الكثير من الأدباء الذين تأثروا بالصوفية ولغتها لم يعيشوا أجواء الصوفية وخلواتها.. إلا أنهم عاشوا مع روح اللغة.. فلا مراء في أن اللغة هي الحقيقة الروحية المطلقة إذ لا روح بغير لغة.. ولا لغة بغير روح ..

الفرق بين القاموس والمعجم

الأستاذ رشيد المناوي

المعجم العربي الماهية والوظيفة

تتوافر في الخزانة العربية طائفة من الكنوز . وتعد المعاجم العربية أول هذه الكنوز التي حافظت على الثروة اللفظية العربية لمدة ستة عشر قرناً من الزمن . ودور هذه المعاجم جلي في حراسة هذه الثروة اللفظية وصيانة التراث الحضاري بشتى أنواعه . ولولا هذه المعاجم لضاعت هذه الثروة . على اعتبار أن علماء اللغة ومستعمليها لا يستغنون عن الرجوع إلى هذه المعاجم . فالمعجم وسيلة لغوية وهي حرفة وصناعة قبل كل شيء . هدفها هو جمع اللغة ووضعها . وبذلك نقف أولاً عند معنى الجذر المعجمي (ع.ج.م) الذي يعطينا كلمة معجم في اللغة والاصطلاح .

أ- لغة : في البداية لابد أن نتبع خطوات اشتقاق مادة "معجم" في اللغة . كما وردت في كتب ومعاجم اللغة العربية . ولذلك يقول ابن جني : "اعلم أن (ع.ج.م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح" وجاء في المعجم الوسيط مايلي : "عجم فلان عجمة . كان في لسانه لكنة . ويقال كذلك : عجم الكلام إذا لم يكن فصيحاً فهو أعجم وهي عجماء . فالإعجام غير الإعراب" وجاء فيه أيضاً "عجم الحرف والكتاب عجماً . أزال إبهامه بالنقط والشكل . وعجم الشيء عجماً وعجوماً . عضه ليعلم صلابته من رخاوته" . ويقول الجوهري في الصحاح : "الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان كلامه من العرب" . إذن . من خلال ما تقدم نستنتج أن الجذر (عجم) له دالتان اثنتان هما :

- عجم وعجم بكسر العين أو ضمها . عدم البيان وضد الإفصاح .
 - عجم بفتح العين معناها الإيضاح والبيان .
- وتأتي مادة "عجم" في اللغة للدلالة على الإبهام والإخفاء وعدم الإفصاح فمنها الأعجم الذي لا يفصح . حيث تنصرف صيغة (فعل) من هذه المادة إلى معاني الإبهام وعدم الإيضاح . وقد أطلقت لفظة المعجم على الكتاب الذي يراعى في بنائه وترتيبه ترتيب الحروف . وهذا الكتاب يزيل إبهام تلك المادة المرتبة على حروف المعجم أو يزيل اللبس ويوضح المبهم بما

يحتوي عليه من مواد لغوية وغير لغوية المرتبة على حروف المعجم . وهذا كله يقودنا إلى تعريف المعجم في اصطلاح اللغويين .

ب- اصطلاحاً : من الناحية الاصطلاحية يقصد بالمعجم في التراث العربي مجموع الثروة اللفظية اللغوية التي خلفها العلماء في المعاجم على مدى العصور . وكثيراً ما تطلق كلمة "معجم" على الكتب اللغوية التي تعالج وتحدد المجال المعنوي للفظ ما . والشيء نفسه يتبادر إلى الذهن عند سماع هذه الكلمة اليوم . وبذلك فكل ما يتناول أسماء الأعلام والقبائل والأماكن . والفهارس . وحتى الموسوعات الفكرية . يندرج ضمن كلمة معجم أو قاموس . إذن فالمعجم هو : "مرجع يشتمل على كلمات لغة ما . أو مصطلحات علم ما . مرتبة ترتيباً خاصاً . مع تعريف كل كلمة أو ذكر مرادفها أو نظيرها في لغة أخرى . أو بيان اشتقاقها أو استعمالها أو معانيها المتعددة أو تاريخها أو لفظها ... وقد يكون المعجم عاماً أو متخصصاً وقد يكون وصفاً أو تاريخياً . وقد يكون المعجم مفردات أو مصطلحات . كما قد يكون مترادفاً أو ترجمات أو تعاريف" .

من خلال هذا الكلام . فالمعجم يعنى بالدرجة الأولى بمصطلحات موضوع أو علم معين . مع إبراز معانيها وتطبيقاتها المختلفة ويكون المعجم مرتبطاً بتطور العلوم والفنون ومطالب الحياة المستجدة . لذلك يبقى البحث فيه مستمراً ويبقى أمر وضع المعاجم عملاً لا ينقطع في أية لغة من اللغات . وذلك لتصبح هذه اللغات قادرة على تأدية مطالب الفكر والحضارة ومسايرة الزمن .

بعد هذا العرض الموجز لمصطلح "معجم" يمكن القول أن المعاجم العربية منذ القرن الثاني الهجري قد استكملت كل أشكالها ومقوماتها . وذلك بتنوع مناهجها وموضوعاتها . فالمعجم ما هو إلا قائمة من المفردات اللغوية التي تصف بشكل أو بآخر تجارب المجتمع . والمعجم أيضاً يمكن اعتباره موضوعاً متسلسل الأفكار يربط بينها المنهج الذي اتخذه المعجمي في ترتيبه أو توضيحه أو تفسيره .

الفرق بين المعجم والقاموس

هناك نوع من العلاقة بين مصطلح "معجم" ومصطلح

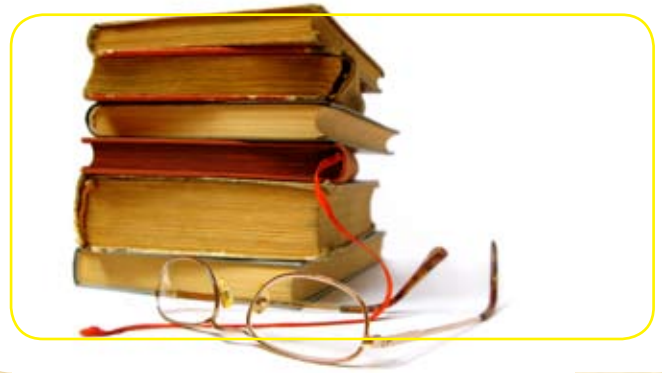
باسم "الحيط"... إلخ . فأول من سمي معجمه بالقاموس هو الفيروزآبادي (توفي ٥٨١٧هـ) صاحب "القاموس المحيط" نظراً لما يمتاز به من دقة وضبط . حيث اشتهر هذا القاموس "لكثرة تداوله في أيدي المتأخرين واعتمادهم عليه . وأصبح يرادف المعجم اللغوي . فصار كل معجم لغوي قاموساً على سبيل التوسع مع أن الأصل هو قاموس الفيروزآبادي".

أما الدكتور إبراهيم السامرائي فهو يرفض كلمة "قاموس". ويرى أن الصواب هو استعمال كلمة "معجم" وذلك من أجل التمييز بين كتاب الفيروز آبادي المشهور وباقي المؤلفات المعجمية الأخرى . ويسير في هذا الاتجاه أيضاً الدكتور عبدالعلي الودغيري الذي يرى أن كلمة "قاموس" تعني وسط البحر أو معظمه . لتعني أخيراً كل كتاب لغوي يحتوي على طائفة من الكلمات المرتبة والمشروحة . ولهذا فمن الضروري الفصل بين المصطلحين: "معجم وقاموس" لأن "القاموس" يستعمل للدلالة على كل كتاب أو تأليف له هدف تربوي وثقافي، يجمع بين دفتيه قائمة من الوحدات المعجمية (المدخل) التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من الألسنة، ويخضعها لترتيب وشرح معين . ويقابله في الفرنسية "Dictionnaire". أما مصطلح "معجم" فيرى (الودغيري) أنه أنسب للدلالة على المجموع المفترض واللامحدود من الوحدات المعجمية التي تمتلكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها، بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة . ويقابله في الفرنسية "Lexique".

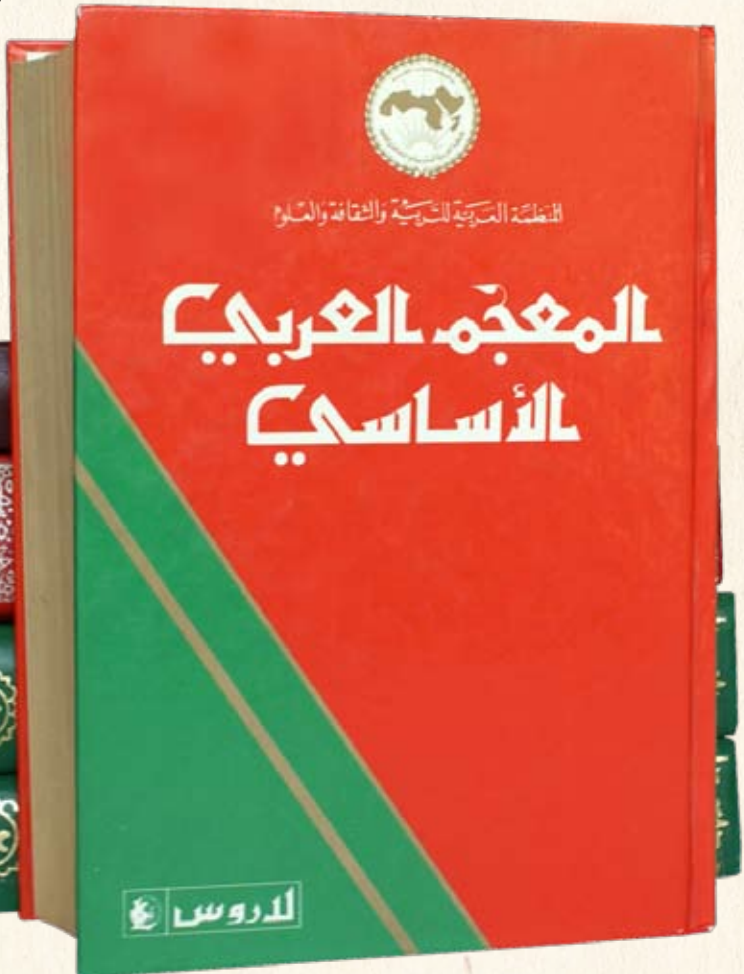
كما نجد عبدالقادر الفاسي الفهري بدوره يدعو إلى التمييز بين المصطلحين . وبذلك يقول عن مصطلح "القاموس" "إنه الصناعة التي تتوق إلى حصر المفردات ومعانيها" ويقول عن مصطلح "معجم" "فهو الخزون المفرداتي الذي يمثل جزءاً من قدرة المتكلم - المستمع اللغوي".

المصطلح المولد :

يقصد بالاصطلاح أو المصطلح في اللغة: الاتفاق والتوافق . وبذلك يعتبر من صيغ المطاوعة التي تفيد المشاركة والتفاعل . ويعني الاصطلاح عند الجرجاني اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما . فمجال علم المصطلح هو دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تندرج تحت ميادين مختصة من النشاط الإنساني . وذلك باعتبار وظيفتها الاجتماعية . ولذلك : "فالمصطلح لغة خاصة أو معجم قطاعي يساهم في تشييده ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفي معين" إلا أن هذه اللغة القطاعية تبقى متصلة أشد الاتصال باللغة العامة المشتركة . كما ينطبق على هذا المعجم القطاعي ما ينطبق على المعجم العام من ضوابط صرفية ودلالية وتركيبية وصوتية .



"قاموس" على اعتبار أنه يوجد نوع من التداخل بين المصطلحين . وكثيراً ما يتم الخلط بينهما . فقد جاء في لسان العرب ماييلي : "قمس الرجل في الماء إذا غاب فيه . وقمست الدلو في الماء إذا غابت فيه ... القاموس: البحر العظيم، وكل معجم لغوي على التوسع يقال له قاموس". ويورد الفيروز آبادي صاحب "القاموس المحيط" في مادة "قمس" أنها تعني الغوص وأن "القموس" هي "بئر تغيب فيها الدلاء من كثرة مائها . أما القاموس فهو معظم ماء البحر . وبذلك تعني كلمة "قاموس" البحر أو وسطه أو معظمه، فكثير من علماء اللغة العربية الذين حاولوا جمع اللغة . يطلقون على أعمالهم أسماء من أسماء البحر . نحو : ابن سيده الذي أطلق على معجمه "مجمع البحرين" وابن عباد الذي سمي معجمه





تكون مختصة فتكون مصطلحاً له خصائص تميزه عن اللفظ اللغوي العام . ومن هذه الخصائص وحدة الدلالة والانتماء إلى حقل مفهومي قابل للضبط والتحديد .

ويحصر الفاسي الفهري المشكلات التي يمكن أن تواجه أي برنامج اصطلاحي في إشكاليين هما :

أ- "توفير عدد هائل من المصطلحات لمواكبة الحاجة الملحة إلى التعبير عن مفاهيم وتصورات جديدة بعبارات اصطلاحية، يوازي عددها عدد العبارات الذي توفر في لغات الحضارات المتقدمة".

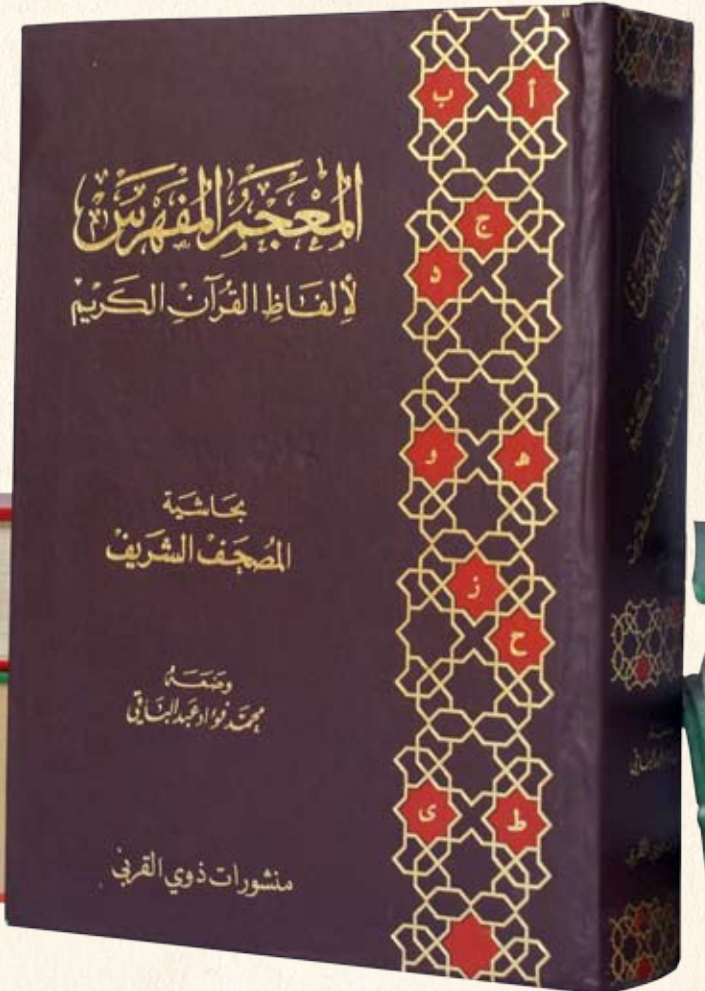
ب- "إشكال التقريب والشفافية بين اللغة العامة المتداولة أو المعجم العام، وبين اللغة المختصة أو المعجم المختص أو الاصطلاحي، حتى لا يبتعد التواضع في الاصطلاح ويستغلق، وحتى يظل الذهاب والإياب بين المعجم العام والمختص قائماً وفاعلاً".

وعلى هذا الأساس ، فإن الوحدة المعجمية هي شيء من المواضع ، التي تتحصل بالنسبة للمتكلم من خلال تجربته في الكون. ولعل هذه الخاصية الاجتماعية في تحصيل واكتساب الوحدات المعجمية، هي التي تضمن للمعجمية خاصية التطور، باعتبار الوحدات أقل نظم اللغة إخضاعاً للقيود التي تحكم في نظام اللغة. فلا يمكن إنجاز دراسة للمفردات "دون بحث المعطيات الاجتماعية والسياسية والفنية والدينية ، التي تسمح وحدها بتصنيف طبيعة هذه المفردات وتفسيرها".

وبذلك فإن من خصائص المعجم أنه متأسس على شيئين لهما امتداد في الواقع: الدال-المدلول ، على اعتبار أن الدال رمز لغوي محض لا يمكن الحديث عنه إلا بصلته بالمدلول، لكون هذا الأخير المرجع في الواقع الخارجي . وأهم ما يميز هذه الثنائية هو عدم الاستقرار لأنها قد تتحول عن مدلولها الأصلي . وهذا التحول هو أساس تولد وحدات معجمية جديدة ، أو مصطلحات

والمصطلحية أو "علم المصطلح" ، علم لساني حديث العهد، حيث أدت إليه النظرة المعمقة في المصطلحات المولدة من أجل الحديث عن كل ما هو جديد من المفاهيم والأشياء في شتى العلوم والميادين المختلفة . وقد حظي هذا المبحث باهتمام بالغ من قبل اللسانيين والمختصين وخاصة في النصف الثاني من هذا القرن . حيث عاجوا أسسه النظرية والتطبيقية والعلاقات التي تربطه بالعلوم والمباحث الأخرى وخاصة منها مباحث التوليد . إلا أن ما يمكن أن يؤخذ عن هؤلاء هو اختلافهم في الصلة التي تربط المصطلح بالمعجمية . حيث منهم من يعتبر المصطلحية علماً منفصلاً عن المعجمية . ومنهم من يعتبرها امتداداً واستمراراً لعلم المعجم وفرعاً من فروعه . ومن هؤلاء نذكر إبراهيم بن مراد (من جمعية المعجمية التونسية)، الذي يعتبر المصطلحية فرعاً من علم المعجم والذي سماه "بالمعجمية المختصة"، على اعتبار أن علم المعجمية يضم قسمين رئيسيين هما : "المعجمية العامة" وينصب اهتمامها بالأساس على ألفاظ اللغة العامة. ثم "المعجمية المختصة" وقوامها المصطلحات المختصة بكل مجال معرفي معين . فالمعجمية العامة تبحث عن الوحدات المعجمية من حيث هي مداخل معجمية تجمع مصادر ومستويات مختلفة . أما المعجمية المختصة فتبحث في المصطلحات من حيث مكوناتها ومفاهيمها ومناهج توليدها .

فالوحدة المعجمية على هذا الأساس ، إما أن تكون عامة فتكون بذلك لفظاً لغوياً عاماً ، لتؤدي خصائص معينة من دلالة واشتراك في المعنى والوظيفة . وإما أن



المعجم العربي الماهية والوظيفة

معلومات صوتية وصرفية وتركيبية ونحوية ودلالية . هناك أيضا ، المعجم الذهني والاجتماعي الطبيعي . ويقصد به "الوحدات اللغوية العرفية المتغيرة في كل زمان ومكان ، التي تكمن في أذهان الأفراد المنتمين جميعا إلى مجموعة لغوية واحدة . وتخضع هذه الوحدات اللغوية في نظامها للعرف الاجتماعي وكذا للوضع الحضاري الخاص بكل عشيرة لغوية . كما تخضع أيضا لما يسود المجتمع من معارف تتعلق بالموجودات والأشياء التي يدركها الأفراد في المجتمع . كما تخضع أيضا للتغيير وذلك بتغيير الأوضاع الاجتماعية والتطور المعرفي والفكري لدى الأفراد . وما يستوجب هذا التغيير والتطور من تغيير في العرف الدال عليها دلالة التسمية على المسمى".

وعلى هذا الأساس ، فمن الصعب جدا أن يجتمع هذه الوحدات في ذهن متكلم واحد أو فرد واحد ، على اعتبار أن لكل فرد مجموعة من الوحدات التي يشاركه فيها أفراد من مجتمعه دون غيره . كما أنه قد يفهم هذا الفرد وحدات لا يستعملها إذا نطق بها غيره . ويتكلم أيضا بوحدات يفهمها غيره ولا يستعملها في معجمه الذهني . وبذلك فإن هذه الوحدات موضوعة في المعجم الذهني للأفراد على صورة معقدة شيئا ما . لكن مع ذلك هناك شعور لدى الأفراد بالانتماء إلى مجموعة لغوية واحدة .

وهكذا ، فإن المعجم الذهني "ليس كالقاموس الذي يرتب ترتيبا ألفبائيا أو خطيا . فلو كان معجمنا الذهني مرتبا بطريقة ألفبائية لصعب استرجاع المعلومات ... وكذلك القاموس الصناعي له عدد محدود من الكلمات يمكن عدها وحصرها ... في حين القاموس الذهني ليس له محتوى محدود ، بل نضيف كلمات جديدة ونغير نطقها ومعانيها ... فنجدد في الصوت والتركيب والدلالة والمقام اللغوي وغير ذلك".

وللناية بهذا النوع من الدراسة وخاصة من الوجهة اللسانية نجد الكاتب الفرنسي جورج ماطوري في كتابه "منهج المعجمية" ، يدعو إلى تأسيس مادة علمية جديدة أو ما سماه : بمنهج جديد في دراسة المعجم . وهذه المادة العلمية الجديدة أو المعجمية الجديدة هي التي يسميها بالمعجمية الاجتماعية . ذلك أن هذا العلم يهدف إلى دراسة المعجم من زاوية اجتماعية

جديدة . ويمكن لهذا التوليد أن يأخذ شكلين : الأول : توليد عفوي غير مقصود لذاته ، يحدثه أفراد الجماعة اللغوية في المستوى الشفوي . أما الثاني : فهو توليد اصطناعي وهو توليد مقصود ويحدث في المستوى المكتوب .

فالمصطلح المولد على هذا الاعتبار ، يمكن أن يصدر من لغتين على الأقل : الأولى هي لغة المصدر والثانية هي لغة الهدف . وأثناء هذه العملية يتم نقل المصطلح أو توليده عن طريق علائق دلالية وصرفية وتركيبية ، حيث يقتضي الأمر في هذا المجال نوعا من التكامل والتداخل . أي لابد من اعتبار المعجم المصدر أو اللغة المصدر ، ثم المعجم المتوفر في اللغة الهدف ، ثم في الأخير المعجم المراد إنشاؤه في اللغة الهدف .

وهكذا ، فالتوليد في اللغات الطبيعية يتعلق بربط علاقات جديدة بين المكونات داخل السياق . والتوليد بهذا المعنى يتعلق بالقيمة الدلالية الجديدة لبعض الوحدات المعجمية التي تسمح بظهورها في سياقات جديدة لم توضع فيها سابقا . وبذلك ، هناك عدة وسائل توليدية توظف في التسمية ومنها على الخصوص : الاشتقاق . فهو موجود في العربية بشكل ضروري . ومثال ذلك الانطلاق من جذر معين حيث يمكن من خلاله اشتقاق مجموعة من الكلمات أو المفردات . ومن وسائل التوليد أيضا الجاز (الاستعارة والكناية) . ومثال ذلك في التراث العربي كلمة "السيارة" فهي مولدة من كلمة "الإيل" . بالإضافة إلى وسائل أخرى كالتأليف والنحت والاقتراض... إلخ . وفي هذا الإطار لابد من اعتبار الأسباب الخارجية لهذا التغيير أو التوليد وما ينتج عنه من تغير وتطور في اللفظ والدلالة على مر العصور ١٥٣ . ولعل أهم هذه العوامل هي التي تتمثل في العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيئية . وكذا التقدم الذي يحصل في الحضارات والتقنيات .

المعجمية والمعجم الذهني :

إلى جانب المعجم المكتوب أو الصناعي الذي يجمع بين دفتيه مفردات لغة من اللغات أو بالأحرى لغتين أو أكثر ، وتكون هذه المفردات مرتبة ترتيبا معينا يختاره المعجمي بنفسه ، ومصحوبة بتعاريف وشروحات عامة أو ترجمات ... إلخ . والهدف الأساس من هذا المعجم هو مساعدة القارئ على فهم ونطق الألفاظ وما يتعلق بها من



وإلى

دراسة المجتمع

بأدوات لغوية معجمية.

استناداً إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية وأن

اللسانيات في حد ذاتها علم اجتماعي محض . وبذلك يمكن القول إن الأفعال والظواهر اللغوية في الأساس ما هي إلا تفسير وانعكاس لأفعال المجتمع وظواهره . نظراً لوجود نوع من التقاطع بين دراسة المفردات ودراسة المجتمع . الشيء الذي جعل "ماطوري" يقول : إن هذه الدراسة ما هي إلا "أداة فعالة من أدوات البحث الاجتماعي ... وأن بالانطلاق من دراسة المفردات نحاول تفسير مجتمع معين". ليصل في نهاية الأمر إلى تحديد الدراسة المعجمية بأنها "علم مجتمعي يستخدم الأدوات اللسانية التي هي الكلمات".

إذن حسب ما سبق ذكره ، فإن اللغة والمعجم خاصة يُدرسان لتفسير ظواهر المجتمع بأسره. على اعتبار أن المناسبة بين الدال والمدلول مناسبة اجتماعية محضة . بمعنى آخر . إن العلاقة بين الاسم والمسمى هي علاقة اجتماعية مرتبطة بما يجول في أذهان الأفراد من الأسباب التي تدفعهم إلى وضع اسم ما . والغرض الأساس من هذه الدراسة. هو أن تستفيد المعجمية من عطاء ونتائج أذهان الأفراد . كما تستفيد من كل العلوم المجاورة من تاريخ واقتصاد ودلالة . وغير ذلك من العلوم التي لها علاقة وطيدة بالمعجمية .

والمعجم الذهني لابد أن يكون قائماً على نظام معين . لأن الكلمة أو الوحدة اللغوية ، "تم معانيها في بضع لحظة (خمس الثانية أو أقل) ... فهناك إذن قدرة خاصة على البحث عن الكلمات وإصدار قرار معجمي في نصف ثانية . إن المعجم الذهني المنظم تنظيمًا محكمًا هو الذي يترجم القدرة على التخزين الكثيف . وعلى الاسترجاع السريع". ذلك أن الإنسان كيفما كان نوعه يتوفر على قدرة هائلة لتذكر آلاف الكلمات التي هي مخزونة في معجمه الذهني . فكلما وجد نفسه في حاجة إلى هذه الكلمات فإنه يسترجعها من خزانة الذهني . فالمتكلم المؤهل من الضروري أن يتوفر على آلة معجمية ذهنية تساعد على التخزين الكثيف والمنظم للمواد المعجمية .

وبذلك يؤكد الفاسي الفهري أنه بواسطة هذه الآلة الذهنية يستطيع هذا المؤهل أن يصدر قرارات وأحكاماً معجمية تمكنه

من الحكم على كلمة بأنها تنتمي إلى معجمه الذهني وإلى لغته أو لا تنتمي . أي أنه يستقبل من حين لآخر كلمات ليست كالكلمات التي سمعها من قبل ، سواء من الناحية الصوتية أو التركيبية أو الدلالية أو في المقام الذي توضع فيه . ومع ذلك يدرك أنها كلمات . وبالطريقة نفسها يسمع متواليات صوتية ويعرف أنها ليست كلمات وذلك بواسطة ذهنه . فهذه الأحكام وهذا النظام الذي يمكن من عملية التخزين لدى الأفراد وكذلك عملية الاسترجاع. هو ما يسميه الفاسي الفهري بالمعجم الذهني : "Mental Lexicon".

وهكذا . فإن المعجمية الذهنية أساسها الكلمات أو الوحدات اللغوية باعتبارها الوحدات الدلالية الصغرى التي تؤسس عليها الدراسة المعجمية . لأن هذه الوحدات مرتبطة أشد الارتباط بالفكر والتصور المجتمعي . حيث يتم تحليل وتحويل الكلمة أو المفردة إلى شيء جماعي يرمز بها لتدل على شيء معين ومتفق عليه من قبل العشيرة اللغوية الواحدة . وعلى هذا الأساس . فإن ما وصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة هو تحول اهتمام اللسانيين من دراسة السلوك اللغوي العقلي إلى دراسة نسق المعرفة الذهنية المسؤول عن هذا السلوك . أي انتقال اللسانيين من دراسة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية إلى دراسة النسق اللغوي المعرفي المتمثل في ذهن وعقل المتكلمين . وبذلك فإن هذا التحول في حد ذاته هو : "انتصار للواقعية الذهنية التي تستهدف اكتشاف واقع ذهني يكمن خلف سلوك فعلي . يعرف الواقع الذهني في اللسانيات بأنه القدرة أو الملكة اللغوية".

لقد أصبح اهتمام المعجمية الحديثة منصباً على المعجم الذهني أو الاجتماعي الذي يكتسبه المتكلم بشكل فطري. أياً كان نوع اللغة الطبيعية التي تبنى وتؤسس عليها مادة هذا المعجم . ولذلك فإن المعجمي يلزم عليه معرفة أهم النتائج التي توجه تصور الباحث للمعجم الذهني. "تبين أن المتكلم بأية لغة طبيعية كانت . يتوفر على معجم منظم تنظيمًا دقيقاً . ومن مظاهر هذا النظام قدرته الفائقة على تذكر الكلمات التي يريد استعمالها لتحقيق أغراضه التواصلية المتعددة. ومن مظاهر هذا النظام قدرة المتكلم الفائقة على استذكار ما تم تخزينه من مفردات في معجمه الذهني" (٢١).

إذن. ما يمكن أن نخلص إليه. هو أن المعجم الذهني في علاقته بالمعجمية. يطرح بالأساس إشكال معنى الوحدات اللغوية على مستوى الحياة الاجتماعية. وبالتالي العلاقة بين المعنى اللغوي والاجتماعي. فاللسانيات في هذا الجانب تعطي الأهمية للسياق الذي يجري فيه التواصل اللغوي. أي اعتبار الموقف أو المقام بين المرسل والمرسل إليه. وكذلك اعتبار العوامل الاجتماعية العامة التي يأتي الخطاب اللساني لإحداث التواصل داخلها .

في تطهير النفس وتجريدها من الشوائب البدنية

سمعت أبا سليمان المنطقي يقول: بالاعتبار تظهر الأسرار وبقديم الاختبار يصح الاختيار ومن ساء نظره لنفسه قل نصحه لغيره وكما تنظف الأنية من وسخ ما جاورها ولا بسها ووضر ما خالطها ودنسها لتشرب فيها وتنظر إليها وتستصحبها وتحفظها ولتكون غنيا بها ولا تريدها إلا طاهرة نقية مجلوة ومتى لم تجدها كذلك عفتها وكرهتها ونفرت منها وطرحتها لأن طبيعتك لا تساعدك عليها ونفرتك لا تزول منها وإباؤك لا يفارقك من أجلها وقشعيرتك لا تذهب من شناعة منظرها وكذلك فاعلم أنك لا تصل إلى سعادة نفسك وكمال حقيقتك وتصفية ذاتك إلا بتنقيتها من دون بدنك وصفائها من كدر جملة صرْفها عن جملة هواك وفطامها عن ارتضاع شهوتك وحسمها عن الضراوة على سوء عادتك وردّها عن سلوك الطريق إلى هلكتك وتلفك وثبورك واضمحلالك. فاسعد أيها الإنسان بما تسمع وتحس وتعقل فقد أردت لحال نفيسة ودعيت إلى غاية شريفة وهيئت لدرجة رفيعة وحليت بحلية رائعة وتوجت بكلمة جامعة ونوديت من ناحية قريبة .

كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي

قال لثمان لولده : شيطان إذا حفظتهما لا تُبالي بما ضيّعت بعدهما ، درهمك
لمعاشك ودينك لمعادك



كلمات لها معنى

من أنست نفسه بالله لم
يجد لذة في الأنس بغيره .
ومن أشرق قلبه بالنور لم
يعد فيه متّسع للظلام .
ومن سمت روحه بالتقوى لم
يرض إلا سكنى السماء .
ومن أحب معالي الأمور لم
يجد مستقراً إلا في الجنة .
ومن أحب العظماء لم
يقنعه إلا أن يكون مع سيدنا
محمد ﷺ .
ومن أدرك أسرار الحياة، لم يرَ
جديراً بالحبِّ حقَّ الحبِّ إلا الله
تبارك وتعالى .



الخازن تنعير

وأسود عار أنحل البرد جسمه
وما زال من أوصافه الحرص و المنع
وأعجب كل شيء كونه الدهر حارساً
وليس له عين ليس له سمع

و مستدير تروق العين بهجته
كأنه فلك نجم الدجى فيه
حروفه أربع قد ركبت فإذا
ما قلت أول حرف تم باقيه

أحد مشايخ الصوفية اسمه يتكون من خمسة عشر حرفاً فمن
هو؟

٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩

الحروف ٥ + ٨ + ١٠ = نقيض خاص

الحروف ٦ + ١٣ + ١٤ = مدته ٢٤ ساعة

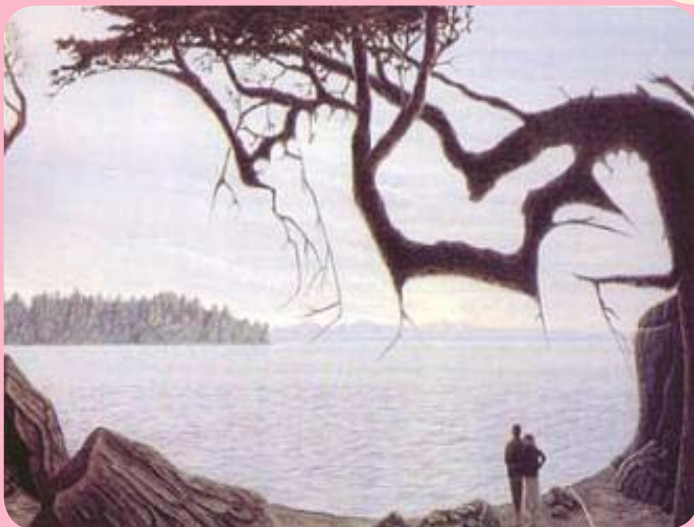
الحروف ١٢ + ٥ + ١٥ + ١٠ = قائد

الحروف ٣ + ٤ + ١ + ١٤ = شعار

الحروف ١١ + ٨ + ٧ + ١٠ = نادل

الحروف ١ + ٩ + ٥ + ٧ + ١٥ = نقيض القريب

اختبر ذكائك



أين
صورة
الطفل
في
الصورة؟

أفقي

- ١ - لقب أحد الأئمة .
- ٢ - نقوم بالرقية - السباق .
- ٣ - وليد (مبعثرة) - نلاعب .
- ٤ - قهوة - لسعه .
- ٥ - للنداء - أما (مبعثرة) - مؤمن .
- ٦ - ضمير منفصل - حرف مكرر - اسم علم مذكر .
- ٧ - أب (معكوسة) - قادم (معكوسة) .
- ٨ - آلة موسيقية - ضمير منفصل .
- ٩ - صحابي جليل .
- ١٠ - كثير المنة (معكوسة) - ثلثا دار - فضل وأحب (معكوسة) .
- ١١ - اثنان من الألوان (معكوسة) - نصف أزهر .
- ١٢ - من شيوخ التصوف .

١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
												١
												٢
												٣
												٤
												٥
												٦
												٧
												٨
												٩
												١٠
												١١
												١٢

عمودي

- ١ - ملكة تدمر - يسكنون الأرض مثلنا (معكوسة) .
- ٢ - فلوسي (معكوسة) - إصبع .
- ٣ - اعترض وناقش - أدوات الطبخ .
- ٤ - شهر ميلادي - الرايات .
- ٥ - من أحكام الدين الحنيف (معكوسة) .
- ٦ - أطول من الذراع (معكوسة) - اعترف .
- ٧ - صفة تستلزم في المحاكم - أخلاق .
- ٨ - عكس المشارق (معكوسة) - حيوان بري (معكوسة) .
- ٩ - من الطيور (معكوسة) - مجموعة سطور كتابية .
- ١٠ - آلة موسيقية (معكوسة) - عكس النهايات (معكوسة) .
- ١١ - حرف مكرر - احمو وجنبوا - ضلال (معكوسة) .
- ١٢ - أحد التابعين كان موجوداً في زمن الرسول ﷺ .

هل نعلم أن ؟



النعم اسم آخر لسورة النحل
القتال اسم آخر لسورة محمد
الغرف اسم آخر لسورة الزمر
صالح اسم آخر لسورة الشمس
الملائكة اسم آخر لسورة فاطر
العقود اسم آخر لسورة المائدة
التوديع اسم آخر لسورة النصر
المص اسم آخر لسورة الأعراف
الشريعة اسم آخر لسورة الجاثية
الحواريين اسم آخر لسورة الصف
اقتربت الساعة اسم آخر لسورة القمر
بني إسرائيل اسم آخر لسورة الإسراء
موسى وهارون اسم آخر لسورة القصص

عجائب الأرقام

$$\begin{aligned}
 111 &= 3 \times 37 \times 1 \\
 222 &= 3 \times 37 \times 2 \\
 333 &= 3 \times 37 \times 3 \\
 444 &= 3 \times 37 \times 4 \\
 555 &= 3 \times 37 \times 5 \\
 666 &= 3 \times 37 \times 6 \\
 777 &= 3 \times 37 \times 7 \\
 888 &= 3 \times 37 \times 8 \\
 999 &= 3 \times 37 \times 9
 \end{aligned}$$



احسب ...

ولد شخص قبل سنة ١٩٣٦ وتوفي قبل
سنة ٢٠٠٠ وكان مجموع أرقام كل
من سنتي ولادته ووفاته مساوياً
لعمره كما كانت جميع أرقام
سنتي ميلاده ووفاته فردية ففي
أي سنة ولد ومتى توفي؟



مراكز توزيع إصدارات الطريقة الحلوية القادرية الكسنزانية



مكتبة أوراق
الأردن - عمان
هاتف : ٤٦١٩٢٨٦



مكتبة المجلد العربي
مصر - مصر القاهرة
هاتف : ٥١٩٢٥٢٤



المؤسسة العربية للكتاب
تونس - المقر الاجتماعي ٨ مقرر
نهج ميشان - المونيسيتير ١٠٠٨
هاتف : ٠٠٢١٦٧١٤٩٧٦٤١-٠٠٢١٦٧١٤٩٧٦١٨



مكتبة الفقيه
دولة الامارات العربية المتحدة - أبو ظبي
هاتف : ٠٢٦٣٩١٥٠٠



مكتبة دار الهدى
ليبيا - لصاحبها عبد الرحيم الطابوني
هاتف : ٠٩٢٥٠٣٩٧١٣



مكتبة ابن كثير
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
هاتف : ٠٠٩٦٥٩٨٩١٢٣



دار القادري للنشر والتوزيع
سورية - دمشق
هاتف : ٠٠٩٦٣١١٢٤٥٣٧٧٥



مكتبة المعارف
سلطنة عمان - مسقط - روي
هاتف : ٩٩٠٦٩٢٢٨٦

مخطوطة العدد

يسر أسرة مجلة الكسنزان أن تتواصل مع القراء الكرام
بتقديم نموذجاً جديداً من المخطوطات التي سبق نشرها في
موقع (الأزهر أون لاين) وذلك ليطلع أكبر عدد من القراء
على ما في هذا التراث الإسلامي من كنوز معرفية وفوائد
ذوقية أملين تواصل القراء بمراسلتنا حول طباعة ونشر
ما يهمهم من المخطوطات الأزهرية على أن تتناسب
والمجال المخصص في المجلة .

وأ أسرة المجلة إنما سعت سعيها هذا ، إسهاماً منها بالتعريف
بما يكتنزه مشروع الشيخ (محمد بن راشد آل مكتوم) من
فوائد يعزّ على الباحث الحصول عليها في غيره ،
أملين أن نكون قد ساهمنا ولو بشيء بسيط في دعم هذا
المشروع الإسلامي الكبير .

التعريف بالمخطوطة

اسم المخطوطة : مخطوطة شمس الطريقة في بيان الشريعة والحقيقة .
الموقع : مشروع الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لحفظ تراث مكتبة الأزهر الشريف .

النسب : تصوف .
المؤلف : الشيخ ابن عربي ، محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد .

عدد أوراق المخطوطة : ٤٥ ورقة .

الرقم العام : ٤٣٠١٠

الرقم الخاص : ١٢٧٢

الناسخ : إسماعيل بن الحاج مامي الباطنجي الحصار البرلس

تاريخ النسخ على أصل المخطوطة : ٨٧١ هـ

تاريخ النسخ على النسخة : ١٠٢١ هـ

أول المخطوطة : الحمد لله على ما هدى وأرشد ، وأشكره لما وفق وسدد ، وأسأله الصلاة على نبيه المسمى بمحمد وأحمد ، وآله الحجج لمن وجد على من الهدى ، وعلى أصحابه المؤمنين بما وعده به وأوعده .
أما بعد فهذه نبذة جزيلة رقيقة تنجو بها من المهاوي السحيقة وتحصل بها درر التحقيق من بحار التدقيق العميق .

آخر المخطوطة : وترغب إليه جلّ وعلا أن يمن بتوبة

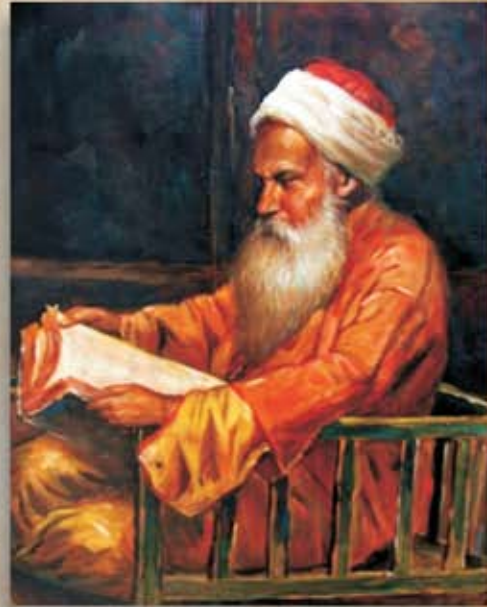
تمحو عنا كل حوبة حتى ننقلب منه بنعمة وفضل وجنات فيها نعيم مقيم .
والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً على التوفيق لإتمام هذا المختصر ،
والصلاة التامات والتحيات الزاكيات على سيدنا محمد وشرف وكرمه وعلى
آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم ، والحمد لله وحده .



التعريف بالمؤلف

وهو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي الطائي الحاتمي محيي الدين أبو عبد الله الأندلسي المعروف بابن عربي الشهير بالشيخ الأكبر ، ولد بالأندلس سنة ٥٦٠ ، أصله من الأندلس ثم أسبيلية ثم مصر والحجاز وبغداد والموصل وبلاد الروم ثم دمشق ، صاحب عدد كبير من الشيوخ وأخذ عنهم ، والشيخ ابن عربي ينتمي إلى المدرسة الصوفية القادرية ، وله من الكرامات الشيء الكثير ، أنكر أهل مصر عليه آراءه ، فعمل بعضهم على إراقه دمه وحبس ، فعمل في خلاصه علي بن الفتح البجائي فنجاه . أما أهم رحلاته فهي في عام ٦٠٠ هـ جاور في مكة وكتب هناك أهم كتبه وهي الفتوحات المكية وفصوص الحكيم ، في ٦٠١ رحل إلى بغداد ثم الموصل تلقى خرقة الخضر من يد شيخه علي جامع ثم رحل إلى مالطية ليلتقي صديقه محمد بن إسحاق الرومي والد الصوفي الشهير صدر الدين القونوي ، في ٦٠٢ سافر إلى مسجد الخليل في الجليل ، في ٦٠٣ رحل إلى القاهرة في حارة القنديل .

إن الشيخ ابن عربي علم شامخ في سماء التصوف الإسلامي حيث أثنى الجانب الروحي للتصوف بمزيد من الإشعاعات النورانية والإشارات الخفية الذي امتلأ به تراثه الجم والوفير والذي يعد معجزة من حيث الكم والنوع والتي لا ينبغي المرور بها دون التوقف والتمعن والتفريق والفهم وقد قال عنه الدكتور عثمان يحيى صاحب مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها : (إن ابن عربي هو مقعد علوم الروح والقلب في الإسلام ومنظرها وهو الشارح الأكبر للتصوف الإسلامي) .



استقر ابن عربي في نهاية رحلاته بدمشق وتوفي بها في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هـ ودفن في سفح فاسيون وله قبر يزار إلى الآن ولا تزال مؤلفاته موضع اهتمام العالم الإسلامي والغربي لم تحفويه من جواهر العلوم ونفائسها أما

مؤلفاته : فله الكثير من التصانيف مما لا يسع المجال لتعدادها ومن أهمها : الإسرا إلى مقام الأسرا ، اصطلاحات الصوفية ، الإعلام بإشارة أهل الإلهام والأفهام ، الأنوار فيما يفتح على صاحب الخلوة من الأسرار ، بلغة الغواص في الأكوام إلى معرفة الإخلاص في معرفة الإنسان ، تذكرة الخواص ترجمان الأشواق تفسير القرآن ، تنزل الأملاك في حركات الأفلاك ، الجلال والجمال ، حلية الأبدال وما يظهر عنها وعليها من المعارف والأحوال ، الذرة البيضاء في ذكر مقام القلم الأعلى ، الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق ، شجون المسجون وفنون الفنون ، شجرة الكون ، شمس الطريقة في بيان الشريعة والحقيقة ، عقلة المستوفز في أحكام الصنعة الإنسانية وتحسين الصفة الإيمانية ، عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب ، الفتوحات المكية .

بثلاثة الاف يلبسون ثياب الزهد وقلوبهم قلوب الذباب والزهد في ثيابهم
 والطرح في قلوبهم **وقيل** اربع عند أهل التصوف من الكبار يلبس الصوف
 لطلب الدنيا وادعي طرق الصالحين وترك فعلهم ودم الاغنيا والخذ منهم
وقال أستاذي لو كان الزهد والتصوف بالثياب كان الزهد يشتري
 في الاسواق واعظم من ذاك ايضا انهم يظهر من الورع ويتوسوس احدكم من
 عقدنية الصلاة وعند الوضوء وغسله واذا الاح له شيء من الدنيا لا يتوسوس فيه
 اصلا بل ياخذه على كمال ويتناول الحلة كل ناول بعيد والورع لا يتناول
 التأويل دخول في الشبهة **وقال** بعضهم لا يقوم الزهد الا بتترك الشبهات
 والفضول من المباحات تلبسون ثياب الزهد وقلوبكم قلوب الخنازير والذباب
 الصواري فان احببتم ان تبدلوا ملكوت السما فاميتوا نفوسكم **وسئل** بعضهم
 بماذا يعرف الزاهد في الدنيا فقال بان لا يفرح بها اذا اقتبلت ولا يحزن عليها
 اذا أدبرت فهذا ميزان يوزن به الزاهد من غيره **فصل** واعلم ان اقواما
 تمسكوا بخيال نوع شبهة واستدلوا حدث فاذا ذاك عدوا امر الاشقياء
 الذين هم والبهائم سوا ومجامع انواعهم كثيرة فنذكر شيئا منها **احدها** قولهم
 ان الله مستغنى عن اعمالنا غير متاثر بها معصية كانت او طاعة فلا تنجب
 انفسنا من غير فائدة وعائدة فاجاب الامام ابو حامد الغزالي ان ما
 ذكره القائل صادر عن جهل بحقيقة الشريعة حيث ظن ان الله تعالى

خلقنا لنعمل له اولفايدة تعود من افعالنا اليه فالباري ما خلقنا الا
لنعمل لانفسنا وكيف لا والقران من اوله الي اخره دليل عليه وهداية
وارشاد اليه مثل قوله تعالى ومن تركي فاما يتركني لنفسه ومن جاهد فاما
يجاهد لنفسه الي غير ذلك **واعلم** ان قوم من الجاهل توسعوا في ارتكاب
المعاصي واختار المناهي اعتمادا على رحمة الله عز وجل وعلى كرمه وانه ستارا
للعيوب غفارا للذنوب حريز للنوال عام الافضال لا تقوتنا رحمة مع عمومها
بحال من الاحوال فيقال لهم هو نوع من الخذلان والباري سبحانه كما انه نعت
نفسه بشدة العقاب فنسال الله العفو من ذلك **واقواما** اعترفوا بنوع اخر
وهم انهم قد سمعوا ان الامور بأسرها مقدرة بن الاذل قوم خصوا بالسعادة
واخرون بالشقاوة والموسوم بالسعانة لا يشقى ابدا والموسوم بالشقاوة لا
يسعد ابدا ومن كان في سابق علمه سعيدا حصلت له السعانة ان شاء او ابان غير
عمل وان لم يكن مكتوبا بالسعادة فلا ينفع العمل فان العمل تعب ونصب والعبد
مع ذلك مستغني عنه ولما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التقدير لا رجب
قالت الصحابة كفي بنا تعب العمل فقال صلى الله عليه وسلم **اعملوا فكل ميسر لما**
خلق له فان كنتم من السعداء يسركم حال السعداء وان كنتم من الاشقياء يسركم حال
الاشقياء فنسال الله العافية بمنه وكرمه **ومنهم** طائفة اخذوا في نوع اخر وهو
ان الفقير من ليس له معلوم من الصلاة والصوم والجنة والثواب وكل هذا من

من الجاهل توسعوا في ارتكاب

المعلوم الذي يسد باب صفة الفقير وان الفقير يكون فقيرا من الاعمال قاطبة
ومع ذلك يستبيح ما في الكون ويستقطب الغنم والاضافات فكلها ولا يؤمن
اهل البدعة والضلال وكل طائفة من ها ولا لها حجة دامغة قاطعة من كتاب الله
نفاي وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يا غيبيك يا حي يا قيوم نظرك على احد منهم
وتكلم بشي ما في هذه الرسالة فلا تجالسهم وفرتهم كفرارك من الاسد فانهم ما ينقطعون
الا بالسيف وهو لاء القوم قد لعب الشيطان بهم ونجح في ادبهم وخيل لهم انهم اولياء
الله وحلمهم على التزجيم بزئيمهم والتلفظ بعبارتهم فريشوا طواغيتهم بالمرقع والسجان
وتشبهوا بهم في الرقص والوجد والسماع وتلفظوا بالفاظ مشايخهم مثل لفظ
المعرفة والمحبة والشوق والذوق والتوبة والاولوية والانابة والتبذل والعزلة
والخلوة والمجالسة والرعاية والتفكير والتذكر والورع والزهد والتوكل والخشية
والخشوع والطوق والرجاء والرغبة والمراقبة والحياء والتواضع وحسن الخلق ولا
والرغبة بالمقدور والمجاهدة والعلم والصدق والاخلاص والاستقامة والصبر
والشكر والبقا والفناء والجمع والفرقة والتوحيد ومع ذلك هم عارون من معانيها
خالون عن معرفة حقايقها بالجملة فهذا الملعون سد علي هولا باب الذم والملامة
من هذا الوجه فسد باب التوبة عليهم هذا من جملة احتياله معهم وتلاعبهم بهم
وبالجملة كل ضلالة وغواية فانهما من احتيال الشيطان عاذن الله من ذلك
بمنه وكبرهم **فصل** واعلم ان طواغيت شاهدة اقواما هذبوا انفسهم ورتبوا

عبادتهم وحسنوا ملائمتهم وجملوا أطوارهم بما يبرزو المسواك والبنج
وتوسعوا في المخطورات وامتزجوا امتزاج الحارم بعضهم في بعض واستترسلوا
في اتباع الشهوات استرسال البهائم من غير حرج أو منع وتحريم العبر ومنعهم
من ذلك قالوا هذا من أطفال الطريقة ولم يبلغ مبالغ الرجال وإذا ارتق بعضهم
إلى امرأة قالوا تمت سعادتها ومن توسع منهم خطوة في المخازي كان أشرف
عندهم وأجل فيما بينهم وإذا رأوا قسما صالحا أكرهوا فعالهم ذموا ونسبوا إلى البله والبلادة
والاحتجاب عن المقصود فقيود الشريعة فهذا المسكين إذا شأه أحوالهم وأفعالهم
وأقوالهم وزينة زينتهم وذممهم للفقر وأهل الصلاح واستحقاقهم لهم فهو جيند زينت
عليهم فلوا كمهم قتلهم قتلهم بيده وهو لا الجهالة ما حملهم على هذا المخازي الأعمى
الفطنة والعقل وقلت العلم بصحة الشريعة ومدق الأنبياء صواة الله عليهم وحقيقة
أحوال الآخر بطريق البرهان فنسا الله العفو والعافية من ذلك كله **واعلم**
أن صاحب البدعة لا يكاد يترك بدعته ولو ضرب بالسيف لأن البدعة لها حلاوة
في قلوب أهلها وقد كان الإمام أحمد يقول تركوا السنة وأقبلوا على الغريب ما
أول الفقه فيكم وبالله المستعان على هؤلاء **فصل** وما قولهم نحن قد وصلنا
إلى الحقيقة وتعدينا الشريعة فهذا الكلام في لغة وكفر فإن من قال أنه وصل إلى
الحقيقة وسقط عنه المطالبة بأحكام الشريعة واعتقد هذا فقد كفر ولم يحمله على
أكثر إلا الجهل بمعني الحقيقة والشريعة وقد تبين معناها في صدر الكتاب **نعم**

من وصل إلى الحقيقة وراى الأفعال كلها من الله شكر الله على ما يسر له من الطاعات وسأله
أن يتوب عليه من السيئات فهو بظاهرهم تحت حكم الشريعة وبقلبه ناظر إلى الحقيقة فقد
جمع بين الشريعة والحقيقة وأما من اعتقد أنه وصل إلى حالة يستغنى عنه فيها التكليف
الشرعي فقد كفر بالاجماع وهو مع كونه يحجج بحجبه لا فاسدة وهكذا كانت احوال الكافرين
قال الله تعالى **وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون** الله يحكم بيلكم يوم القيمة فيما كنتم فيه
تختلفون **فصل** وأعلم أن الصوفي لا يضيع شيئا إلا في موضع ما قيد به لاوقات والاحوال
كلها بالعلم الشرعي وبقيم الخلق مقامهم وبقيم أمر الخلق مقامه ويستمر ما ينبغي أن يستمر
ويستمر ما ينبغي أن يظهر ويأتي بالأمور في موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال
معرفة ورعاية صدق وإخلاص وأما هؤلاء سموا أنفسهم بالصوفية ولبسوا
لبسة الصوفية وما هم من الصوفية بشي بل هم في غرور وغلط يستترون بلبسة الصوفية
توقفا تارة ودعوى أخرى ويفهمون مناجاة أهل الإباحة ويرغمون أن ضمائرهم خلصت
إلى الله وهذا هو الظفر المراد وإن الارتسام بمسح الشريعة رتبة العوام والقاصرين
الأنهال المنحصرين في مضيق الاقتدار وهذا هو عين الحاد والزندقة والابعاد وكل
حقيقة ودتها الشريعة فهي زندقته وقد **قال** لي استأذني كن بالشريعة مقيدا
وبالحقيقة موبدا فأنه من استرسل مع إطلاق الحقيقة قد في بحر الزندقة وجمل
هؤلاء المغرورون وما علموا أن الشريعة حق العبودية والحقيقة هي حقيقة
العبودية وصار مطالبها بأمور وعبادات لا يطلب بها من لم يصل إلى ذلك لأنه

تخلع

المخلص عن غنقه ربقة التكليف وسخامر باطنه الزيف والتحريف **ثم اعلم** ايها الاخ
الكريم انه لن يحصل لك المقصود الا بتابعة النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم **واعلم**
ان الحقيقة نتيجة الطريقة والطريقة نتيجة الشريعة كانت اذا اصطفتية الشريعة
يعني اذا علمت بما هو اقرب الى الورع والتقوى غير ماحط الى الرخصة تظهر منها الطريقة
واذا انفتحت الطريقة تظهر منها اسرار الحقيقة وقد سالت استاذي عن الشريعة والطريقة
والحقيقة فقال الشيخ رحمه الله عليه اذا اكل الصائم عيدا بطل صومه في الشريعة واذا اعتاب
افطر صومه في الطريقة واذا خطر بباله ما ساء الله افطر صومه في الحقيقة فلا يمكن
الوقوف على اسرار ذلك الا باثبات الاعمال المبينة ببيان صاحب الشرع لان كل طريقة
تخالق الشريعة فهي كفر وكل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهي الحاد وزندقة
قال الشيخ نعم الدين الشريعة كالسفينة والطريقة كالبحر والحقيقة كالدر من اراد
الدرك في السفينة ثم شرع في البحر ثم وصل الى الدرك من ترك هذا الترتيب لم
يصل الى الدرك فاول شيء وجب على الطالب هو الشريعة والمراد بالشريعة اوامر الله
تعالى ورسوله من الوضوء والصلاة والصوم وغير ذلك من الاوامر والنواهي والطريقة
هي الاخذ بالتقوى وما يقربك الى المولى من قطع المنازل والمقامات فاما الحقيقة
فهي الوصول الى المقصد ومشاهدة نور التجلي كما قيل في السلسلة خدمت وقربت
وصلت فالخدمة في الشريعة والقربة في الطريقة فالوصلة في الحقيقة والصلاة

جامعة هذه الخصال الثلاثة كما قيل الشريعة ان تعبد الله تعالى والطريقة
ان تحضر والحقيقة ان تشهد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشريعة
اقوال والطريقة افعال والحقيقة احوال والمعروفة راس مالي واهل
طهارة الشريعة بالماء والتراب وطهارة الطريقة بالتخليص عن الهوى وطهارة
الحقيقة خلوص القلب عما سوا الله تعالى فمن زعم ان العبور من الجب البشرية
والوقوف على الاسرار الطريقة والحقيقة بما يخالف الشرع فقد غلبت عليه
الضلالة والسيان واستهوته الشياطين في الارض حيران حتى او بقتله
في اودية الهجران واهلكته في قيعان الخسران واسكنته في مسكن الخذلان
واعوته بعد الفراق و**ماله** في الاخرة من خلايق قال صاحب العوارف باسناد
اليابي محمد الجري يقول سمعت الجنيد يقول لرجل **ماله** المعرفة فقال الرجل اهل
المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقوى الى الله تعالى فقال
الجنيد ان هذا قول اقوام تكلموا باستقاط الاعمال وهذا عندي عظيمة والذي
يسرق وينزني احسن حال من الذي يقول هذا فان العارفين بالله اخذوا الاعمال
عن الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت النعم لم انقص من اعمال البر ذرة الا
ان يحال في دونها لا كذب في معرفتي واقتوي لخال **فصل** ومن جملة اوليك
قوم يقولون بالحلول وينعمون ان الله يحل فيهم ويحل في اجسام يصطفونها
ويسبق الي فهم قول النصاري في اللاهوت والناسوت ومنهم من يستبجح

النظر إلى المستحسنات إشارة إلى هذا الوجه ويتجلى له أن من قال كلمات في بعض
غلبانه كان مضمراً شيء مما زعموه مثل قول الخلاج أنا الحق وما يحكي عن أبي يزيد في قوله
بحسبني حاشا أن يعتقد في أبي يزيد أن يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى
وهكذا ينبغي أن يعتقد في أبي يزيد أن يقول ذلك الإحلي في الخلاج في قوله ذلك ولو
علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمراً شيء من الحلول رد دناها كما نردهم وقد اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشريعة بيضاء نقية يتبع بها كل معوج وقد دللنا عقولنا على ما يجوز وصف الله به
تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه أن يحل به شيء أو يحل بشيء تعالى أن يحويه
مكان كما تقدس أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على
ما عليه كان سبحانه وتعالى **فصل** واعلم أن بعض المغتربين يكون عنده ذلك
وفظنه غريرة ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فينتألق له في فكره كلمات ينسبها
إلى الله تعالى وإنها مكالمة الله أياها مثل أن يقول قال لي وقلت له وهذا ما رجا جاهد
بنفسه وحدتها جاهد ربه وبكيفية المكان والمحادثة وأما أن يكون عالماً بطلان
ما يقول ويحمله هوالة على الدعوي بذلك ليوضح أنه ظفر بشيء وكل هذا ضلال يكون
سبب تجريد علي ربه ففسد الله العنوم من ذلك **وأما** إذا سمع بعض المحققين
مخاطبات ورد عليهم بعد طول معاملة لهم ظاهرة وباطنة وتسلطهم بأصول القوم
من صدق التقوى وكما لا الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشكلت في أسرارهم
مخاطبات موافقات ففقدوا للكتاب والسنة نزول بهم تلك المخاطبات عند

استغرق السراير ولا يكون ذلك كلاماً يسمعون به بل يحدث في النفس عبثاً
 برؤية موافقة للكتاب والسنة مفهوماً عند أهل موافق العلم ويكون ذلك مناجاة
 لسرايرهم ومناجات سرايرهم يجمع فيستنون أنفسهم مقام العبودية ولمولا مع
 الربوبية فيضيفون ما يجدون إلى أنفسهم وإلى مولاهم ومع ذلك عالمون بأن
 ذلك ليس كلام الله إنما هو علم حادث أحدث الله في بواطنهم وطريق الأصحاب في ذلك
 الفراد إلى الله تعالى من كل ما تحدثت نفوسهم به حتى إذا برت ساحتهم من الهوى
 والهوى في بواطنهم شيئاً ينسبون به إلى الله نسبة الحادث إلى الحادث لا نسبة
 الكلام إلى المتكلم لينصباؤهم من الرغب والتحريف **فصل** ومن أولئك قوم يسترسلون
 مع إطلاق التوحيد ويسقطون لنفوسهم حركة ونقلاً ويرعون أنهم مجبورون
 على الأشياء لأفعالهم مع فعل الله ويسترسلون في المعاصي وكلما تدعو النفس إليه
 ويركضون إلى البطالة ودوام الغفلة والاعتذار بالله والخروج عن الملة وترك
 الحدود والأحكام والحلال والحرام وقد سئل سهل عن رجل يقول أنا كما لباب لا أتحرك
 إلا إذا حركت قال هذا لا يقول إلا أحد رجلين إما صديق أو زنديق لأن الصديق
 يقول هذا إشارة إلى قولهم الأشياء بالله مع أحكام الأصول ورعاية حدود العبودية
 والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله واستغاطاً للامانة عن نفسه وإخلاصاً
 عن الدين ورسمه فإما من كان معتقداً للحلال والحرام والحدود والأحكام
 معترفاً بالمعصية إذا صدرت منه معتقداً وجوب التوبة منها فهو صحيح

سليم وان كان تحت القصور بما يركن اليه من البطالة ويستروح بهوى النفس
الى الاسفار والتزدد في البلاد متنو سلا الى تناول اللذائذ والشهوات متمسكا
بشيخ يود به هذه ويدبيرة بعيب ما هو فيه والله الموفق فهذا يرجح له
كل خير عظيم وفضل جسيم **ثم اعلم** ان هؤلاء سبب ضلالهم من عدم الشيخ
المرشد وقد ضل في هذا الطريق خلق عظيم من العباد المتقين واعمال الكليين
الاعباد الله المخلصين المنتسبين باذيار المرشدين ولهذا امر الله تعالى
بطلب المرشدين قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة وجاعدوا في سبيله لعلمكم تفحون قال اهل التحقيق المراد من الوسيلة
المرشد وقال علي السلام الرفيق ثم الطريق وقال الشيخ ابو علي الروذباري
لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طواين الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالواسطة
بامر شيخ مرشد ومن لم يأخذ باظهارهم ومراقبة باطنهم من مرشدين يريه
عيوب افعاله ورغوات نفسه لا يحصل اليك ومن اشتغل بالسلوك
بلا مرشد كمن شهد معركة القتال بلا سلاح ورام ان يصعد في الهوى بلا
جناح **ثم اعلم** ان سبب الصحبة وجود الجنسية وقد يدعوا اليها عمو
الاوصاف كميل جنس البشر بعضهم الى بعض ثم اخص من ذلك وقد يدعوا
اليها اخص الاوصاف كميل اهل كل ملة بعضهم الى بعض ثم اخص من ذلك كميل
اهل الطاعة بعضهم الى بعض وكميل اهل المعصية بعضهم الى بعض ثم اخص

من ذلك كميل أهل الشريعة بعضهم إلى بعض وكميل أهل الطريق بعضهم إلى
بعض وكميل أهل كل علم من العلوم الشريعة بعضهم إلى بعض وكميل كل مقام
من مقامات الطريقة بعضهم إلى بعض وكميل أهل كل حال من أحوال الحقيقة
بعضهم إلى بعض ويؤيد ما ذكرناه قول **عليه السلام** **الارواح جنود**
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فاذا علمت هذا الاصل
وان الجاذب إلى الصحبة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص أخرى
فليست فقد الانسان نفسه عند الميل إلى صحبة الشيخ وينظرها الذي يميل به
إلى الصحبة ويرى أحوال من يميل إليه بميزان **الشرع** فاذا رأى أحواله
مسددة فليبت نفسه بحسن الحال فقد جعل الله مرأته مجلوبة يلوح
له في مرآة أخيه جمال حسن حاله وان رأى أفعاله غير مسددة فليرجع إلى
نفسه بالانتهام فبالجد يران يفر منه كغزالة من الأسد فانهما اذا
اصطبا ازداد ظلمة واعوجاجا وبعض هذا الكلام لمصاحب العوارف
رحمه الله **عليه** فعلى هذا الاصل الصحيح ينبغي لكل طالب طريق الحق اذا
وقفه الله وايقظه عن سنة الغفلة بحضرة فضله ان يقتدي من مشايخ
زمانه بمن هو مشهور بالديانة والصيانة والامانة خاليا من البدعة
والأهواء الحيانة بعد ان يتحقق ان طريقته موافقة لكتاب الله وسنة
رسوله وأفعال الصحابة والمشايخ الراشدين في العلم العارفين بالله سبحانه

زاتنا وصفاتنا وافعالنا واقوالنا واحوالنا **اعلم** ان كماله كل شئ ونقصانه
مودة عنة في الصحبة كالنوات كماليتها مودودة في صحبة القواب عند اعواز
المساوار **هذا** سباب التربية بماء الايمان ولوا فتح اعمال الشريعة وطلوع
شمس العناية الازلية واتباع السنة النبوية المجدية مع الولي وهو الشيخ
المرشد **فحينئذ** تكاملت شجرة العبودية واثمرت ثمرات المعرفة والتوحيد
كما قال الله تعالى **توفي** اكلها كل حين باذن ربها وان عدم بعض اسباب
التربية تناقص الروح بصحبة القلب كنقصان النواة بصحبة التراب
عند اعواز بعض اسباب التربية **كما قال** سبحانه وتعالى والعصران
الانسان **لن يخر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** لمن اعظم التربية
صحبة شيخ كامل واصل صاحب ولاية عالم باركان الشريعة واقف على
اداب الطريقة **محقق بدقايق الحقيقة** باسرار السلوك **محبب الله الي**
عباده **ومحبب عباد الله الي الله** داع الي الله سبحانه وتعالى **قال رسول الله**
صلى الله عليه وسلم **هلم** حاكيا عن ربه سبحانه وتعالى **اذا كان الغالب علي**
عندي الاشتغال **لن يجعل نعمته** ولذته في ذكره فاذا جعلت نعمته
ولذته في ذكره **عشقتني** وعشقتة **ورفعت الحجاب** فيما بينه وبينني
لا يهوا اذا سهي الناس **ولا يترك كلامهم** كلام الانبياء **او ليكن** الابطال **حقا**
او ليكن اذا امردت **باهل الارض** عقوبتا **وعذا** باذكرتهم **فصرفته** بهم عنهم **وقال**

بعض الكبار رحمه الله الشيخ الكامل الموصوف بالصِّفات المذكورة في زماننا
 هذا كالكبريت الأحمر وعنقاء مغرب وقال بعض المشايخ الصالحة الصالحة
 النافعة تقوم مقام حجة الشيخ المرشد الكامل اراد رحمه الله والله تعالى
 الكامل الموصوف مستتربين اولياء الله مختفيين عن ابصار اهل الظواهر ودون
 بصيرة ارباب البواطن والبصائر **قال** الله سبحانه وتعالى اولياءني تحت
 فنائلي لا يعرفهم غيري وسبب اخفاء الاولياء الواصلين الى الله تعالى في زماننا
 هذا والله اعلم قللة صدق الطالبين الذي طلبهم غير خالص بل مشوب بالخطوة
 النفسانية والهم هو والاعراض الفاسدة وكثرة دعوي المدعين المشبهة
 من غير اصل صحيح بل من غير اقتداء بالمشايخ المرشدين واهل السلوك نعوذ
 بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا فالواجب على الطالب الصادق
 المبتدئ ان لا يصحب البتة اكبر مدعي اهل العصر **الشيخ** الذين ينتسبون
 الى النبوات وتمشيحون بالاباء والاجداد وهم يحزل عن رتبة المرشدين
 الصادقين الطالبين من ارباب الرياضات واصحاب السلوك المقربين
 بالمشايخ المتسلمين لتصرفاتهم فضلا عن رتبة المشايخ والرجال
 البالغين فانهم قطاع الطريق على الصادقين من الطلبة ولا يصحب جماعة
 يسمون انفسهم الملامية والقلندرية والجيدرية والحرورية فان
 الغالب على اكثرهم الاباحية والزندقة اما شأ الله به خيرا والضايق



الدكتور عبد السلام الحديثي

... وكونوا عباد الله إخوانا...

سادة وعبيد أغنياء وفقراء أشرف ومغمورون أثرياء ومعدمون . . . دائن ومدين مرائي مراهن وفقير مرهون أبيض سائد وأسود مسود تلك أحوال كل الأمم السالفة والمحاضرات التالفة ، من بابل وآشور إلى فراعنة مصر من اليونان والرومان إلى أكاسرة فارس في إيران مجتمعات من طبقات . . . قليل سعيد سائد وكثير شقي مستعبد حتى بنزع النور الأحمدى وتنزلت رسالة العدل الأبدي . . . في مجتمع مكة وقريش الذي يحمل نفس المآسي والأسقام ويقترب عين الذنوب والآثام . . .

الحدث جلل والتغيير نزلال مرجح السهول والجبال . . . تسابق العبيد والأشراف إلى الهداية والإنصاف . . . وما لبث أن وقف بلال الحبشي إلى جنب أبي بكر القرشي وصهيب مع سعد وسلمان مع عمر وجاوان مع عثمان (رضي الله عنهم أجمعين) في الصف الأول لا فرق بين أسود وأبيض ولا بين أصفر وأسمر الكل أمام الله سواء : { . . . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . . . } ، { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } ، أصبح المجتمع مركباً وليس بخليط ، صهر ببنوة العقيدة وصب في قلب الإيمان . الواحد كل والكل واحد : { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ . . . } .

يا سادة يا كرام : لا تعودوا إلى العصبية ، واسمعوا قول المصطفى الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم { دعوها فإنها منتنة } ، حب قومك كما تشاء ، وافرغ من شأن قومك ما تشاء ، حب القوم ليس بعصبية ، ولكن لا تعينهم على الباطل ، (صلى الله عليك وسلم يا من أرسلت رحمة للعالمين) ، لا تقف مع قومك في عدوان ، أو فتنة مفرق أو فرقة قتان . . . (وكونوا عباد الله إخواناً) . . . والسلام .